تفسير البيان

في

الموافقة بين الحديث والقرآن

المجلد الثاني

تأليف

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

تحقيق

أصغر إرادتي

دار التعارف للمطبوعات

العلامة
السيد
محمد حسين
الطباطبائي

تفسير
البيان
في
الموافقة
بين
الحديث
والقرآن





دار التعارف
للمطبوعات


تفسير البيان
في
الموافقة بين الحديث والقرآن


شبكة الفكر
alfeker.net

مجموعة الآثار ١٢

تفسير البيان

في

الموافقة بين الحديث والقرآن

المجلد الثاني

تأليف

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

تحقيق

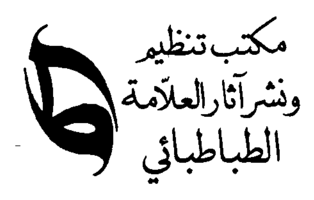
أصغر إرادتي

دار التعارف للمطبوعات



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



دار التعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكّاش - بناية الحسنين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١ - ١١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١

موبايل: ٨٢٣٦٢٠ ٣ ٠٠٩٦١

بروان كانت الاسباب مع ذلك لم ترتفع عن الواقع ولن ترتفع ابدا فافهم ذلك.

قوله ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة الاية كقوله وجاء ربك والملك

صفا صفا الامر غير انه سبحانه اذا سلب في كلامه نسبة شيء الى استقلال الاسباب وجعل

الوسائط ربما نسبه الى نفسه سبحانه تعالى وتقدس وربما نسبه الى امره كما سيجيء بيانه

في تفسير ايات الامر فعلمنا من هناك ان امره شيء وليس شيء اخر المنسوب اليه

بنسبته اليه سبحانه وصح وضع الامر فيما يحتاج اليه بحسب ظهور بعض الالفاظ في معان

لا يليق بجنابه المقدس كالامر والمجيء ونحوها مما يتعلق باثارهم ثم تفسير ايات الله باتيان

امره ويشهد بذلك قوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و

عشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب

اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي

القوم الفاسقين فالاية نظيرة الايات الثلث في معناها اعني من قوله يا ايها

الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة الى قوله والى الله ترجع الامور من الايات

وعن الصدوق في التوحيد والعيون عن الرضا في الاية قال يقول هل ينظرون الا

ان يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت وعن قول الله عز وجل و

جاء ربك والملك صفا صفا قال ان الله عز وجل لا يوصف بالمجيء والذهاب

تعالى عن الانتقال وانما يعني بذلك وجاء امر ربك والملك صفا صفا اقول

قوله يقول هل ينظرون اه معناه يريد هل ينظرون وبه يظهر ان قوله وهكذا نزلت اه

شان نزول وبيان معنى وليس من القراءة في شيء والمجيء الذي فسره به بعينه ما

قربناه من كون المراد باتيانه اتيان امره فان الملئكة انما تنزل ما تنزل و

حين تنزل بالامر قال سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره

صفحة من النسخة الخطية المسودة من تفسير سورة البقرة

٢٢٩ الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا
يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم
الظالمون ٢٣٠ فان طلقها فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا
جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان
يقيما حدود الله وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون ٢٣١ واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا
تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا
ايات الله هزوا واذكروا نعمت الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا
ان الله بكل شيء عليم ٢٣٢ واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا
تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ
به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم
وانتم لا تعلمون

اذا الرجل في نفسها كان حق الرجال افضل واذا الرجل من حيث درجة الرجال
عليهن بابت الموازنة والمماثلة بينهما فان العدل ان يجعل لكل من الموفي
والضعيف والفاضل والمفضول من الحق ما يوازن درجته فيستدل الا
ولا يجاب في الحكم […] لذلك فيد اطلاق قوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
بقوله وللرجال عليهن درجة اي ليعلم كيفية المثلية قوله سبحانه او تسريح باحسان
في العياشي عن الصادق ع التطليقة الثالثة تسريح باحسان قوله سبحانه
الا ان يخافا الا يقيما حدود الله في الفقيه عن الباقر ع قال اذا قالت
المرأة لزوجها جملة لا اطيع لك امرا مفسرة او غير مفسرة حل له ان ياخذ منها
وليس له عليها رجعة الخبر والاخبار في الخلع والمبارأة كثيرة لا حاجة الى
ايرادها قوله سبحانه حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح في الكافي
عن الصادق ع عن رجل طلق امرأته طلاقا لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فتزوجها
عبد ثم طلقها هل يهدم الطلاق قال نعم لقول الله عز وجل في كتابه حتى تنكح زوجا
غيره وفي […] عن محمد بن مضارب قال سألت الرضا ع عن الخصي يحلل
قال لا يحلل وفيه عن الصادق ع عن تزويج المتعة ايحلل قال لا لان الله
يقول فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما
ان يتراجعا والمتعة ليس فيها طلاق الخبر والاخبار ههنا على وفق الاية كثيرة
قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف الخ
في الفقيه عن الصادق ع في الاية قال الرجل يطلق حتى اذا كادت ان يخلو
اجلها راجعها ثم طلقها يفعل ذلك ثلث مرات الخبر قوله فامسكوهن
هو القرينة على ارادة المقاربة للاجل من بلوغه وفيه عنه ع قال لا ينبغي للرجل
ان يطلق امرأته ثم يراجعها وليس له فيها حاجة ثم يطلقها فهذا الضرار الذي
نهى الله عنه الا ان يطلق ثم يراجع وهو ينوي الامساك الخبر والاخبار فيه كثيرة

صفحة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة البقرة

[illegible] من نصف والفاتحة هذا [illegible]

كله فالإنسان اشبه شيء بالجرح الملفق من [illegible] متكلمين اثنين [illegible]

وعن العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن الصادق ع في حديث [illegible]

ومعراج النبي قال فقال اقرأ آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فقال رسول الله

والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فقال

الله وقالوا سمعنا واطعنا فقال النبي ص غفرانك ربنا واليك المصير قال الله

لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال النبي ص ربنا لا

تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال فقال الله قد فعلت فقال النبي ربنا ولا تحمل

علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت فقال النبي ص ربنا ولا

تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم

الكافرين كل ذلك يقول الله قد فعلت الحديث [illegible]

[illegible] وههنا روايات اخر في هذا المعنى الا ان الكيفية

المشافهة المنقولة فيها تخالف ما نقلناها [illegible] لسياق الآيتين [illegible]

[illegible] بين كون الآيتين مجموع مشافهة النبي [illegible]

وبين نزول الجميع [illegible] آية من كتاب الله [illegible]

وله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون [illegible] هذا القسم من [illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المسودة من تفسير سورة البقرة

سورة آل عمران

فلما ان سار الى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهم فقال آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه فاجاب مجيبا عنه وعن امته فقال والمؤمنون كل آمن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فقال جل ذكره لهم الجنة و
المغفرة على ان قالوا ذلك فقال النبي اما اذا فعلت بنا ذلك فغفرانك ربنا
واليك المصير يعني المرجع في الآخرة فاجابه الله جل شأنه وقد فعلت ذلك
بك وبامتك ثم قال جل شأنه اما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها
وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق على ان ارفعها
عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت من خير وعليها
ما اكتسبت من شر الحديث الى آخره ———— وهو كما ترى يبطل قول آمن الرسول
تقريرا لقوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وهيهنا روايات اخرى في هذا المعنى
الا ان كيفية المشافهة المنقولة فيها تخالف ما ترى وما نقلناها الحق لسياق
الآيتين وبالرواية يهتدى الى نكات اسلوب الآيتين ولا منافاة بين كون
الآيتين مجموعا من مشافهة النبي ص مع ربه وبين نزول المجموع آية من كتاب الله
وسيجيء نظيره في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وسيجيء بيان
الحال فيهما المقتبس من الوحي انتهى الحمد لله رب العالمين تم ليلة الاحد المباركة من

بسم الله الرحمن الرحيم سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم
الم ١ الله لا اله الا هو الحي
القيوم ٢

قوله سبحانه الله لا اله الا هو الحي القيوم الخ لما كانت عمدة الغرض في هذه السورة
كسورة البقرة هي التعرض لحال اهل الكتاب في بغيهم وكفرهم بآيات الله و
تفريطهم في جنبها مع ما يلحق به من حال الكافرين وذكر وقعة احد صدر الكلام
بموجز ما فيه من القول المبسوط وهو الآيات الثلاث نزل عليك الكتاب
مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل هدى للناس وانزل الفرقان
ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام فبين انه

الصفحة الأخيرة و الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة البقرة وآل عمرآن

بسم الله الرحمن الرحيم سورة آل عمران

قوله سبحانه: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، لما كانت عمدة الغرض في هذه السورة كسورة البقرة
هو التعرض لحال أهل الكتاب في [illegible] وكفرهم بآيات الله وتفريطهم في جنبها
صدّر الكلام بموجز ما فيه من القول المبسوط وهو الآيات الثلاث: نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين
كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام. فبيّن أنه أنزل ما أنزله من الكتب
لغرض الهداية وأن الكافرين بها لهم عذاب شديد غير أنه يشير أن إنزال الكتب وكذلك
كفر الكافرين بها وبالقرآن خاصة جميعاً من القدر [illegible] وليس شيء من ذلك خارجاً عن حيطة
الربوبية ودائرة الملك والتدبير الإلهي ولذلك صدرها بهذه الآية: الله لا إله إلا
هو الحي القيوم، وقد عرفت من الكلام في آية الكرسي أنها مشتملة على علم القدر وهو [illegible]
من أبواب الغيب ولذلك أيضاً ختم الآيات الأربع [illegible] بقوله إن الله عزيز ذو
انتقام ثم أردفها بالآيتين إن الله لا يخفى عليه [illegible] فتبين أن عمدة الغرض في السورة
بيان [illegible] حال أهل الكتاب [illegible] في اعتدائهم وتجافيهم عن الحق وأن ذلك كله من القدر

~~قوله سبحانه: نزل عليك الكتاب بالحق [illegible]~~
[illegible] معترك بالتفات [illegible] أن السامع لكلامه سبحانه والمشافهة لا يشك أنه سبحانه هو
الذي يكلمه بكلامه ولولا ذلك لكان نظرياً محتاجاً إلى سلوك [illegible] إلى البرهان
كسائر النظريات [illegible] ويلزم ذلك أن يكون بنفسه غير مفيد
للعلم الحقيقي ويلزمه أن لا يكون بنفسه [illegible] للهداية ويلزمه أن يكون [illegible] انتفاء الهداية
الذاتية بالله فيكون حال [illegible] الوحي من الله سبحانه حاله كحال سائر المهتدين
بالفكر والقياس البرهاني والقرآن ينص على خلافه قال سبحانه: وكذلك أوحينا إليك
روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء
من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المسودة من تفسير سورة آل‌عمران

سورة النساء

عدوكم ممن يليكم ورابطوا امامكم وفي الكافي عنه ع اصبروا على الفرائض
وصابروا على المصائب ورابطوا على الائمة وفي المجمع عن علي ع رابطوا الصلوات
قال اي انتظروها واحدة بعد واحدة لان المرابطة لم يكن حينئذ اه وكثير في
هذه المعاني اخبار اخر وقد اتضح معناها مما مر والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها

قوله سبحانه يا ايها الناس اتقوا ربكم اه لما كان الغرض في هذه السورة تشريع
جل احكام المواريث والنكاح والجهاد وغير ذلك من احكام متفرقة في
الطهارات والصلاة والحدود والتخلص بالتعرض لحال اهل الكتاب
كرر فيها دعوتهم الى تقوى الله وطاعته فيما يشرعه من الاحكام لصلاح
شأنهم ووصيتهم بوضع ما وضعه لهم موضع ما لعبت به ايدي هوساتهم من
الاحكام واذ كان الابتداء باحكام المواريث والفرائض وقد كانوا يحرمون
كثيرا من ذوي المواريث كالصغار والازواج ويجورون في امرين كلما
يخذلهم ما يتهاونه بعثتهم الى التقوى بتذكير ان احاد الناس بعضهم من
بعض اذ رجعت على كثرتهم الى اصل واحد وهو آدم وزوجته وتذكير ان
بينهم امرا ادق من ذلك وهو الرحم على مراتبها وعرضها كل ذلك على سبيل
التوطئة والمقدمة ومن هذا البيان يظهر وجه توجيه الخطاب الى الناس
دون الذين آمنوا منهم اذ ما يحتوي عليه الخطاب لا يختص بالمؤمنين
قوله سبحانه اتقوا ربكم الذي خلقكم الى قوله زوجها اه التفرقة بين الخلقين
اعني قوله خلقكم اه وقوله وخلق منها اه تعطي ان الخلقين ليسا على حد
سواء واخذ لفظ الزوج وكون من نشوية غير تبعيضية مشعر بان سنخية
آدم لزوجته ليست على نحو التبعيض وان لم يكن اللفظ صريحا في ذلك و
في نهج البيان للشيباني عن عمرو بن ابي المقدام عن ابيه قال سألت ابا جعفر ع

الصفحة الأخيرة و الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة آل‌عمران والنساء

الفهرس

سورة البقرة (٢)

سورة آل عمران



سُورَةُ البَقَرَةِ

- ٢ -



[فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا ٱللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَٱللهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢٠٢) وَٱذْكُرُوا ٱللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)]

قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا ٱللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قول الله: ﴿وَٱذْكُرُوا ٱللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ قال: «وهي أيّام التشريق، وكانوا إذا أقاموا بمنى بعد النّحر تفاخروا، فقال الرجل منهم: كان أبي يفعل كذا وكذا، فقال الله ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا ٱللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ قال: والتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر ولله الحمد، والله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام».(١)

---

١. *الكافي* ٤: ٥١٦، الحديث: ٣.

أقول: وفي هذا المعنى وما يقرب منه أخبار أُخر.

قوله سبحانه: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً...﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «رضوان الله والجنّة في الآخرة، والسعة في المعيشة وحسن الخلق في الدنيا».[١]

وعنه ـ عليه السلام ـ قال: «رضوان الله والتوسعة في المعيشة، وحسن الصحبة، وفي الآخرة الجنّة».[٢]

وعن عليّ ـ عليه السلام ـ: «في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار امرأة السوء».[٣]

أقول: والروايتان من قبيل عدّ المصداق، والآية مطلقة.

وحيث كان رضوانه تعالى ممّا يمكن حصوله في الدنيا ـ وظهوره التام في الآخرة ـ صحّ أن يعدّ من حسنات الدنيا كما في الرواية الأُولى،[٤] أو الآخرة كما في الثانية.[٥]

قوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

سياق الآية يدلّ على أنّ الاسم «سريع الحساب» ليس من الأسماء المختصّة ظهوره بيوم القيامة، بل من الأسماء الشاملة للدارين، سواء كان المشار إليه

---

١. تفسير *العياشي* ١: ٩٨، الحديث: ٢٧٤.

٢. تفسير *العياشي* ١: ٩٩، الحديث: ٢٧٥.

٣. راجع: بحار *الأنوار* ٨٣: ١١٨.

٤. الصحيح تبديل الأُولى بالثانية وبالعكس.

٥. الصحيح تبديل الأُولى بالثانية وبالعكس.

بـ«أُولئك» جميع الفرقتين، أو الداعين للدنيا والآخرة معاً.

وقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ من أسمائه الحسنى، وسيجيء معنى الحساب منه تعالى وسرعته إن شاء الله تعالى.

قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا ٱللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾

في *تفسير العيّاشي*: «المعدودات والمعلومات واحدة، أيّام التشريق».[1]

وفي *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: «التكبير في أيّام التشريق من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الفجر من اليوم الثالث، وفي الأمصار يكبّر عقيب عشر صلوات».[2]

أقول: وقد مرّ كيفيّة التكبير، والروايات في هذا المعنى كثيرة.

قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ...﴾

في *الفقيه* سئل الصادق ـعليه السلام ـ في هذه الآية، فقال: «ليس هو على أنّ ذلك واسع: إن شاء صنع ذا وإن شاء صنع ذا، لكنّه يرجع مغفوراً له لا ذنب له».[3]

وفي *تفسير العيّاشي* عنه ـعليه السلام ـ قال: «يرجع مغفوراً لا ذنب له لمن اتّقى».[4]

أقول: الروايات في هذا المعنى كثيرة، وهي ـ مثل الروايتين ـ تنفي كون المراد بقوله: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ نفي التعيين وإثبات التخيير، مثل ما ربّما يقال: إنّ

---

١. تفسير *العياشي* ١: ٩٩، الحديث: ٢٧٧.

٢. *الكافي* ٤: ٥١٦، الحديث: ١.

٣. من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٤٨٢، الحديث: ٣٠٢٦.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ٩٥، الحديث: ٢٥٧.

أهل الجاهليّة كانت بين طائفة تؤثّم التعجيل، وطائفة تؤثّم التأخير، فنفى الله تعالى بالآية زعم الطائفتين جميعاً، هذا.

وتذييل الآية بقوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ينافي المعنيين جميعاً كما لا يخفى؛ ولذلك تعرّض لتقييد الكلام به في الرواية الثانية؛ إذ إثبات التخيير بين التعجيل والتأخير، أو نفي تعيّن أحدهما، لا يلائم التقييد بقوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

وفي *الفقيه* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «يتّقي الصيد حتّى ينفر أهل منى».[1]

وعن الباقر ـ عليه السلام ـ: «لمن اتّقى الرفث والفسوق والجدال وما حرّم الله في إحرامه».[2]

وعنه ـ عليه السلام ـ أيضاً: «لمن اتّقى الله ـ عزّ وجلّ ـ».[3]

وفيه أيضاً عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «لمن اتّقى الكبائر».[4]

أقول: والروايات قريبة المعاني، وهو ظاهر.

*

١. من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٤٨٠، الحديث: ٣٠١٦.
٢. من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٤٨٠، الحديث: ٣٠١٧.
٣. من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٤٨٠، الحديث: ٣٠١٨.
٤. من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٤٨٠، الحديث: ٣٠٢١.

[وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ وَٱللهُ رَؤُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴿٢٠٧﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ...﴾

قيل: هو الأخنس بن شريق؛ وعن ابن عبّاس: نزلت الآيات الثلاث في المرائي؛ لأنّه يُظهر خلاف ما يُبطن.[1]

وفي *المجمع*: أنّه مرويّ عن الصادق ـعليه السلام[2]ـ، وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: «إنّه فلان وفلان».[3]

أقول: وظاهره بيان المصداق لا شأن النزول.

---

١. راجع: مجمع *البيان* ٥: ٢٤٣.

٢. مجمع *البيان* ٢: ٥٥.

٣. تفسير *العياشي* ١: ١٠٠، الحديث: ٣٨٧.

وقد روي: أنّ الحرث الذرّيّة، وأنّه الدِّين، وأنّه الزرع،[١] والأمر في التطبيق سهل.

قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ وَٱللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

في *أمالي* الشيخ عن عليّ بن الحسين ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «نزلت في عليّ حين بات على فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ».[٢]

أقول: تظافرت الروايات من الفريقين أنّها في عليّ ـ عليه السلام[٣] ـ، وممّا لا يُعبأ به ما قيل: إنّها نزلت في صهيب بن سنان، أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفراً كانوا معه، فقال: أنا شيخ كبير؛ إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضرّكم، فخلّوني وما أنا عليه وخذوا مالي، فقبلوا منه ماله وأتى المدينة... القصّة.[٤]

وأنت خبير بأنّ سياق قوله: **﴿مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ﴾** لا يساعد عليه.

وأمّا قوله: **﴿وَٱللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾** [فـ]ـلعلّ المراد: أنّه رؤوف بالعباد في بعثه مثل هذا الشاري؛ ليتسبّب بذلك إلى نجاة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلّم ـ من أيدي الكفّار، فلا ينطفئ نور الله، والله متمّ نوره.

---

١. راجع: *تفسير العيّاشي* ١: ١٠٠، الحديث: ٣٨٧؛ *بحار الأنوار* ٩: ١٨٩، الحديث: ٢٣.
٢. *الأمالي* للطوسي: ٤٤٦، الحديث: ٩٩٦.
٣. *شرح الأخبار* ٢: ٣٤٥، الحديث: ٦٩٤؛ *العمرة*: ٢٤٠، الحديث: ٣٦٧؛ *الغدير* ٢: ١٠١.
٤. *بحار الأنوار* ٢٢: ٣٥٣، الحديث: ٧٤.

وفي *المجمع* عن عليّ ـعليه السلام ـ: «أنّ المراد بالآية: الرجل يُقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».[١]

أقول: وهو بيانٌ لعموم الآية وإن كان شأن نزولها خاصّاً، وملائمٌ لسابق السياق من قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾**.

*

١. *مجمع البيان* ٢: ٥٧.

[يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾]

قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كَافَّةً...﴾

لمّا بيّن أنّ من الناس منافقاً ساعياً في الأرض بالفساد، وشارياً نفسه ابتغاء مرضاة الله، عمّم وجه الكلام ووجّهه إلى جميع من يقول: آمنت بالله ورسوله، فدعاهم إلى السِّلم كافّة، وهو الحافظ لهم أن يتفرّقوا في الدين والدنيا، كمجرى قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1] وقوله: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[2]

وروى ابن شهر آشوب عن السجّاد والصادق ـ عليهما السلام ـ قالا: ﴿ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كَافَّةً﴾ في ولاية عليّ ـ عليه السلام ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

١. آل عمران (٣): ١٠٣.
٢. الانعام (٦): ١٥٣.

ٱلشَّيْطَانِ﴾ قالا ـ عليهما السلام ـ: لا تتّبعوا غيره».[١]

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة، وهي من قبيل بيان المصداق أو الجري.

*

١. *مناقب آل أبي طالب* ٢: ٢٩٢.

[هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَىٰ ٱللهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٢١٠) سَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللهِ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢١١) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)]

قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ﴾ من الثابت بالبرهان والضروري من الظواهر الدينيّة من الكتاب والسنّة: أنّه سبحانه لا يجري عليه شيء ممّا يجري على غيره من الأشياء، من ذات ووصف وفعل، كيف؟! وكلّ شيء منه وله وإليه، وليس كمثله شيء.

غير أنّ المعاني الجارية على الممكنات ـ من الأوصاف والأفعال ـ إذا جرِّدت عن الجهات العدميّة والنواقص الإمكانيّة ـ ولم يبق منها إلّا مجرّد المعاني الخالية عن كلّ نقص وشَين ـ جاز اتّصافه بها، على ما سيجيء بيانه في ذيل قوله: ﴿وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾،[1] وعلى هذا ينبغي أن ينزّل ما

١. الأعراف (٧): ١٨٠.

يوصف به من وصف أو فعل في كلامه تعالى، دون ما اعتوره عدّة من المفسّرين من أصناف المجاز من غير حقيقة، هذا.

ومعنى «الإتيان» و«المجئ» ـ على ما ينسبق إلى أذهاننا ـ: قطع. الأمر الجسماني الفواصل المكانيّة بالحركة، والحضور عند المأتيّ إليه، وإذا جرّد عن الخصوصيّات المصداقيّة ـ كما في قولنا: «جاء غد» و«جاء شهر رمضان» و﴿جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾[1] ـ لم تكن حقيقته إلّا حضور الجائي عند المجيء إليه بعد كشف حجب مانعة عن المشافهة، فإتيانه تعالى: هو رفعه حجب الأسباب عنهم، بحيث لا يشغلهم شيء عنه تعالى، وقضاؤه بينهم من غير توسيط سبب كما هو من شؤون القيامة، وسيجيء بيانه في محلّ يليق به، وإن كانت الأسباب مع ذلك لا ترتفع عن الواقع ولن ترتفع أبداً، فافهم ذلك.

فقوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ﴾
كقوله تعالى ـ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[2]

المراد به: انكشاف الأسباب وانجلاء غبارها عنهم، فلا يبقى إلّا مولاهم الحقّ، فيقضي بينهم ويحكم فيهم، كما يتضمّنه قوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ﴾[3] وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[4] وقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.[5]... إلى غير ذلك من الآيات.

---

١. الإسراء (١٧): ٥.
٢. الفجر (٨٩): ٢٢.
٣. الانفطار (٨٢): ١٩.
٤. إبراهيم (١٤): ٤٨.
٥. ق (٥٠): ٢٢.

فهذا أصل المعنى، لكنّه سبحانه إذا سلب في كلامه نسبة شيء إلى استقلال الأسباب وإيجاد الوسائط، ربّما نسبه إلى نفسه عزّ اسمه، وربّما نسبه إلى أمره، فعَلِمنا من ذلك: أنّ أمره شيءٌ وليس بشيءٍ، أي أنّ المنسوب إلى أمره تعالى بعينه منسوب إليه تعالى، وصحّ وضع الأمر فيما يحتاج إليه بحسب ظهور بعض الألفاظ في معانٍ لا تليق بجناب العزّة والكبرياء.

ويشهد بذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ وَٱللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ﴾[١] فهذه الآية نظيرة الآيات الثلاث في معناها؛ أعني من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ -إلى قوله-: ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ وقد بدّل قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللهُ﴾ فيها بقوله: ﴿يَأْتِيَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ﴾.[٢]

وفي *التوحيد* و*المعاني*، عن الرضا -عليه السلام- في الآية، قال: «يقول: هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت».[٣]

و«عن قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[٤] قال: إنّ الله -عزّ وجلّ- لا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال، وإنّما يعني به[٥]: وجاء أمر ربّك والملك صفّا صفّاً».[٦]

---

١. التوبة (٩): ٢٤.
٢. البقرة (٢): ١٠٩.
٣. *التوحيد*: ١٦٣، الحديث: ١؛ *معاني الأخبار* ١٣، الحديث: ٣.
٤. الفجر (٨٩): ٢٢.
٥. في المصدر: «بذلك»
٦. *معاني الأخبار*: ١٣، الحديث: ٣.

أقول: قوله: «يقول هل ينظرون...» إلى آخره، معناه: يريد هل ينظرون. وبه يظهر أنّ قوله: «هكذا نزلت» شأن نزول وبيان معنى، وليس من القراءة في شيء.

والمعنى الذى فسّره به بعينه ما قرّبناه من كون المراد بإتيانه معنىً ربّما يعبّر عنه بإتيان أمره؛ فإنّ الملائكة إنّما تعمل ما تعمل وتنزل حين تنزل بالأمر، قال سبحانه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1] وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾.[2]

واعلم: أنّه ورد عنهم ـ عليهم السلام ـ تفسير الآية بيوم القيامة، كما في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ،[3] وتفسيرها بالرجعة، كما رواه *الصدوق* عن الصادق ـ عليه السلام ـ،[4] وتفسيرها بظهور المهدي ـ عليه السلام ـ، كما رواه العيّاشي بطريقين عن الباقر ـ عليه السلام ـ.[5]

أقول: ونظائره كثيرة، فإذا تصفّحت وجدت شيئاً كثيراً من الآيات ورد فيها تفسير أئمّة أهل البيت: تارةً بالقيامة، وأُخرى بالرجعة، وثالثةً بالظهور، والناس حيث لم يبحثوا عن حقيقة القيامة، ولم يستفرغوا الوسع في الكشف عمّا يعطيه القرآن من هويّة هذا اليوم، تراهم بين من يطرح هذه الروايات على كثرتها، وهي تربو على سبعمائة رواية في أبواب متفرّقة، وبين [من] يؤوّلها على ظهورها وصراحتها، وآخرون ـ وهم أمثَل طريقةً ـ يقتصرون على نقلها

١. الأنبياء (٢١): ٢٦.

٢. النحل (١٦): ٢.

٣. *تفسير القمّي* ٢: ٤٢١.

٤. راجع: *بحار الأنوار* ٥٣: ٧٤، الحديث: ٧٥.

٥. *تفسير العياشي* ١: ١٠٣، الحديث: ٣٠٣ ـ ٣٠١.

والوقوف عليه من غير بحث.

وغير الشيعة ـ وهم عامّة المسلمين ـ وإن أذعنوا بظهور المهديّ ورووه بالطرق المتواترة عن النبيّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلّم ـ، لكنّهم أنكروا الرجعة وعدّوها من مختصّات الشيعة، وربّما لحق بهم في هذه الأعصار بعض المنتحلين المنتسبين إلى الشيعة، وعدّوها ممّا دسّ في الإسلام، دسّه بعض اليهود وغيرهم من المتظاهرين بالإسلام؛ كعبد الله بن سبأ وأمثاله.

وبعض المتفلسفين من هؤلاء رام إبطال الرجعة بأنّ الموت بحسب العناية الإلهيّة لا يطرأ على حيٍّ حتّى يستكمل بحسب ما يليق به من الوجود المادّي، ويخرج إلى الفعل في كلّ ما له بالقوّة، فرجوعه إلى الدنيا بعد موته رجوع إلى القوّة وهو بالفعل، هذا خلف أو انقلاب، إلّا أن يخبر به المخبر الصادق؛ وهو الله سبحانه أو خليفة من خلفائه، ولم يرد منه ولا منهم ذلك، وما يدّعيه المثبتون غير تامّ. ثمّ أخذ في تضعيف الروايات، فلم يدع منها صحيحاً ولا سقيماً، هذا.

ولا يدري هذا المسكين: أنّ دليله هذا لو تمّ صدره في دلالته على الاستحالة، لم ينقلب المحال ممكناً بإخبار المخبر الصادق، وأنّ المخبر بوقوع المحال لا يكون صادقاً، وأنّ فرض صدقه في إخباره يوجب تأويل المحال ـ الذي أخبر به ـ إلى ما يكون ممكناً، وليت شعري ما ذا يقول فيما أخبر الله به في قصص إبراهيم وموسى وعيسى وإرميا من إحياء الأموات؟! هذا.

وما ذكره ـ من امتناع عود ما خرج من القوّة إلى الفعل إلى القوّة ثانياً ـ حقّ، لكنّ الصغرى ممنوعة؛ فإنّه إنّما يلزم العود من الفعل إلى القوّة في الحياة بعد الموت الطبيعي، دون الاخترامي الذي لقاسر، ومن الممكن أن يستعدّ إنسان لكمال لا يجوّزه الاستعداد الموجود في العصر الحاضر معه إلّا زماناً بعد زمانه،

فيحيى بعد موته لحيازة كمال استعدّ له، أو يستعدّ لشيء من الكمال بشرط تخلّل حياة برزخيّة، فيموت ثمّ يحيى لحيازته.

وأمّا كون أجزاء النظام الكبير بالفعل من الجهات، فهو نظر بحثٍ غير النظر البحثيّ فيما بالقوّة وما بالفعل، فافهم؛ وتمام الكلام في غير هذا المحلّ.

وأمثال هذه التلفيقات ـ التي يسمّونها أدلّة، أخفض سطحاً وأنزل قدراً من أن تورد في المزبورات العلميّة، غير أنّا أوردناها ليعلم الباحث عن الحقائق المتحقّق بها مبلغ علمهم ومقدار أوج كلامهم، فلنضرب عنه صفحاً، ولنرجع إلى ما كنّا فيه:

وهو أنّ الذي يتحصّل من كلامه تعالى في حقيقة يوم القيامة أنّه وعاء لا يحجب فيه سبب من الأسباب، ولا شاغل من الشواغل عنه سبحانه، ويفنى فيه جميع الأوهام، فلايبقى إلّا حقيقة العلم بحقيقة الأمر، ويظهر فيه حقائق الجميع بصفة الجمع، فهو يوم الجمع.

وهذا لا يستلزم بطلانَ العالم المادّي والنظام من أصله، وتفرّدَ النشأة الأُخرويّة بالوجود، وفقدَ نظام الوجود عند تلك النشأة الجسمانيّة الدنيويّة، فلا شيء يدلّ على ذلك من كتاب وسنّة وبرهان، بل الأمر بخلافه، سوى أنّ البشر ـ أعني هذا النسل ـ على ما يظهر من القرآن سينقرض إلى طلوع هذا اليوم.

ولا مزاحمة بين النشأتين الأُخرويّة والدنيويّة، حتّى يدفع بعضها بعضاً عن الوجود، كما أنّ النشأة البرزخيّة ـ وهي ثابتة الآن للأموات ـ لا تدفع الدنيا ولا الدنيا تدفعها، قال تعالى: ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] فهذه حقيقة يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ

---

١. النحل (١٦): ٦٣.

النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾[١] ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾[٢] ولذلك ربّما سمّي يوم الموت بالقيامة، فعن عليّ ـ عليه السلام ـ: «من مات فقد قامت قيامته»[٣] الخبر.

والروايات المثبتة للرجعة وإن كانت مختلفة الآحاد إلّا أنّها على كثرتها تتّحد في إثبات أنّ سير النظام الدنيويّ متوجّه إلى يومٍ تظهر فيه آيات الله كلّ الظهور، ولا يعصى فيه الله، بل يعبد عبادة محضة خالصة لا شيطان معها، ويعود فيه بعض الأموات من الأولياء والأشقياء، وينفصل فيه الحقّ من الباطل، وهذا يفيد أنّه من مراتب يوم القيامة، وإن كان دونه بإمكان الشرّ والفساد فيه دون القيامة؛ ولذلك ربّما أُلحق به يوم الظهور أيضاً.

وقد ورد بطرق كثيرة عن أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ: «أيّام الله ثلاثة: يوم الظهور،[٤] ويوم الكرّة، ويوم القيامة»،[٥] وفي بعضها: «أيّام الله ثلاثة: يوم الموت، ويوم الكرّة، ويوم القيامة».[٦]

وهذا المعنى ـ أعني الاتّحاد بحسب الحقيقة، والاختلاف بحسب المراتب ـ هو الموجب لتفسيرهم ـ عليهم السلام ـ بعض الآيات: تارةً بالقيامة، وأُخرى بالرجعة، وثالثةً بالظهور.

وأمّا نفس هذا اليوم فلا دليل مع المنكر يدلّ على نفيه، على أنّ مثله ـ وهو رجوع الميّت حيّاً ـ واقع، كما أخبر به الله سبحانه في قصص بعض الأمم

---

١. المطفّفين (٨٣): ٦.

٢. الانفطار (٨٢): ١٩.

٣. *بحار الانوار* ٨٥: ٧.

٤. في المصدر: «يوم القائم»

٥. *الخصال* ١: ١٠٨، الحديث: ٧٥؛ *معاني الأخبار*: ٣٦٥، الحديث: ١.

٦. تفسير *القمّي* ١: ٣٦٧.

الماضية؛ وقد قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[١] وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيما رواه الفريقان: «والذي نفسي بيده، لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة؛ حتّى لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكم سنّة بني إسرائيل».[٢]

على أنّ هذه القضايا التي أخبرنا بها أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من الملاحم المتعلّقة بآخر الزمان، وقد أثبتها الرواة والنقلة في كتب محفوظة النُّسخ عندنا، مؤلّفة مودعة سابقة على الوقوع بقرون كثيرة، نشاهد كلّ يوم صحّة شطر منها من غير زيادة ونقيصة، فلنتحقّق صحّة جميع مضامينها، ولا دليل على الاستحالة كما عرفت، وسيجيء الكلام في الآيات المتعلّقة بالرجعة أو الظهور كلّ في محلّه.

قوله سبحانه: ﴿سَلْ بَنِى إِسرَائِيلَ...﴾

وقوعُ الآية ـ وهي تقرع بني إسرائيل بالعقاب الواقع على كفرانهم النعمة ـ عقيب الآيات السبع، مشعرٌ بأنّ قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ...﴾ الآية إنذار بأمر واقع.

*

١. البقرة (٢): ٢١٤.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ٣٠٣، الحديث: ٦٨؛ شرح *نهج البلاغة* لابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦؛ كنز *العمّال* ١١: ١٧٠، الحديث: ٣١٠٨٣.

[كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَىٰ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللهُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللهِ قَرِيبٌ (٢١٤)]

قوله سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

إذا خلّينا الإنسان في جانب، والمزايا التي ينالها في مدّة حياته الدنيويّة ووعاء عمره الطبيعيّ في جانب، وجدناه عارياً عنها، غير مجهّز بها في أصل وجوده، وإنّما ينالها تدريجاً ويحوزها شيئاً فشيئاً، والآلات الجسديّة ـ التي جهّز بها من الأعضاء ونحوها ـ غير كافية ولا تامّة في جنبها، إلّا أنّ العناية الإلٰهيّة تمّمت نقصه ذلك بإيداع قوّة الفكر والتصرّف، فقوي بذلك على إعطاء حدّ شيء أو حكمه لآخر، فهيّأ بذلك علوماً من غير سنخ العلوم الحقيقيّة التي ينالها بالحس

والعقل، وهي التي نسمّيها بالعلوم الاعتبارية، كإذعانه أنّه يجب أن يفعل كذا أو يترك كذا، وأنّ هذا حسن وذاك قبيح، فهذه علوم يوسّطها الإنسان بينه وبين ما يقصده ممّا يعتقده كمالاً، وسيجيء استيفاء بيانه فيما سيجيء إن شاء الله.

ومن أُصول هذه العلوم: ما يتنبّه له ـ في بدء عثوره على هذه العلوم ـ من لزوم استخدام الغير فيما لا يناله الإنسان بنفسه، ويشبه أن يكون إنّما تنبّه له عند أوائل استعمال الأعضاء والأدوات البدنيّة، فيستخدم الأُمور الطبيعيّة من الجماد والنبات وسائر أصناف الحيوان في سبيل حوائجه، حتّى الأفراد الأُخر من نوعه.

لكن سائر أفراد نوعه حيث كانوا أمثالاً له مريدين لما يريده، أنتج قضيّة الاستخدام معهم الاجتماع والتعاون إنتاجاً ضروريّاً، ووقع الإصطلاح على ذلك قهراً، وإن لم يخلُ النظام الذي بين النوع ـ وهو نظام الاجتماع والتعاون بعينه ـ عن الاستخدام دائماً، وهذا هو الذي يقال: إنّ الإنسان مدنيّ بالطبع.

وهذا وإن صحّ بوجهٍ، لكنّه ليس بصحيح مطلقاً، بمعنى اقتضاء الفطرة ذلك اقتضاءاً أوّليّاً؛ ولو كانت الفطرة الإنسانيّة تلجئه على الإجتماع والتعاون ـ وبالأخرة على العدل؛ ووضع كلّ شيء موضعه ـ كانت السيطرة للعدل على الجور، والغلبة والظهور للصلاح الاجتماعي على فساده في وعاء النظام الدنيويّ؛ والتاريخ والمشاهدة في السابق واللاحق يشهدان على خلافه، وقد قال سبحانه في الإنسان: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * ... وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.[2]

---

١. الاحزاب (٣٣): ٧٢.

٢. العاديات (١٠٠): ٦ و ٨.

نعم، بناء الإنسان على الاجتماع والعدل بناء اضطراريّ أنتجه الاصطلاح المذكورة ومن هنا يعلم أنّ الاختلاف بين أفراد هذا النوع ضروريّ؛ فإنّ الفرد من هذا النوع يحكم بوجوب حيازة الخير لنفسه أوّلاً ولنوعه ثانياً، والاختلاف في قوى الأفراد ضروريّ لاختلاف الموادّ، وحكم الأمثال أيضاً واحد.

وبالجملة: فهذا النوع لا يزال يزداد عدداً من جانب، ومدنيّةً وحضارةً وفكراً وعلوماً بالاجتماع من جانب، وهذا هو الذي إذا طالعناه ـ ورجعنا في مطالعته القهقرى زماناً فزماناً وقرناً قبل قرن ـ وجدنا هذا النوع يأخذ في قلّة العدد والعلم، فيقلّ عدداً وعلماً وحضارةً، فربّما بلغ به القلّة إلى أن ينتهي إلى ذكر وأُنثى، أو استئصال بآفة وبليّة عامّة لا تبقي منه إلّا النزر القليل، لكنّ القرآن ينصّ على وقوفه في ذكر وأُنثى وهو آدم وزوجته.

وأمّا العلم والحضارة، فيشبه أن يكون الإنسان الأوّلي موجوداً ساذجاً في حياته ومعيشته، ليس عنده من العلوم إلّا الضروريّات وشيء يسير من النظريّات، ثمّ لم يزل يرقى درجة فدرجة إلى أن بلغ المبلغ الحاضر، والله أعلم [بـ]ـما ينتهي به الحال في المآل.

وهذا المعنى هو الذي تنبئ عنه الآية: أنّ الناس كانوا جماعة ساذجين لم يظهر فيهم حكم اختلاف الاستعدادات، ولم تشتعل بعدُ نار فطرتهم الوقّادة، ولم يتنبّهوا لما لهم من الكمال الأُخرويّ المستتبع للكمال الدنيويّ؛ حتّى ظهر بينهم الاختلاف في مزايا الحياة الدنيويّة ذاك الاختلاف الاجتماعي، فاستعدّوا لتلقين المعارف الإلهيّة بالتبشير والإنذار عند ذلك ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فالآية كما ترى تعلّل إنزال الكتاب بوجود الاختلاف، وتجعله مقارناً لبعث

النبيّين مبشّرين ومنذرين، فهو ما ذكرنا، واختلاف الناس هو السبيل إلى التبشير والإنذار وبعث الأنبياء.

ومن هنا تعرف: أنّ الآية تعطي للدِّين حدّاً؛ وهو نحو سلوك في الحياة الدنيويّة يتضمّن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأُخرويّ والحياة الحقيقيّة الدائمة عند الله ـ عزّ وجلّ ـ

ومن هنا تعرف أيضاً: أنّ الأديان لم تزل تستوعب جهات الحياة حتّى تستوعب جميع جهاتها، فعند ذلك يقف الدين مختوماً؛ فإنّ الدين يحاذي ما عند الله، فإذا استوعب وجب أن يختم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللهِ بَاقٍ﴾[1] وبالعكس الدين الذي يختم به الأديان يجب أن يستوعب جهات الحياة الدنيا وبالمحاذاة جهات الحياة الأُخرى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللهِ ٱلْإِسْلَامُ﴾[2] وقال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ ٱللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾[3] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.[4]

ومن هنا يظهر أيضاً: أنّ كلّ شريعة لاحقة أكمل من سابقتها، وأمّا الاختلاف في الكتاب وما حواه من المعارف الالٰهيّة فهو سبحانه ينسبه إلى بغي حَمَلته وطلبهم الفساد بذلك؛ إذ قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ... بَغْياً بَيْنَهُمْ...﴾ إلى آخره، دون فطرة الناس؛ إذ الفطرة على ما فطرها الله تعالى لا تقضي إلّا بالحق، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا

---

١. النحل (١٦): ٩٦.
٢. آل عمران (٣): ١٩.
٣. الأحزاب (٣٣): ٤٠.
٤. النحل (١٦): ٨٩.

لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ﴾[١] وقال: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢] وقال: ﴿الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣] فلا يضلّ في المعارف الالٰهيّة إلّا أهل البغي والظلم؛ ولذلك ذيّل الآية بقوله: ﴿فَهَدَىٰ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا.

وقوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللهُ﴾

أخذ البعثة ـ وأصلها البعث عن النوم؛ إذ هو الأنسب لما تحكيه الآية من حال الناس وخمودهم ـ دون الإرسال لاقتضائه خروج المرسَل عن حكم المرسل إليهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيِّينَ﴾

من النبأ بمعنى الخبر، والنبيّ هو الإنسان الذي عنده النبأ من الله وآياته، فالفعيل ما استقرّ فيه الفعل.

وقد قيل: إنّ الفرق بين النبيّ والرسول بالعموم والخصوص المطلق، فالرسول: هو الذي يُبعث فيؤمّر بالتبليغ ويحمل الرسالة، والنبيّ: هو المبعوث سواء أُمر بالتبليغ أم لم يؤمر، هذا.

لكن ينافيه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾[٤] وقوله تعالى:

---

١. الروم (٣٠): ٣٠.
٢. آل عمران (٣): ١٠١.
٣. الأنعام (٦): ٨٢.
٤. الأعراف (٧): ١٥٧.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[١] والآيتان في مقام المدح والتعظيم، ولا وجه معه لذكر الخاصّ بعد العامّ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[٢] فجعل النبيّ مرسلاً مثل الرسول، ولا يظهر من كلامه تعالى ما يعطي حقيقة هذين اللفظين حتّى يحكم بما يستفاد منها فيهما.

والذي يستفاد ممّا تشتمل عليه الروايات من الفرق: هو أنّ الرسالة بما هي رسالة بوحي المَلَك، وأنّ للنبيّ بما هو نبيّ منزلة ليست للرسول، وهو التلقّي من الله من غير وساطة المَلَك.

فعن *الكافي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[٣] قال: «النبيّ: الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول: الذي يسمع الصوت ولا يرى في المنام ويعاين...»[٤] الحديث. وكأنّه مستفاد من نحو قوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾[٥] وتمام الكلام في سورة الشعراء.

وكيف كان، فالقرآن صريح في أنّ الأنبياء كثيرون وأنّه تعالى لم يقصص الجميع في كتابه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[٦] والذين قصّهم بالاسم من الأنبياء سبعة وعشرون نبيّاً، وهم: آدم ونوح وادريس وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل واليسع وذوالكفل وإلياس وعزير وأيّوب ويونس وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب

---

١. مريم (١٩): ٥١.
٢. الحجّ (٢٢): ٥٢.
٣. مريم (١٩): ٥١ و ٥٤.
٤. *الكافي* ١: ١٧٦، الحديث: ١.
٥. الشعراء (٢٦): ١٣.
٦. غافر (٤٠): ٧٨.

وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإسماعيل صادق الوعد وعيسى ومحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.

وهناك عدّة لم يذكروا بالإسم، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾،[١] وقال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[٢] وقال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[٣] وقال: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾.[٥]

وهناك بعضٌ لا يتّضح من اللفظ أنّه نبيّ؛ كفتى موسى في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾[٦] والذي في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ﴾[٧] ومثل ذي القرنين من المصرَّح بأسمائهم، هذا.

وبالجملة: فلم يُذكر في القرآن لهم عدد يقفون عنده، والذي يشتمل عليه من الروايات آحاد مختلفة المتون، وأشهرها رواية أبي ذرّ عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ «أنّ الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ، والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً».[٨]

واعلم: أنّ سادات الأنبياء هم أُولو العزم منهم، وهم: نوح وإبراهيم وموسى

---

١. البقرة (٢): ٢٤٦.
٢. البقرة (٢): ٢٥٩.
٣. يس (٣٦): ١٤.
٤. الكهف (١٨): ٦٥.
٥. البقرة (٢): ١٣٦.
٦. الكهف (١٨): ٦٠.
٧. النمل (٢٧): ٤٠.
٨. *الخصائص* ٢: ٥٢٤، الحديث: ١٣.

وعيسى ومحمّد ـ صلوات الله عليهم ـ، وسيجيء الكلام في معنى عزمهم في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1] الآية.

وكلّ واحد منهم صاحب شرع وكتاب، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾[3] إلى أن قال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَىٰ ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾[4] إلى أن قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ﴾[5] فهذه كتب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ـ صلوات الله عليهم ـ.

وأمّا كتاب نوح فهو الذي تنبئ عنه هذه الآية: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ إذ هو سبحانه يقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[6] وهو في مقام الامتنان بجامعيّة شرع محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ للدين كلّه، فلو كان هناك دين وشرع قبل نوح أو بعده غير ما ذكره لذكره.

وإذ يقول في هذه الآية: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ

---

١. الأحقاف (٤٦): ٣٥.
٢. الأعلى (٨٧): ١٨.
٣. المائدة (٥): ٤٤.
٤. المائدة (٥): ٤٦.
٥. المائدة (٥): ٤٨.
٦. الشورى (٤٢): ١٣.

﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يفيد أنّ الدين إنّما نزّل بالكتاب، وهذا الكتاب: إمّا هو الكتب الرافعة للاختلاف فهو كتاب نوح، أو جنس الكتب فكتاب نوح ـ عليه السلام ـ فيها فافهم ذلك.

ومن هنا يعلم أنّ هذه الفترة كانت قبل زمان نوح ـ عليه السلام ـ وبعد آدم ـ عليه السلام ـ كما يفيده الروايات:

ففي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «كان ذلك قبل نوح، فقيل: فعلى هدىً كانوا؟ قال: بل كانوا ضلّالاً؛ وذلك أنّه لمّا انقرض آدم وصالح[١] ذرّيّته و[٢] بقي شيث وصيّه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذرّيّتهِ، وذلك أنّ قابيل كان يواعده بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فصار[٣] فيهم بالتقيّة والكتمان، فازدادوا كلّ يوم ضلالة،[٤] حتّى لم يبق على الأرض معهم إلّا من هو سلف، ولحق الوصيّ بجزيرة من[٥] البحر يعبد الله، فبدا لله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل، ولو سئل هؤلاء الجهّال لقالوا: قد فرغ من الأمر، وكذبوا، إنّما هو[٦] شيء يحكم[٧] الله في كلّ عام، ثمّ قرأ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٨] فيُحكم الله تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدّة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك.

---

١. في المصدر: «و صلح»
٢. في المصدر: ـ «و»
٣. في المصدر: «يسار»
٤. في المصدر: «ضلالاً».
٥. في المصدر: «في»
٦. في المصدر: «[هي]»
٧. في المصدر: + «به»
٨. الدخان (٤٤): ٤

قلت: أفضلّالاً كانوا قبل النبيّين أم على هدىً؟ قال: لم يكونوا على هدىً، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها، لا تبديل لخلق الله ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله، أما تسمع بقول إبراهيم: ﴿**قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ**﴾[١]؟! أي ناسياً للميثاق».[٢]

أقول: قوله: «لم يكونوا على هدىً، كانوا على فطرة الله...» إلى آخره، يفسّر معنى كونهم «ضلّالاً» في أوّل الحديث، وأنّهم إنّما خلوا عن الهداية التفصيليّة إلى المعارف الإلٰهيّة، وهي الهداية المطلقة في كلامه تعالى للمؤمنين، وأمّا الهداية الفطريّة الإجماليّة فهي تجامع الضلال بمعنى الجهل بالتفاصيل.

وإليه يشير ما في المجمع عن الباقر ـ عليه السلام ـ أنّه قال: «كان الناس[٣] قبل نوح اُمّة واحدة على فطرة الله؛ لا مهتدين ولا ضلّالاً، فبعث الله النبيّين...»[٤] الحديث.

فالهداية هدايتان: هداية فطريّة، كما قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾[٥] وهداية تفصيليّة، وهي التي يشير إليها بقوله: ﴿**فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ وإحدى الهدايتين عامّة والاُخرى خاصّة.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «أي ناسياً للميثاق» تفسير للضلال، فالهداية ذِكر الميثاق، وهذا يعطي للهداية حدّاً وراء معنى إراءة الطريق؛ وهو الإيصال إلى

---

١. الانعام (٦): ٧٧.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠٤ ـ ١٠٥، الحديث: ٣٠٩.

٣. في المصدر: «كانوا»

٤. مجمع *البيان* ٢: ٦٥.

٥. الأعلى (٨٧): ٣.

المطلوب إيصالاً حقيقيّاً، فيكون إطلاق الهداية على ما نتعارفه من الإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله ـ من غير حصول على حقائق المعارف الإلٰهيّة ـ إطلاقاً بالعناية، وهو كذلك، وقد مرّ من الكلام على معنى الهداية ما يُعِين على هذا المقام، والله الهادي.

*

[يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾]

قوله سبحانه: ﴿ مَاذَا يُنفِقُونَ ... ﴾

روي: أنّ عمرو بن الجموح كان شيخاً همّاً ذا مال عظيم، فقال: يا رسول الله، ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها؟ فنزلت.[1]

١. *تفسير الصافي* ١: ٢٤٦، الحديث: ٢١٥؛ *الدرّ المنثور* ١: ٢٤٣.

قوله سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ... ﴾

قيل: بعث رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عبد الله بن جحش[١] على سريّة في جمادى الآخرة قبل قتال[٢] بدر بشهرين؛ ليترصّد عيراً لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين واستقاوا العير وفيها تجارة الطائف، وكان ذلك أوّل يوم من[٣] رجب، وهم يظنّونه من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد الشهر الحرام، شهراً يأمن فيه الخائف وينذعر[٤] فيه الناس إلى معائشهم، (فوقف رسول الله العير، وعظم)[٥] ذلك على أصحاب السريّة وقالوا: ما نبرح حتّى تنزّل توبتنا، وردّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ العير والأسارى. وعن ابن عبّاس: لمّا نزلت أخذ رسول الله الغنيمة.[٦]

وفي تفسير *القمّي* بعد ذكر القصّة: «فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال: القتال في الشهر الحرام عظيم، ولكنّ الذي فعلت بك قريش:[٧] من الصدّ عن المسجد الحرام والكفر بالله وإخراجك منه أكبر عند الله، والفتنة ـ يعني الكفر بالله ـ أكبر من القتل، ثمّ

١. في المصدر: + «ابن عمته»
٢. في المصدر: ـ «قتال»
٣) في المصدر: «في غرّة»
٤. في المصدر: «ويذعر»
٥. في المصدر: «وشقّ»
٦. تفسير كنز *الدقائق* ١: ٥١٥.
٧. في المصدر: + «محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ»

أُنزلت عليه:[1] ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[2]».[3]

أقول: ظاهره أنّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لم يردّ الغنيمة كما في رواية ابن عبّاس، وهو اللائح من سياق الآية، وتفسير الفتنة بالكفر أيضاً يناسب السياق.

*

---

١. في المصدر: ـ «عليه»

٢. البقرة (٢): ١٩٤.

٣. تفسير *القمّي* ١: ٧٢.

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾

قيل: نزلت في قصّة أصحاب عبد الله بن جحش، حين خافوا على أنفسهم من الإثم؛ إذ قاتلوا في الشهر الحرام.

أقول: فيدلّ على أنّ العقاب والثواب يدوران مدار النيّة، وقد روى الفريقان عنه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه قال: «إنّما الأعمال بالنيّات».[1]

---

١. *تهذيب الأحكام* ١: ٨٣، الحديث: ٢١٨؛ *الأمالي* للطوسي: ٦١٨؛ *دعائم الإسلام* ١: ٤؛ صحيح *البخاري* ١: ٢؛ سنن *أبي داود* ١: ٤٩٠، الحديث: ٢٢٠١؛ *السنن الكبرى* ١: ٤١.

قوله سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾

في *الكافي* عن عليّ بن يقطين قال: «سأل المهدي أبا الحسن ـ عليه السلام ـ عن الخمر، هل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ؛ فإنّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون تحريمها،[١] فقال له أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: بل هي محرّمة.[٢]

فقال: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ[٣] يا أبا الحسن؟ فقال: «قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[٤] ـ إلى أن قال: ـ فأمّا الإثم فإنّها الخمر بعينها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ كما قال الله تعالى.

فقال المهدي: يا عليّ بن يقطين! هذه فتوى هاشميّة،[٥] فقلت له: صدقت[٦] يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يُخرج هذا العلم منكم أهل البيت، قال: فوالله ما صبر المهدي إلى أن قال لي: صدقت يا رافضيّ».[٧]

وفي *الكافي* أيضاً عن الوشّا عن أبي الحسن ـ عليه السلام ـ قال: «سمعته

---

١. في المصدر: «تحريم لها»
٢. في المصدر: + «في كتاب الله عزّ وجلّ يا أميرالمؤمنين»
٣. في المصدر: «جلّ اسمه»
٤. الأعراف (٧): ٣٣.
٥. في المصدر: + «قال»
٦. في المصدر: + «والله»
٧. *الكافي* ٦: ٤٠٦، الحديث: ١.

يقول: «الميسر هو القمار».[١]

أقول: والأخبار فيهما كثيرة لا غبار عليها.

قوله سبحانه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ... ﴾

قيل: سائله أيضاً عمرو بن الجموح، سأل أوّلاً عن المنفق والمصرف، فأُجيب بقوله تعالى: **﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ ﴾**[٢] وسأل ثانياً عن القدر، فأُجيب بالعفو.

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «العفو الوسط».[٣]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ: «الكفاف».[٤]

وفي رواية أبي بصير: «القصد».[٥]

وعن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية: **﴿ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً ﴾**[٦] قال: «نزلت[٧] هذه بعد هذه، هي الوسط».[٨]

وفي *المجمع* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «العفو: ما فضل عن قوت السنة».[٩]

---

١. *الكافي* ٥: ١٢٤، الحديث: ٩.
٢. البقرة (٢): ٢١٥.
٣. *الكافي* ٤: ٥٢، الحديث: ٣؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٠٦، الحديث: ٣١٤.
٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠٦، الحديث: ٣١٦.
٥. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠٦، الحديث: ٣١٧.
٦. الفرقان (٢٥): ٦٧.
٧. في المصدر: ـ «نزلت»
٨. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠٦، الحديث: ٣١٥.
٩. مجمع *البيان* ٢: ٨٢.

أقول: والروايات متوافقة، والأخيرة بيان مصداق.

قوله سبحانه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ... ﴾

في تفسير *القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّه لمّا نزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[1] أخرج كلّ من كان عنده يتيم، وسألوا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في إخراجهم، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾».[2]

أقول: والأخبار فيه كثيرة وجميعها تحوم حول ما تفيده الآية: من الأمر بالإصلاح لهم وفي مخالطتهم والنهي عن الإفساد.

وذيل الآية: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ ـ من العَنَت، وهي المشقّة ـ يدلّ على أنّه حكم تسهيليّ ثانياً.

*

١. النساء (٤): ١٠.
٢. تفسير *القمّي* ١: ٧٢.

[وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)]

قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ...﴾

قيل: نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي، بعثه رسول الله إلى مكّة ليُخرج منها ناساً من المسلمين، وكان قويّاً شجاعاً، فدعته امرأة ـ يقال لها: عناق ـ إلى نفسها، فأبى، فقالت: هل لك أن تتزوّج بي؟ فقال: حتّى أستأذن رسول الله، فلمّا رجع إلى المدينة استأذن في تزويجها، فنزلت.[1]

---

١. راجع: *تفسير كنز الدقائق* ١: ٥٢٤.

أقول: وسيجيء الكلام على الآية في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... ﴾[١] .

قوله سبحانه: ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ... ﴾ تشديد أن لا يقصدن بالإتيان؛ ولذا بدّل ثانياً عند رفع الحظر بقوله: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ فلا يفيد ذلك النهي عن سائر التمتّعات غير الإتيان المعهود، وقد عبّر في مثله في آية الصيام بقوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[٢] وكذلك يضاهي قوله: ﴿ فَأْتُوهُنَّ ﴾ في تقييده بقوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ ما في آية الرّفث من آيات الصيام من قوله: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾[٣] والنكتة واحدة.

فقوله: ﴿ فَأْتُوهُنَّ ﴾ ـ وإن كان أمراً بعد الحظر ـ لا يفيد أكثر من الإباحة والإذن، لكن قيّد بما قيّد دفعاً لما يتراءى من الأمر بأمر شهويّ معدود عند الناس من اللغو، فالمراد حينئذٍ من الأمر في قوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ الأمر التكويني؛ حيث وضعت العناية الإلهيّة عضو التناسل وقوّة التوليد في جهازين في مقدّم الذكر والأُنثى من الإنسان، واحتالت إلى الغرض بإيداع قوّة الباه وشهوة النكاح فيهما، حتّى تبعثهما إلى المقاربة والتناسل، فهو الأمر بذلك.

ومن هنا يظهر: أنّ الحال في قوله: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[٤] في تقييده

---

١. المائدة (٥): ٥.

٢. البقرة (٢): ١٨٧.

٣. البقرة (٢): ١٨٧.

٤. البقرة (٢): ٢٢٣.

بقوله: ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾[١] نظير الحال فيها، وأنّ المراد بقوله: ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ طلب الولد بإتيان الحرث، كما قيل.

ويستفاد ذلك ممّا روي عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ «أي فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله...»[٢] الحديث.

والتسمية بالحرث أيضاً لمثل هذا الغرض، على ما في هذه العبارات من الأدب البارع.

وفي *الكافي*: سئل الصادق ـ عليه السلام ـ: «ما لصاحب المرأة الحائض منها؟ فقال: كلّ شيء ما عدا القُبُل بعينه».[٣]

وفيه عنه ـ عليه السلام ـ: «في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيّامها، قال: إذا أصاب زوجها شبق، فليأمر[٤] فلتغسل فرجها، ثمّ يمسّها إن شاء قبل أن تغتسل».[٥]

وفي رواية: «والغسل أحبّ إليّ».[٦]

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة جدّاً، وهي تؤيّد قراءة ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف، وهو انقطاع الدم. فالمراد بـ ﴿ تَطَهَّرْنَ ﴾ إن كان هو الاغتسال أفاد استحباب الاغتسال عقيب الانقطاع، وهو قوله في الرواية: «والغسل أحبّ إليّ»، وإن كان هو الغَسل بفتح الغين أفاد الانقطاع؛ حيث إنّ غَسل المحلّ عادة

---

١. البقرة (٢): ٢٢٣.
٢. تهذيب *الأحكام* ٧: ٤١٤، الحديث: ٢٩.
٣. *الكافي* ٥: ٥٣٨، الحديث: ١.
٤. في المصدر: «فليأمرها»
٥. *الكافي* ٥: ٥٣٩، الحديث: ١.
٦. *الكافي* ٣: ٥١، الحديث: ١٠.

غالباً إنّما يتأتّى بعد انقطاع الدمّ، فافهم.

قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ، قال: «كان الناس يستنجون بالكرسف والأحجار، ثمّ أُحدث الوضوء، وهو خُلُق كريم، فأمر به رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وصنعه، فأنزل الله في كتابه: ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾».[١]

أقول: والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وفي بعضها: «أنّ أوّل من استنجى بالماء براء بن عازب، فنزلت الآية وجرت به السنّة».[٢]

وفي *الكافي* عن سلام بن المستنير، قال: «كنت عند أبي جعفر ـ عليه السلام ـ، فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ: أُخبرك أطال الله بقاءك[٣] وأمتعنا بك، إنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى ترقّ قلوبنا، وتسلو أنفسنا عن الدنيا، وهوّن[٤] علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثمّ نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس والتجّار أحببنا الدنيا، قال: فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: إنّما هي القلوب، مرّة تصعب ومرّة تسهل.

ثمّ قال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: أما إنّ أصحاب محمّد قالوا: يا رسول الله!

---

١. *الكافي* ٣: ١٨، الحديث: ١٣؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٠٩، الحديث: ٣٢٦.
٢. وسائل *الشيعة* ١: ٣٥٤، الحديث: ٩٤٢.
٣. في المصدر: + «لنا»
٤. في المصدر: «يهون»

نخاف علينا من[١] النفاق، قال: فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وَجِلْنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتّى كنّا[٢] نعاين الآخرة والجنّة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحالة[٣] التي كنّا عليها عندك، وحتّى كأنّا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟

فقال لهم رسول الله: كلّا إنّ هذه خطوات الشيطان، فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة ـ التي وصفتم أنفسكم بها ـ لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء، ولولا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله تعالى، لخلق خلقاً حتّى يذنبوا فيستغفروا[٤] الله تعالى فيغفر[٥] لهم، إنّ المؤمن مفتن توّاب، أما سمعت قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[٦]».[٧]

أقول: وروى مثله العيّاشي في *تفسيره*.[٨]

قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لو تدومون على الحالة...» إلى آخره، إشارة إلى مقام الولاية؛ وهو الانصراف عن الدنيا والإشراف على ما عند الله

١. في المصدر: ـ «من»
٢. في المصدر: «كأنّا»
٣. في المصدر: «الحال»
٤. في المصدر: «ثمّ يستغفروا»
٥. في المصدر: + «الله»
٦. هود (١١): ٣.
٧. *الكافي* ٢: ٤٢٣، الحديث: ١.
٨. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠٩، الحديث: ٣٢٧.

سبحانه؛ وقد مرّ شطر من الكلام عليه في ذيل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾.[١]

وقوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «ولولا أنّكم تذنبون...» إلى آخره، إشارة إلى سرّ القدر وحقيقته، وهو انسحاب حكم الأسماء إلى مرتبة الأفعال وجزئيّات الحوادث بحسب ما عندها من المفاهيم. وسيجيء شرح الحال فيه في ذيل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ... ﴾[٢] وقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ... ﴾[٣] وغيرهما.

وقوله: «أما سمعت قول الله ـ عزّ وجلّ ـ...» إلى آخره، من كلام أبي جعفر ـ عليه السلام ـ والخطاب لحمران، وهو تفسير التوبة والتطهّر بالرجوع إلى الله من المعاصي، وإزالة قذارات الذنوب عن النفس.

وهذا من استفادة مراتب الحكم من حكم بعض المراتب، نظير ما ورد في قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[٤] فاستدلّ به على أنّ علم الكتاب عند المطهّرين من أهل البيت، وعلى حرمة مسّ كتابة القرآن على غير طهارة.

فكما أنّ الخلقة تتنزّل آخذةً من الخزائن التي عند الله تعالى حتّى تنتهي إلى عالم المقادير، على ما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾،[٥] فكذلك أحكام المقادير لا تتنزّل إلّا بعد المرور من منازل الحقائق، فافهم ذلك.

---

١. البقرة (٢): ١٥٦.
٢. الحجر (١٥): ٢١.
٣. القمر (٥٤): ٤٩.
٤. الواقعة (٥٦): ٧٩.
٥. الحجر (١٥): ٢١.

وسيجيء بعض الكلام فيه في قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾.[١]

ومن هنا تستأنس: أنّ المراد بالتوبة في الآية، على ظاهر التنزيل في التوبة والتطهّر معاً هو الغسل بالماء، فهو إرجاع البدن إلى الله سبحانه بإزالة القذر عنه.

ويظهر أيضاً: معنى ما تقدّم عن *تفسير القمّي* من الرواية: «أنزل الله على إبراهيم ـ عليه السلام ـ الحنيفيّة، وهي الطهارة، وهي عشرة أشياء: خمسة في الرأس وخمسة في البدن؛ فأمّا التي في الرأس: فأخذ الشارب وإعفاء اللِّحى وطمّ الشعر والسواك والخلال، وأمّا التي في البدن: فأخذ[٢] الشعر من البدن والختان وقلم[٣] الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء، وهي[٤] الحنيفيّة الطاهرة التي جاء بها إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فلم تنسخ ولا تنسخ[٥] إلى يوم القيامة...»[٦] الحديث.

والأخبار في كون هذه الأمور من الطهارة كثيرة.[٧]

*

---

١. آل عمران (٣): ٧.
٢. في المصدر: «فحلق»
٣. في المصدر: «وتقليم»
٤. في المصدر: «هو»
٥. في المصدر: ـ «ولا تنسخ»
٦. *تفسير القمّي* ١: ٥٨.
٧. *سعد السعود*: ٨٣؛ *بحار الأنوار* ١٢: ٥٦.

[نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)]

قوله سبحانه: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الرضا ـ عليه السلام ـ في حديث قال ـ عليه السلام ـ: «إنّ اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ يعني من خلف أو قدّام؛ خلافاً لقول اليهود في أدبارهنّ».(١)

وفيه عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، فقال: «من قدّامها ومن خلفها في القُبُل».(٢)

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١١١، الحديث: ٣٣٣.

٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١١١، الحديث: ٣٣٢.

أقول: وأخذ لفظ «الحرث» في كلامه تعالى يفيد ذلك؛ فالآية لا تدلّ على أزيد من التوسعة في كيفيّة الإتيان، دون محلّه، وإن لم يكن محرّماً لدليل آخر.

وعلى ما ذكر ينزّل معنى ما في *تفسير العيّاشي* أيضاً عن الصادق ـ عليه السلام ـ في إتيان النساء في أعجازهنّ، قال: «لا بأس، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾».[١]

وفيه أيضاً عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية: «إنّما معنى ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ أي ساعة شئتم».[٢]

قوله سبحانه: ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا...** ﴾

فلانة عُرضة للنكاح: إذا كانت قويّة عليه مطيقة له، وفرس عرضة للركوب» كذلك.

وقوله تعالى: ﴿ **أَنْ تَبَرُّوا** ﴾ يمكن أن يتعلّق بقوله: ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا** ﴾ فيكون المعنى: لا تحلفوا بالله كثيراً حتّى تكونوا بارّين متّقين مصلحين بين الناس، فالمِقدام على الحلف المِكثار له يسقط عن أعين الناس، ويمكن أن يتعلّق بـ: ﴿ **أَيْمَانِكُمْ** ﴾ من دون تقدير «لا»؛ أي: لا تحلفوا للإصلاح، أو مع تقديره؛ أي: لا تحلفوا على ما ينافي البرّ والتقوى والإصلاح.

وقد وردت الروايات في تفسير الآية على جميع التقادير.

ففي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «هو قول الرجل: لا والله وبلى والله».[٣]

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١١٠، الحديث: ٣٣٠.
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١١١، الحديث: ٣٣٥.
٣. *تفسير العيّاشي* ١: ١١١، الحديث: ٣٣٧.

وفيه عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ قالا: «هو الرجل يصلح بين الرجلين، فيحمل ما بينهما من الإثم».[١]

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «إذا دعيت لتصلح بين اثنين فلا تقل: عليَّ يمين أن لا أفعل».[٢]

وقريب من الرواية ما في *تفسير العيّاشي* عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ في الآية: «يعني الرجل يحلف أن لا يكلّم أخاه وما أشبه ذلك، أو لا يكلّم أُمّه».[٣]

قوله سبحانه: ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...** ﴾

في *الكافي* عن مسعدة عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «اللغو: قول الرجل: لا والله وبلى والله، ولا يعقد على شيء».[٤]

أقول: وروي مثله عنه ـ عليه السلام ـ من غير الطريق.[٥]

وفي *المجمع* عنه وعن الباقر ـ عليهما السلام ـ مثله.[٦]

وقوله ـ عليه السلام ـ: «ولا يعقد...» إلى آخره، مستفاد من قوله تعالى: ﴿ **بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ** ﴾ ثمّ استدراكه تعالى بقوله: ﴿ **وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾. وفي التذييل باسم «الحليم» إشعار بالكراهة؛ لما فيه من الاستخفاف.

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١١٢، الحديث: ٣٣٨.
٢. *الكافي* ٢: ٢١٠، الحديث: ٦.
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١١٢، الحديث: ٣٣٩.
٤. *الكافي* ٧: ٤٤٣، الحديث: ١.
٥. عوالي *اللآلي* ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٤١.
٦. مجمع *البيان* ٢: ٩٣.

[لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّص أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٢٢٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ... ﴾

في *الكافي* عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ أنّهما قالا: «إذا آلى الرجل أن لا يقرب امرأته فليس لها قول ولا حقّ في الأربعة الأشهر، ولا إثم عليه في كفّه عنها في الأربعة الأشهر، فإن مضت الأربعة الأشهر قبل أن يمسّها فما سكتت[1] ورضيت فهو في حِلّ وسعة، فإن رفعت أمرها قيل له: إمّا أن تفيء فتمسّها، وإمّا أن تطلّق، وعزم الطلاق أن يخلّي عنها، فإذا حاضت وطهرت طلّقها، وهو أحقّ

---

١. في المصدر: «فسكتت»

برجعتها ما لم يمض ثلاثة قروء، فهذا الإيلاء الذي أنزل[١] الله تبارك وتعالى في كتابه وسنّة رسوله[٢]».[٣]

وفيه عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث: «والإيلاء أن يقول: والله لا أجامعكِ كذا وكذا، أو يقول: والله لأُغيضنّكِ ثمّ يغاظها...»[٤] الحديث.

أقول: والأخبار فيه كثيرة.[٥]

قوله سبحانه: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾

القرء ـ على ما نصّ عليه اللغويّون ـ من الأضداد؛ يطلق على الحيض وعلى الطهر.

وقوله: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ـ وهو الانتظار وحبس النفس عن الرجال ـ موضوع **بدل العدّة**، كما في قوله: ﴿ **فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ** ﴾[٦] للإشعار بحكمة الحبل **والحكم**؛ وهي انتظار المرأة للنكاح بحبس نفسها لئلّا يختلط الماءان.

وهذا هو الوجه في تقييد ﴿ **يَتَرَبَّصْنَ** ﴾ بـ: ﴿ **أَنْفُسِهِنَّ** ﴾ وذلك أنّ أنفس النساء ـ كما قيل ـ طوامح إلى الرجال، فأُمرن أن يقمعن أنفسهنّ ويغلبنها على الطموح، ويجبرنها على التربّص، ففي ذكر ﴿ **أَنْفُسِهِنَّ** ﴾ تهييج لهنّ على التربّص وزيادة بعث، وهذا إنّما يلائم الطهر دون الحيض؛ فإنّ المرأة إنّما تجبر نفسها

---

١. في المصدر: «أنزله»

٢. في المصدر: «رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ»

٣. *الكافي* ٦: ١٣١، الحديث: ٤.

٤. *الكافي* ٦: ١٣١، الحديث: ٣.

٥. *تهذيب الأحكام* ٨: ٢، الحديث: ٢؛ *الاستبصار* ٣: ٢٥٣، الحديث: ٢؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١١٣، الحديث: ٣٤٢.

٦. الطلاق (٦٥): ٤.

على التربّص وتحبسها عن النكاح في الطهر، وأمّا الحيض فلا سبيل لها إلى الرجال فيه، وقد سدّ الله سبحانه فيه السبيل إذ قال تعالى: ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[1] فقوله: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ قرينة على أنّ المراد بـ: «القرء» الطهر دون الحيض.

ومن هنا يندفع ما قيل: إنّ المراد بـ: «القرء» الحيض دون الطهر، مستنداً إلى قوله ـ عليه السلام: «دعي الصلاة[2] أيّام أقرائك» وقوله تعالى: ﴿ وَالْلَائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ... فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[3] فأقام الثلاثة أشهر مقام الحيض دون الطهر، وإلى أنّ الغرض الأصيل من العدّة استبراء الرحم، وهو إنّما يحصل بالحيض دون الطهر، انتهى ملخّصاً، هذا.

وممّا مرّ يظهر معنى الروايات الواردة في الباب:

ففي *تفسير العيّاشي* عن زرارة، قال: «سمعت ربيعة الرأي، وهو يقول: إنّ من رأيي أنّ الأقراء التي سمّى الله في القرآن إنّما هي الطهر فيما بين الحيضتين، وليس بالحيض، قال: فدخلت على أبي جعفر ـ عليه السلام ـ فحدّثته بما قال ربيعة، فقال: كذب ولم يقل برأيه، إنّما بلغه عن عليّ ـ عليه السلام ـ.

فقلت: أصلحك الله! أكان عليّ يقول ذلك؟ قال: نعم، كان يقول: إنّما القرء

---

١. البقرة (٢): ٢٢٢.

٢. أمّا قوله «دعي الصلاة...» إلى آخره، ففيه قرينة على إرادة الحيض، وهي الصلاة. وأمّا الآية: ﴿ وَالْلَائِي يَئِسْنَ... ﴾ الى آخره، فلم يقم الثلاثة أشهر مقام الحيضات، وإنّما هو نصب الثلاثة عدّة فقط، وأمّا أنّ الغرض الأصيل ـ وهو الاستبراء ـ إنّما يحصل بالحيض دون الطهر فهو حقّ، لكنّه غير مفيد للمستدلّ؛ إذ القائل بالأطهار إنّما يقول بخروج العدّة بتحقّق الحيضة الثالثة وطلوعها، فالغرض محفوظ على أيّ حال. [منه ـ رحمه الله ـ].

٣. الطلاق (٦٥): ٤.

الطهر، يقرأ[١] فيه الدم فيجمعه، فإذا جاءت دفعته.[٢] قلت: أصلحك الله! رجل طلّق امرأته طاهراً من غير جماع بشهادة عدلين، قال: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدّتها وحلّت للأزواج...»[٣] الحديث.

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة،[٤] وقد عرفت دلالة الآية على ذلك، وفيها إشارة إلى المعنى الأصيل في مادّة القرء: وهو ضمّ الأجزاء بعضها إلى بعض وجمعها وعملها.

قوله سبحانه: ﴿ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أنْ يَكْتُمْنَ... ﴾

في *المجمع* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «الحبل والحيض».[٥]

وفي *تفسير القمّي*: «وقد فوّض الله إلى النساء ثلاثة أشياء: الطهر والحيض والحبل».[٦]

أقول: وفي معناهما وما يقرب منه أخبار أُخر.

قوله سبحانه: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

في *تفسير القمّي* قال: قال ـ عليه السلام ـ: «حقّ الرجال على النساء أفضل من

١. في المصدر: «تقرأ»
٢. في المصدر: «حاضت قذفته»
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١١٤، الحديث: ٣٥١.
٤. *الكافي* ٦: ٨٩، الحديث: ١؛ *تهذيب الأحكام* ٨: ١٢٣، الحديث: ٢٨؛ *الاستبصار* ٣: ٣٢٧، الحديث: ٤.
٥. مجمع *البيان* ٢: ٩٩.
٦. تفسير *القمّي* ١: ٧٤.

حقّ النساء على الرجال». [١]

أقول: هذه الأفضليّة لا تنافي المماثلة بين الحقّين، فالحقّان إذا لوحظا في نفسهما كان حقّ الرجال أفضل، وإذا لوحظا من حيث درجة الرجال عليهنّ بانت الموازنة والمماثلة بينهما؛ فإنّ العدل أن يجعل لكلّ من القويّ والضعيف، والفاضل والمفضول من الحقّ ما يوازن درجته، فيعتدل الأمر ولا يجار في الحكم؛ ولذلك قيّد إطلاق قوله: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ بقوله: ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾، ليعلم كيفيّة المثليّة.

*

١. *تفسير القمّي* ١: ٧٤.

[الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)]

قوله سبحانه: ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... ﴾
في *التهذيب* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «التطليقة الثالثة تسريح بإحسان».[١]

قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾
في *الفقيه* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «إذا قالت المرأة لزوجها جملة: لا أُطيع لك أمراً ـ مفسّرة أو غير مفسّرة ـ حلّ له أن يأخذ[٢] منها، وليس له عليها رجعة».[٣]

أقول: والأخبار في الخلع والمباراة كثيرة لا حاجة إلى إيرادها.

قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ... ﴾
في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «عن رجل طلّق امرأته طلاقاً لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره، فتزوّجها عبد ثمّ طلّقها، هل يهدم الطلاق؟ قال: نعم لقول الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه: ﴿ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾[٤]».[٥]

وفي *التهذيب* عن محمّد بن مضارب، قال سألت الرضا ـ عليه السلام ـ عن الخصيّ يحلّل؟ قال: «لا يحلّل».[٦]

وفيه عن الصادق ـ عليه السلام ـ: عن تزويج المتعة أيحلّل؟ قال: «لا؛ لأنّ الله يقول: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ... حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا

---

١. تهذيب *الأحكام* ٨: ٢٥، الحديث: ١.
٢. في المصدر: «ما أخذ»
٣. من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٥٢٣، الحديث: ٤٨٢٣.
٤. في المصدر: + «وقال: هو أحد الأزواج»
٥. *الكافي* ٥: ٤٢٥، الحديث: ٣.
٦. تهذيب *الأحكام* ٧: ٤٧٥، الحديث: ١١٧٠.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾[١] والمتعة ليس فيه[٢] طلاق».[٣]

أقول: والأخبار ها هنا ـ على وفق الآية ـ كثيرة.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ... ﴾

في *الفقيه* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «الرجل يطلّق حتّى إذا كاد أن يخلو أجلها راجعها، ثمّ طلّقها؛ يفعل ذلك ثلاث مرّات[٥]».[٦]

أقول: قوله تعالى: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ هو القرينة على إرادة اقتراب الأجل من بلوغه.

وفيه عنه ـ عليه السلام ـ قال: «لا ينبغي للرجل أن يطلّق امرأته، ثمّ يراجعها وليس له فيها حاجة، ثمّ يطلّقها، فهذا الضرار الذي نهى الله عنه، إلّا أن يطلّق ثمّ يراجع وهو ينوي الإمساك».[٧]

أقول: والأخبار فيه كثيرة.[٨]

قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً ﴾

هذه التذييلات في هذه الأحكام أحكام الطلاق ـ كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ

---

١. في المصدر: ـ «فلا جناالحديث: عليهما أن يتراجعا»
٢. في المصدر: «فيها»
٣. *تهذيب الأحكام* ٨: ٣٤، الحديث: ٢٢.
٤. *الاستبصار* ٣: ٢٧٥، الحديث: ٢٠؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١١٨، الحديث: ٣٧١.
٥. في المصدر: + «فنهى الله ـ عزّ وجلّ ـ عن ذلك»
٦. من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٥٠١، الحديث: ٤٧٦١.
٧. من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٥٠١، الحديث: ٤٧٦٢.
٨. *وسائل الشيعة* ٢٢: ١٧١، الحديث: ٢٨٣٠٩.

اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ وغير ذلك ـ مشعرة بأنّ جملة الحكمة في الحكم وتحديده هو عدم الاستخفاف بعلقة الزوجيّة، كما في *الفقيه* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في العلّة التي من أجلها لا تحلّ المطلّقة للعدّة لزوجها حتّى تنكح زوجاً غيره، فقال ـ عليه السلام ـ: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ إنّما أذن في الطلاق مرّتين، فقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ يعني في التطليقة الثالثة، ولدخوله فيما كره الله ـ عزّوجلّ ـ[1] من الطلاق الذي[2] حرّمها عليه، فلا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره؛ لئلّا يوقع الناس في الاستخفاف بالطلاق، ولا تضارّ[3] النساء...»[4] الحديث.

*

١. في المصدر: + «له»
٢. في المصدر: «الثالث»
٣. في المصدر: «لا تضاروا»
٤. من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٥٠٢، الحديث: ٤٧٦٤.

[وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)]

قوله سبحانه: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ... ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ قال: ما دام الولد في الرضاع فهو بين الأبوين بالسويّة، فإذا فطم فالوالد[1] [2] أحقّ به من العصبة، وإن وجد الأب من يرضعه بأربعة دراهم؛ وقالت الأمّ: لا أُرضعه إلّا بخمسة دراهم، فإنّ له أن ينزعه منها،

١. في المصدر: «فالأب»
٢. في المصدر: + «أحقّ من الأمّ فإذا مات الأب فالأمّ»

إلّا أنّ ذلك أجبر[١] له وأقدم وأرفق به أن يترك مع أُمّه».[٢]

وعنه ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿لَا تُضَارَّ﴾ قال: «كانت المرأة ممّن ترفع يدها إلى الرجل إذا أراد مجامعتها، فتقول: لا أدعك؛ إنّي أخاف أن أحمل على ولدي، ويقول الرجل للمرأة: لا أُجامعكِ؛ إنّي أخاف أن تعلقي فأقتل ولدي، فنهى الله عن أن يضارّ الرجل المرأة والمرأة الرجل».[٣]

وعن أحدهما ـ عليهما السلام ـ في قوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قال: «هو في النفقة، على الوارث مثل ما على الوالد»[٤].

وعن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «لا ينبغي للوارث أيضاً[٥] أن يضارّ المرأة، فيقول: لا أدع ولدها يأتيها، ويضارّ ولدها إن كان لهم عنده شيء، ولا ينبغي له أن يقتر عليه»[٦].

وعن حمّاد عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «لا رضاع بعد فطام، قال: قلت له: جعلت فداك، وما الفطام؟ قال: الحولين[٧] الذي قال الله ـ عزّ وجلّ ـ».[٨]

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة،[٩] والجميع يحوم حول ظاهر الآية.

---

١. في المصدر: «أخير [أجبر أجير]»
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٠، الحديث: ٣٨٠.
٣. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٠، الحديث: ٣٨٢.
٤. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢١، الحديث: ٣٨٣.
٥. في المصدر: ـ «أيضاً»
٦. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢١، الحديث: ٣٨٤.
٧. في المصدر: «الحولان»
٨. *الكافي* ٥: ٤٤٣، الحديث: ٣.
٩. تهذيب *الأحكام* ٧: ٣١٨، الحديث: ٢١؛ *الاستبصار* ٣: ١٩٨، الحديث: ٢١؛ *وسائل الشيعة* ٢٠: ٣٨٥، الحديث: ٢٥٨٩٤.

وقوله: ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وقوله: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ للإشارة إلى ملاك الحكم، وهو ظاهر.

كما أنّ قوله: ﴿ الْمَوْلُودِ لَهُ ﴾ ـ من غير أن يعبّر بـ«الوالد» ـ للإشارة إلى ذلك أيضاً.

فإنّ الولادة إذا كانت للأب فالوظائف المتعلّقة بها متعلّقة به دون الأمّ، ومنها كسوة المرضع ونفقتها.

وقد قيل: إنّ التعبير بالمولود له دون الوالد؛ للإشارة إلى أنّ الولد ولد الأب للنسب دون الأمّ، وأنشد قول المأمون:

وإنّما أمّهات الناس أوعية ... مستودعات وللأحساب آباء

وهذا القائل كأنّه ذهل عن صدر الآية وذيلها، إذ يقول: ﴿ أَوْلَادَهُنَّ ﴾، ويقول: ﴿ بِوَلَدِهَا ﴾ والإضافة لاميّة، ولم يبيّن في استدلاله أزيد ممّا يفيده اللام في قوله: ﴿ الْمَوْلُودِ لَهُ ﴾ ونسي أيضاً آية التحريم، وآية المباهلة وغيرهما. وأمّا كلام المأمون فأخفض سطحاً من أن يؤيّد أو ينظّر بأمثاله كلام الله سبحانه.

*

[وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)]

قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً... ﴾

في *العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ: «أوجب عليها إذا أُصيبت بزوجها وتوفّي عنها بمثل ما أوجب عليها في حياته إذا آلى منها، وعلم أنّ غاية صبر المرأة أربعة أشهر في ترك الجماع، فمن ثَمّ أوجب عليها[1]».[2]

وفي *التهذيب* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «كلّ النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة، وعلى أيّ وجه كان النكاح منه ـ متعةً أو تزويجاً أو ملك يمين ـ فالعدّة أربعة أشهر وعشراً».[3]

أقول: وفي معناها روايات أُخر،[4] وها هنا من الروايات ما تعارضها، والعلاج في محلّه.

قوله سبحانه: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ...﴾

في تفسير *العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية: «المرأة في عدّتها تقول لها قولاً جميلاً ترغّبها في نفسك، ولا تقول: إنّي أصنع كذا وأصنع كذا القبيح من الأمر في البضع، وكلّ أمر قبيح».[5]

وفي رواية أُخرى: «تقول لها وهي في عدّتها: يا هذه لا أُحبّ[6] إلّا ما أسرّك، ولو قد مضى عدّتك لا تفوتيني[7] إن شاء الله ولا تستبقي[8] بنفسك

١. في المصدر: + «ولها»
٢. *علل الشرائع* ٢: ٥٠٧، الحديث: ١.
٣. تهذيب *الأحكام* ٨: ١٥٧، الحديث: ١٤٤.
٤. *الاستبصار* ٣: ٣٥٠، الحديث: ٢؛ *عوالي اللآلي* ٣: ٣٤٥، الحديث: ٢٧٣.
٥. تفسير *العيّاشي* ١: ١٢٣، الحديث: ٣٩٤.
٦. في المصدر: «ما أُحبّ»
٧. في المصدر: - «لا تفوتني»
٨. في المصدر: «فلا تسبقني»

وهذا كلّه من غير أن يعزموا عقدة النكاح». [١]

أقول: ومثلها روايات أُخر في معناها.

والمراد بـ: ﴿الْكِتَابُ﴾ المكتوب من العدّة.

قوله سبحانه: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ، قال: «إذا طلّق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلها نصف مهرها، وإن لم يكن سمّى لها مهراً فمتاع بالمعروف، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، وليس لها عدّة، وتزوّج من شاءت من ساعتها». [٢]

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «في رجل طلّق امرأته قبل أن يدخل بها، قال: عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً، وإن لم يكن فرض لها فليمتّعها على نحو ما يمتّع [٣] مثلها من النساء». [٤]

أقول: وهو تفسير «المتاع بالمعروف».

وفي *الكافي* و*التهذيب* و*تفسير العيّاشي* وغيرها، عن الباقر والصادق ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ قالا: «هو الوليّ». [٥]

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة. [٦]

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٣، الحديث: ٣٩٥.

٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٤، الحديث: ٣٩٧.

٣. في المصدر: + «به»

٤. *الكافي* ٦: ١٠٨، الحديث: ١١.

٥. *الكافي* ٦: ١٠٦، الحديث: ٣٩٢؛ *تهذيب الأحكام* ٧: ٣٩٢، الحديث: ٤٨؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٠، الحديث: ٤٠٥.

٦. *تهذيب الأحكام* ٨: ١٤٢، الحديث: ٩٢؛ *من لا يحضره الفقيه* ٣: ٥٠٦، الحديث: ٤٧٧٨؛ *تفسير القمّي* ١: ٧٧؛ *وسائل الشيعة* ٢١: ٣١٥، الحديث: ٢٧١٧٢.

[حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾]

قوله سبحانه: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى... ﴾

في *الكافي* و*الفقيه* و*تفسيري العيّاشي والقمّي*، بطرق كثيرة عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ: «إنّ الصلاة الوسطى هي الظهر[1]».[2]

أقول: ويؤيّدها ما في *تفسيرالعيّاشي* عن محمّد بن مسلم عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «قلت له: الصلاة الوسطى، فقال: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ

---

١. في تفسير *القمّي*: «صلاة العصر»

٢. *الكافي* ٣: ٢٧١، الحديث: ١؛ من لا يحضره *الفقيه* ١: ١٩٥، الحديث: ٦٠٠؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٥؛ تفسير *القمّي* ١: ٧٩؛ بحار *الأنوار* ٧٩: ٢٩٠.

الْوُسْطَىٰ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾ والوسطى هي الظهر، وكذلك كان يقرأها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ...»[١] الحديث.

وروي هذه القراءة في بعض روايات العامّة أيضاً.[٢]

وروي: «الصلاة الوسطى صلاة العصر» من غير عطف، كما رواها القمّي عن الصادق ـ عليه السلام ـ.[٣]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾: «إقبال الرجل على صلاته ومحافظته على وقتها؛ حتّى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء».[٤]

وفي *المجمع* قال:[٥] هو الدعاء في الصلاة[٦] حال القيام، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله ـ عليه السلام ـ».[٧]

أقول: ولا منافاة بين الروايتين، وهو ظاهر.

وفي بعض الروايات تأويل الصلوات بالنبيّ وآله ـ عليهم السلام ـ، وسيجيء بيانه.

قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية: «إذا خاف من سبع أو

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٥.
٢. *سنن أبي داود* ١: ١٠٢، الحديث: ٤١٠؛ *السنن الكبرى* للبيهقي ١: ٤٦٢؛ *كنز العمّال* ٢: ٣٧٠، الحديث: ٤٢٧٥.
٣. *تفسير القمّي* ١: ٧٩.
٤. *تفسير العيّاشي* ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٨.
٥. في المصدر + «القنوت»
٦. في المصدر: + «في»
٧. *مجمع البيان* ٢: ١٢٨.

لصّ[١] يكبّر ويومىء أيماءاً[٢]».[٣]

وفي *الفقيه* عنه ـ عليه السلام ـ في صلاة الزحف، قال ـ عليه السلام ـ: «تكبير وتهليل، ثمّ تلا الآية».[٤]

وفيه عنه ـ عليه السلام ـ: «إن كنت في أرض مخوفة، فخشيت لصّاً أو سبعاً، فصلّ الفريضة وأنت على دابّتك».[٥]

وفيه عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «الذي يخاف اللصوص يصلّي إيماءاً على دابّته».[٦]

أقول: وفي هذه المضامين روايات أُخر.[٧]

واعلم: أنّه يمكن أن يستفاد من قوله تعالى: ﴿ **حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ** ﴾ على ما يعين عليه قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً** ﴾ ضرب القاعدة لأحكام الصلاة في الشكّ، كما يستفاد من أدلّة قاعدتَي «التجاوز» و«الفراغ»، وأحكام الشكّ في عدد الركعات، كقوله ـ عليه السلام ـ: «ينبغي لك أن تحتاط في الصلوات كلّها».

بيان ذلك: أنّ التشقيق بقوله: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ** ﴾ يوجب كون حكم الخوف مترتّباً على المحافظة على الصلوات، وهو حكم واقعيّ ثانويّ لا معنى لترتّبه على غير

---

١. في المصدر: + «كيف يصلّي قال»
٢. في المصدر: «برأسه»
٣. *الكافي* ٣: ٤٥٧، الحديث: ٦.
٤. من لا يحضره *الفقيه* ١: ٤٦٥، الحديث: ١٣٤١.
٥. من لا يحضره *الفقيه* ١: ٤٦٥، الحديث: ١٣٤٢.
٦. من لا يحضره *الفقيه* ١: ٤٦٥، الحديث: ١٣٤٣.
٧. تهذيب الأحكام ٣: ١٧٣، الحديث: ٣؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٢٨، الحديث: ٤٢٤.

الحكم الواقعي الأوّلي ترتّب أحد الشقّين على الآخر، والاحتياط والتحفّظ على الصلوات حكم طريقيّ لحفظ الواقع ظاهريّ، منطبق على صورة الخوف كانطباقه على أصل الصلاة؛ فإنّ الاحتياط في الدين ـ على حسنه ـ لا يختصّ بحكم دون حكم، وإن اختلف فيها من حيث التأكّد وعدمه.

ومن هنا يتبيّن أنّ قوله: ﴿ **حَافِظُوا** ﴾ مشتمل على الحكم الواقعي الأوّلي.

فالقواعد المشتملة على أحكام الشكّ بأنواعه في الصلاة تشتمل على أحكام واقعيّة ـ مترتّبة على أُخرى كذلك ترتّب الموضوع على الموضوع؛ كالمريض على الصحيح، وفاقد الماء على واجده ـ دون الأحكام الظاهريّة المتفرّعة على الواقعيّة مع بقاء الموضوع واختلاف حاله باليقين والشكّ، فبعروض الشكّ ينقلب الحكم الواقعي إلى آخر من مثله، فافهم.

وقد تنبّه لذلك بعض الأجلّة في قاعدتَي «التجاوز» و«الفراغ»، فذكر أنّهما فرعا قاعدة «الاحتياط» المجعولة في الصلاة، على ما يستفاد من دليلهما، وقوّاه بعض الأساطين من أساتيذنا في أحكام الشكّ في عدد الركعات، وذهب إلى انقلاب التكليف عند الشكّ في عدد الركعات إلى ما يقتضيه الاحتياط، وصرّح بعدم تنجّز العلم الإجمالي المربوط بصور الشكّ.

قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿ إِخْرَاجٍ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن أبي بصير قال: «سألته عن قول الله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إِخْرَاجٍ** ﴾ قال ـ عليه السلام ـ: هي منسوخة، قلت: وكيف كانت؟ قال: كان الرجل إذا مات أُنفق على امرأته من صلب المال حولاً، ثمّ أُخرجت

بلا ميراث، ثمّ نسختها آية الربع والثمن، فالمرأة ينفق عليها من نصيبها».[١]

وفيه عن معاوية بن عمّار قال: «سألته عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ...﴾ قال: منسوخة، نسختها آية ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[٢] ونسختها آية الميراث».[٣]

أقول: وعليه روايات أُخر.[٤]

قوله سبحانه: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ...﴾

في *الكافي* و*تفسير العيّاشي*: «سئل الصادق ـ عليه السلام ـ عن الرجل يطلّق امرأته يمتّعها؟ قال: نعم، أما يحبّ أن يكون من المحسنين؟! أما يحبّ أن يكون من المتّقين؟!».[٥]

أقول: إشارة إلى ما في آيتي المتعة: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[٦] ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

*

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١٢٩، الحديث: ٤٢٧.
٢. البقرة (٢): ٢٣٤.
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١٢٩، الحديث: ٤٢٦.
٤. تفسير *القمّي* ١: ٥؛ *وسائل الشيعة* ٢٢: ٢٣٧، الحديث: ٢٨٤٨١.
٥. *الكافي* ٦: ١٠٤، الحديث: ١؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٢٤، الحديث: ٣٩٦.
٦. البقرة (٢): ٢٣٦.

[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾

في *الاحتجاج* عن الصادق ـ عليه السلام ـ، في حديث، قال ـ عليه السلام ـ: «أحيى الله قوماً خرجوا من أوطانهم هاربين من الطاعون، لا يحصى عددهم، فأماتهم الله دهراً طويلاً؛ حتّى بليت عظامهم وتقطّعت أوصالهم وصاروا تراباً، فبعث الله في وقت أحبّ أن يُري خلقه نبيّاً يقال له: حزقيل، فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيها أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا، لا يفتقدون في أعدادهم رجلاً، فعاشوا بعد ذلك دهراً طويلاً».(١)

أقول: وروى هذا المعنى الكليني والعيّاشي بنحو أبسط، وفي آخره: «وفيهم نزلت هذه الآية».(٢)

---

١. *الاحتجاج* ٢: ٣٤٤.

٢. *الكافي* ٨: ١٩٨، الحديث: ٢٣٧؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٣٠، الحديث: ٤٣٣.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «فعاشوا بعد ذلك...» إلى آخره، يمكن أن يستفاد من سياق الآية؛ إذ لو كان إحياءاً بلا إعاشة ـ كأن يكون ذلك لآية معجزة كما في قصّة أصحاب الكهف، أو تحدّياً من نبيّ ـ كان الغرض الأصيل متعلّقاً به وببيانه، ولم يجز في مسلك البلاغة إلغاؤه والصفح عنه، وهو ظاهر، ولم يكن لتذييله بما ذيّل به من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ وجه، والسياق أيضاً يفيد كون إحيائهم فضلاً عليهم، فعلّله بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ لا أنّ الله أحياهم ليعتبر به وبهم المعتبرون أنّ الله لذو فضل على الناس؛ إذ لو كان كذلك لم يكن بُدٌّ في الكلام من ذكر الغرض.

*

[مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)]

قوله سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ...﴾

في *المعاني* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «لمّا نزلت[١] هذه الآية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[٢] قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: اللهمّ زدني، فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٣] قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: اللهمّ زِدني، فأنزل الله:[٤] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ فعلم رسول الله أنّ الكثير من الله[٥] لا يحصى، وليس له منتهى».[٦]

---

١. في المصدر: + «على النبيّ»
٢. النمل (٢٧): ٨٩.
٣. الأنعام (٦): ١٦٠.
٤. في المصدر: + «تعالى»
٥. في المصدر: + «عزّ وجلّ»
٦. *معاني الأخبار*: ٣٩٧، الحديث: ٥٤.

أقول: وروى الطبرسي والعيّاشي[١] نظيره.

قوله ـ عليه السلام ـ: «فعلم رسول الله ...» إلى آخره، يومئ إليه آخر الآية: ﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إذ لا نهاية لعطائه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[٢] فالتذييل بالعطاء الغير المتناهي يفيد ذلك.

وفي *تفسير العيّاشي* عن أبي الحسن ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «هي صلة الإمام».[٣]

أقول: وروى مثله في *الكافي*[٤] عن الصادق ـ عليه السلام ـ، وهو من باب عدّ المصداق.

*

---

١. مجمع *البيان* ٢: ١٣٧؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٣١، الحديث: ٤٣٤.
٢. الإسراء (١٧): ٢٠.
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣١، الحديث: ٤٣٥.
٤. *الكافي* ١: ٥٣٧، الحديث: ٢.

[أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...** ﴾

الروايات متكاثرة في ذكر هذه القصّة، ولا تزيد على ما ذكره الله تعالى منها إلّا خصوصيّات ـ سنوردها إن شاء الله ـ خاصّة.

قوله سبحانه: ﴿ **لِنَبِيٍّ لَهُمُ** ﴾

في *المجمع* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «هو اشموئيل، وهو بالعربيّة إسماعيل».[١]

قوله سبحانه: ﴿ **وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ...** ﴾

في *تفسير القمّي* عنه ـ عليه السلام ـ في حديث: ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً** ﴾ فغضبوا من ذلك وقالوا: ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ** ﴾ وكانت النبوّة في بيت لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد ابن يامين[٢] أخي يوسف لأُمّه، ولم يكن من بيت النبوّة ولا من بيت الملكة[٣] ﴿ **قَالَ** ﴾ لهم نبيّهم ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ**

---

١. تفسير *الصافي* ١: ٢٧٣ نقلاً عن *مجمع البيان*.

٢. في المصدر: «بنيامين»

٣. في المصدر: «المملكة»

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم، إلّا أنّه كان فقيراً، فعابوه بالفقر، فقالوا: لم يؤت سعة من المال...»[١] الحديث.

قوله سبحانه: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

في عدّة روايات عنهم ـ عليهم السلام ـ: «إنّ السكينة ريح تخرج من الجنّة، لها صورة كصورة الإنسان».[٢]

أقول: وكون التابوت فيه السكينة: هو إفاضته تعالى الأمنة والطمأنينة على قلوب بني إسرائيل كلّما قدّموه أمامهم في الحروب، كنزول السكينة على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعلى المؤمنين.

وأمّا كونها ريحاً لها صورة كصورة الإنسان: فمن التمثّلات البرزخيّة التي وردت في المعاني الغير الجسمانيّة، وتجسّمها في الدنيا أو في الآخرة، وسيأتي إن شاء الله بيانه.

ويشهد به: ما في *تفسير العيّاشي* عن العبّاس بن الهلال عن الرضا ـ عليه السلام ـ قال: «سمعته وهو يقول للحسن: أيّ شيء السكينة عندكم؟ وقرأ ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾[٣] فقال له الحسن: جعلت فداك! لا أدري، فأيّ شيء هي؟ قال ـ عليه السلام ـ: هي ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة وجه الإنسان، قال: فتكون مع الأنبياء.

فقال له عليّ بن أسباط: تنزل على الأنبياء والأوصياء؟ فقال: تنزل على

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٨١.
٢. *الكافي* ٣: ٤٧١، الحديث: ٥؛ تفسير *القمّي* ١: ٨٢.
٣. الفتح (٤٨): ٢٦.

الأنبياء،[١] قال: وهي التي نزلت على إبراهيم ـ عليه السلام ـ حيث بنى الكعبة، فجعلت تأخذ كذا وكذا وبنى الأساس عليها، فقال له محمّد بن عليّ: قول الله: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ قال: هي من هذا...»[٢] الحديث.

فظهر أنّه وصف لمطلق السكينة النازلة على الأنبياء.

وقريب منه ما في *المعاني* عن أبي الحسن ـ عليه السلام ـ قال: «روح الله يتكلّم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلّمهم وأخبرهم...»[٣] الحديث.

وسيأتي الكلام في الروح أيضاً.

قوله سبحانه: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾

في *الكافي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «رضراض الألواح فيه العلم والحكمة».[٤]

أقول: يريد ـ عليه السلام ـ ألواح التوراة، كما صرّح به في روايات أُخر،[٥] وقد أُضيف إلى ذلك في الرواية السابقة عصا موسى، وفي أُخرى درعه، وفي أُخرى الطست التي يغسل فيها قلوب الأنبياء، وهو كلام متشابه لم يرد عنهم تفسيره، وقد ورد نظيره في قصّة لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قبل البعثة: «إنّ الملائكة أخرجت قلبه فغسلته بالطست...» الحديث، وإن أمكن تصحيح معناه.

---

١. في المصدر: + «والأوصياء»
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٢.
٣. *معاني الأخبار*: ٢٨٤، الحديث: ٢.
٤. *الكافي* ٨: ٣١٧، الحديث: ٥٠٠.
٥. *بحار الأنوار* ٥٧: ٢٥١.

وفي *تفسير القمّي* في قوله تعالى: ﴿ **وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ** ﴾ قال ـ عليه السلام ـ: «البقيّة: ذرّيّة الأنبياء...»[١] الحديث.

والظاهر أنّه غلط من الراوي، وإنّما ذكر ـ عليه السلام ـ الذرّيّة تفسيراً لآل موسى وآل هارون، فاشتبه عليه وظنّه تفسيراً للبقيّة. ويؤيّد ما ذكرناه: ما في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه: «سئل عن قول الله: ﴿ **وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ** ﴾ فقال: «ذرّيّة الأنبياء...»[٢] الحديث.

قوله سبحانه: ﴿ **تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ** ﴾

في الكافي عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «كانت تحمله في صورة البقرة...»[٣] الحديث.

قوله [سبحانه]: ﴿ **إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ...** ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية «فشربوا منه إلّا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف، ومنهم من لم يشرب، فلمّا برزوا قال الذي اغترفوا: ﴿ **لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ** ﴾ وقال الذين لم يغترفوا: ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾».[٤]

---

١. بحار *الأنوار* ١٣: ٤٤١، الحديث: ٤، نقلاً عن *تفسير القمّي*.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤١.
٣. *الكافي* ٨: ٣١٧، الحديث: ٤٩٩.
٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٤، الحديث: ٤٤٣.

أقول: الفرقتان القائلتان ـ القائلة: ﴿**لَا طَاقَةَ لَنَا**﴾ والقائلة: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ...**﴾ إلى آخره ـ جميعهما هم المؤمنون معه المجاوزون النهر كما يقصّه سبحانه، وحيث كان قوله: ﴿**إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً**﴾ استثناءاً من قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى**﴾ وقد أُخّر في الكلام، أفاد السياق رخصةً في الاغتراف وانحطاطاً في المنزلة عن الذين لم يشربوا، فأفاد ذلك أنّ القائلين: ﴿**لَا طَاقَةَ لَنَا**﴾ هم المغترفون بعينهم.

وقد ورد أنّ عدّة جنود طالوت كانت ستّين ألفاً.[1]

وقوله: ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ**﴾

الكلام فيه نظير الكلام في قوله: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ**﴾.[2]

*

١. بحار الأنوار ١٣: ٤٣٥.

٢. البقرة (٢): ٤٥ ـ ٤٦.

[فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)]

قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ... ﴾

قيل: أي دفع بعض الناس من المفسدين ببعض آخر مصلحاً أو مفسداً، كما يفيده الظاهر، وقيل: أي بنصر المؤمنين على الكافرين، وكأنّه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا آسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾[1]

وفي *الكافي* و *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإنّ الله ليدفع بمن يزكّي من شيعتنا عمّن لا يزكّي، ولو اجتمعوا على

---

١. الحجّ (٢٢): ٤٠.

ترك الزكاة لهلكوا، وإنّ الله ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ، ولو اجتمعوا على ترك الحجّ لهلكوا، وهو قول الله ـعزّ وجلّ ـ: **﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾** فوالله ما نزلت إلّا فيكم ولا عنى بها غيركم».[١]

أقول: مدار الأمر على المراد بفساد الأرض، فليس على حقيقته؛ إذ الأرض لا تفسد نفسها، وإنّما المراد فسادها من حيث أهلها: إمّا فسادها بهلاك أهلها ببليّة عامّة وسخط إلهيّ شامل، فيكون إنّما دُفع بعضٌ عن أن يشمله الهلاك بسبب صلاح بعض، وإمّا فسادها بسبب فساد نظام الدين أو نظام العيش، فيكون إنّما دُفع بعضُ الناس من مفسدي النظام بسبب بعض آخر من المفسدين أو المصلحين.

وفي قوله تعالى: **﴿ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾** إطلاق يشمل الجميع، ولا يستلزم ذلك كون قوله: **﴿ بَعْضَهُمْ ﴾** مفعولاً للدفع ومنصوباً بنزع الخافض معاً؛ فإنّه كما يصحّ أن يعتبر البلاء مدفوعاً عن الناس، كذلك يصحّ أن يعتبر الناس مدفوعين عن البلاء، فافهم.

وقد ورد هذا المعنى عن عليّ ـعليه السلام ـ رواه الطبرسي في *المجمع*.[٢]

*

١. *الكافي* ٢: ٤٥١، الحديث: ٤؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٦.
٢. مجمع *البيان* ٢: ١٥٢.

[تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٢٥٤)]

قوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ... ﴾

سياق الآية يعطي: أنّها في مقام بيان أنّ الاختلافات بين الناس بحسب الأفعال والآثار ـ كاختصاص كلٍّ بأمر وشأن ـ ناشئة عن الاختلاف بينهم في أنفسهم، وأنّ الجميع بإرادة الله تعالى وإذنه، فقال: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ ﴾ والإشارة بلفظ « تلك » لترفيع قدرهم وبُعد منالهم ووضوح شأنهم ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ثمّ قرع السمع بآثار تفضيلهم بنحو الإجمال.

لكنّ هذه الفضائل حيث كانت على قسمين ـ:

منها: ما هو بحسب نفس الاسم يدلّ على الفضيلة، كالآيات البيّنات والتأيّد

بروح القدس، كما ذكر لعيسى ـ عليه السلام ـ.

ومنها: ما ليس كذلك وإنّما يدلّ عليها بالإضافة؛ فالتكليم ليس بنفسه منقبةً حتّى يضاف إلى شيء يكتسب منه المنقبة، فيقال: «تكليم الله»، وكذا رفع الدرجات، حتّى يقال: «رفعه الدرجات» ـ كان ـ وهذا هو الوجه في الالتفات من التكلّم إلى الغيبة في اثنتين من الجمل الثلاث، حيث قال: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ فحوّل وجه الكلام إلى الغيبة في الجملتين الأُوليين؛ حتّى إذا استوفى الغرض عاد إلى وجه الكلام الأوّل وهو التكلّم، فقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ﴾.

وذلك هو الوجه في إيراد عيسى باسمه دون الباقين؛ إذ إيتاء البيّنات والتأييد بروح القدس مشتركان بين الرسل جميعاً، ليسا بمنقبة لأحدٍ بعينه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[1] وقال: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾[2] لكنّهما في عيسى حيث كانا بنحو خاصّ ـ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص من البيّنات، ونفخ الروح ـ أضافهما إليه، فصرّح بالاسم فيه دون غيره.

على أنّ في اسمه خاصّة أُخرى وآية بيّنة: وهو أنّه ابن مريم لا أب له، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[3] فمجموع الأُمّ والابن بيّنة تامّة أُخرى، هذا.

ثمّ وقع الالتفات إلى الغيبة، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ

---

١. الحديد (٥٧): ٢٥.

٢. النحل (١٦): ٢.

٣. الأنبياء (٢١): ٩١.

بَعْدِهِمْ﴾ وذلك أنّ الأُلوهيّة تنافي تقيّد القدرة، فـهي المـوجبة لكـون طـرفي الإيجاب والسلب في كلّ شيء تحت إحاطة القدرة، فمسّت حاجة المقام إلى إظهاره للذكر، فقيل: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾** ولم يقل: «ولو شئنا». وهذا هو الوجه في قوله في ذيل الآية: **﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**. وهو الوجه أيضاً في العدول من الإضمار إلى الإظهار في المواضع الثلاثة الأخيرة.

وكيف كان، فقد كان مقدوراً أن يمنع عن اقتتالهم، لكنّ اختلافهم بـحسب أنفسهم أوجب ذلك، وهو قوله تعالى: **﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾**.

ثمّ لمّا أمكن أن يتوهّم أنّه يوجب خروج الاقتتال عن حيطة القدرة ـ وإن كان داخلاً فيها لولاه ـ ذكر ثانياً أنّ القدرة باقية على حالها، فقال: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾** وعقّمَ السببَ ـ سبب الاقتتال ـ وألغى الاقتضاء **﴿وَلٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾** وقد أراد أن يُجري الأُمور بأسبابها، وإن كانت الأسباب والمسبَّبات والروابط التي بينها تحت قدرته وأمره عزّ شأنه.

وفي *الكافي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «في هذا ما يستدلّ به على أنّ أصحاب محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قد اختلفوا من بعده؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر».[1]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الأصبغ بن نباتة قال: «كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ يوم الجمل، فجاء رجل حتّى وقف بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين! كبّر القوم وكبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا، وصلّى القوم

---

١. *الكافي* ٨: ٢٧٠، الحديث: ٣٩٨.

وصلّينا، فعلامَ نقاتلهم؟

فقال ـ عليه السلام ـ: على هذه الآية: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ** ﴾ فنحن الذين من بعدهم، ﴿ **وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ فنحن الذين آمنّا، وهم الذين كفروا، فقال الرجل: كفر القوم وربِّ الكعبة، ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل رحمه الله». [1]

أقول: وروى هذه القصّة المفيد في *أماليه* والشيخ في *أماليه* والقمّي في *تفسيره*. [2]

قوله سبحانه: ﴿ **يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ** ﴾

المراد به يوم الموت، وقد مرّ.

*

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١٣٦، الحديث: ٤٤٨.

٢. *الأمالي* للمفيد: ١٠١، الحديث: ٣؛ *الأمالي* للطوسي: ١٩٧، الحديث: ٣٣٧؛ *تفسير القمّي* ١: ٨٣.

[اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)]

قوله سبحانه: ﴿ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ﴾

قد مرّ بعض الكلام في لفظ الجلالة؛ وأنّه سواء اشتقّ من «أله» بمعنى «تاه» أو من «أله» بمعنى «عبد» فلازم معناه: الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، فالضمير يعود إليه بالمعنى، وليس مثل الضمير في قوله: ﴿ وَهُوَ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ ﴾.[1]

وأمّا اسم «الحيّ» فمعناه: ذو الحياة الثابتة، على وزان سائر الصفات

١. القصص (٢٨): ٧٠.

المشبّهة في دلالتها على الدوام والثبات.

والناس في بادئ مطالعتهم لحال الموجودات التي بين أيديهم، وجدوها على قسمين: قسم لا يختلف حالها عند الحسّ مادام وجوداتها موجودة، كالأحجار وما أشبهها، وقسم منها ربّما تغيّرت حالها وتعطّلت قواها وأفعالها مع بقاء وجودها الظاهر عند الحسّ، كالإنسان وسائر أصناف الحيوان، ربّما نجدها تعطّلت قواها ومشاعرها وأفعالها، ثمّ يطرأ عليها الفساد تدريجاً.

وبذلك أذعن الإنسان أنّ هناك وراء الإحساس أمراً آخر، هو المبدأ للإحساسات والإدراكات العلميّة والأفعال، يسمّيه بالحياة، ويسمّى بطلانه بالموت.

وقد عدّ سبحانه هذه الحياة التي تحت إحساسنا شيئاً هيّناً لا يُعبأ به؛ فكرّر نحو قوله: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ ﴾[١] وقوله: ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٢] والمتاع: ما يقصد به الغير، والعرض: ما يعرض ويزول.

ثمّ شدّد الأمر أن عدّها سراباً وهميّاً، وأمراً مجازيّاً غير حقيقيّ، في مثل قوله: ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٣] والظاهر أنّ الإضافة بيانيّة، والزينة: هي الجميل الذي يُضمّ إلى الشيء ويُغرّ به قاصده، فيقصد غير ما يقع ويقع غير ما يقصد.

ومثل قوله: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾[٤] واللهو: ما يشغلك

---

١. الآية بهذا اللفظ وردت في القرآن مرّتين مقرونة بـ: «الغُرور»، وسيشير لاحقاً إلى ذلك اللفظ، وورد وصف الحياة الدنيا بالمتاع أو إضافة المتاع إلى الحياة الدنيا في آيات عديدة لكن ليس بهذا اللفظ، مثل: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ و﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اُنظر: غافر (٤٠): ٣٩، وآل عمران (٣): ١٤.

٢. النساء (٤): ٩٤.

٣. الكهف (١٨): ٢٨.

٤. العنكبوت (٢٩): ٦٤.

بنفسه عمّا يهمّك، واللعب: هو العمل المرتّب لغاية خياليّة، ومنه لعب الأطفال، ومثل قوله: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾.[١]

ومثل قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَايَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٢] ففرض الكلام في أُولي العقل، وهم أحياء بحسب ما يحكم به إحساساتنا، ثمّ نفى عنهم الحياة، فعلمنا بذلك أنّ حقيقة الحياة هي التي لا يطرأ عليها الموت.

وهو تعالى وإن عدّ الحياة الآخرة من الحياة الحقيقيّة، بقوله: ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] لكنّه سبحانه أفاد في آيات أُخرى كثيرة أنّه هو المُحيي فيها، المُفيض لها، بيده زمامها، فأفاد ذلك أنّ القصر في الآية للقلب أو الإفراد، فالحياة الحقيقيّة هي التي لا يجوز طروّ الموت عليها، ولا يعقل إلّا بكون الحياة عين ذات الحيّ، غير عارضة لها ولا طارئة عليها بتمليك الغير وإفاضته، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَاٰ يَمُوتُ ﴾.[٤]

ومن هنا يظهر أنّ قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَاٰ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٥] قصر حقيقيّ غير إضافيّ، وأنّ حقيقة الحياة ـ التي لا يشوبها موت، ولا يعتريها فناء وزوال ـ هي حياته تعالى فهو الحيّ بذاته والحياة بذاته، وغيره حيّ به.

فالأوفق في الآية: ﴿ اللهُ لَاٰ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ ﴾ وفي قوله: ﴿ اللهُ لَاٰ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ

---

١. آل عمران (٣): ١٨٥؛ الحديد (٥٧): ٢٠.

٢. النحل (١٦): ٢٠ ـ ٢١.

٣. العنكبوت (٢٩): ٦٤.

٤. الفرقان (٢٥): ٥٨.

٥. غافر (٤٠): ٦٥.

﴿**الْحَىُّ الْقَيُّومُ**﴾[١] أن يكون لفظ «الحيّ» خبراً بعد خبر، فيفيد الحصر، وقد عرفت أنّ معنى الحياة هو الوجود العلميّ؛ أي كون الموجود بحيث يشعر بذاته.

وأمّا اسم «القيّوم» فهو اسم يحكي عن قيامه سبحانه بأمرِ ما سواه من شيء، وإذ كان سبحانه هو المبدئ لكلّ شيء فهو القائم على كلّ ذاتٍ ووصفٍ وفعلٍ بحقيقة القيام التي لا يشوبها فتور.

ففي المقام حصران: حصر القيام عليه؛ على ما يفيده كون «القيّوم» خبراً بعد خبر، وحصره على القيام، فليس عنده إلّا القيام، وهذا هو الذي يفيده التقييد بقوله: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ وقد ضمّن الأخذ معنى الغلبة على ما قيل؛ ولذلك قدّمت السِّنة على النوم، وكان ظاهر مقتضى الحال العكس؛ بالتدرّج من النوم إلى السِّنة؛ فإنّ عدم أخذ النوم أضعف بالنسبة إلى عدم أخذ السِّنة، وهو ظاهر.

وهذا الاسم أُمّ الأسماء الإضافيّة الثابتة له سبحانه كالخالق والرازق والمحيي والمميت والباعث والوارث وغيرها، فكلّ واحد منها يحكي عن طور من أطوار القيمومة، وحيثيّة من حيثيّاتها.

وقوله سبحانه: ﴿**لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ...**﴾

هما جملتان كلّ واحدة منهما مقيّدة بقيدٍ في معنى دفع الدَّخل؛ قوله: ﴿**لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ**﴾ قيّد بقوله: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾

---

١. ظاهره وجود آيتين إحداهما مشتملة على لفظ «القيّوم» والأُخرى خالية عنه، والحال أنّ هذه الجملة وردت في القرآن مرّتين وفي كلتيهما يوجد لفظ القيّوم، أُنظر: آية الكرسي هنا؛ وآل عمران (٣): ٢.

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ قيِّد بقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾.

فأمّا قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فقد عرفت فيما مرّ معنى ملكه تعالى للموجودات، إلّا أنّ بين قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وقوله: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[1] فرقاً؛ وهو أنّ «اللام» يفيد الاختصاص الملكي مع التدبير، فينطبق على معنى الربوبيّة، والربوبيّة أنسب لمعنى القيمومة من الملك فقط، وهو ظاهر.

فيستقيم حينئذٍ استدراك مسألة الشفاعة؛ إذ لا مزاحمة بين كون الملك له سبحانه، وبين وجود شافع هناك، بخلاف الربوبيّة والتدبير فالشفاعة تزاحمها ظاهراً؛ حيث إنّها تنقض إبرام التدبير من المشفوع عنده، فدفع الوهم: بأنّ الشفاعة لو ثبتت فإنّما هي بإذنه، فهي من شؤون تدبير الربوبيّة فالشفاعة ـ كنفس الشفيع والمشفوع له ـ غير خارجة عن دائرة الربوبيّة وحيطتها، فافهم.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾

فما بين الأيدي: هو المشاهَد المعلوم، بخلاف الخلف الذي يغفل عنه، فينطبق بعض الانطباق على الشهادة والغيب، وهو الأنسب لمعنى قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فعلم المربِّي المدبِّر بمدبَّره ـ بالفتح ـ وإن كان لازماً في التدبير، لكنّ علمه بما بين يدي المدبَّر ـ بالفتح ـ وما يرتبط به من الماضي والمستقبل ألزم؛ وإلّا لم يتمّ التدبير وكان في معرض البطلان والفساد.

---

١. البقرة (٢): ١٠٧.

ومن هنا يظهر وجه العدول عن نحو قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾[2] وقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[3] وأمثالها الواردة في كلامه تعالى، إلى[4] قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ مع أنّ المناسب ظاهراً لمقام الربوبيّة التوسعة في عموم العلم وشموله.

وكذا العدول عن نحو قوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[5] ـ إلى قوله ـ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فإنّ هذا هو الأنسب لمقام الربوبيّة من حيث العنوان؛ إذ عنوانا «الغيب والشهادة» لا دخالة لهما في التدبير، بخلاف العلم بما بين يدي المربوب وما خلفه، وهو ظاهر.

ومن هنا يظهر الوجه في تذييله بقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ فإنّ من كمال التدبير أن يجهل المدبَّر ـ بالفتح ـ بما يعلمه ويريده المدبِّر ـ بالكسر ـ منه؛ لئلّا يحتال في التخلّص ممّا يكرهه إلى ما يحبّه لنفسه، فيختلّ بذلك أمر التدبير، كجماعة مسيَّرين على خلاف مشتهاهم ومرادهم، فيبالغ في التعمية عليهم؛ حتّى لا يدروا من أين سير بهم وفي أين نزلوا، و إلى أين يُقصد بهم، هذا.

فبيّن تعالى: أنّ العلم له سبحانه، وإنّما يحاط من علمه بما يحاط بمشيّته، فكلّ ما يعلمه عالم منهم ـ ثمّ يستخدم ذلك العلم في تدبير ـ فإنّما هو بمشيّته

---

١. آل عمران (٣): ٢٩.

٢. يونس (١٠): ٦١.

٣. آل عمران (٣): ٥.

٤. متعلق بقوله: «العدول» قبل أسطر.

٥. الأنعام (٦): ٧٣.

وإرادته، فهو من شؤون التدبير والتربية، فلا يسع لمُقدمٍ أن يُقدم على خلاف ما يريده سبحانه من التدبير لمملكته، إلّا وهو بعض التدبير.

وقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾

سياق الجملتين: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿ شَاءَ ﴾ يفيد أنّ المراد بوسعة الكرسي: إحاطة مقام السلطنة الإلهيّة، فيتعيّن للكرسي من المعنى: أنّه المقام الربوبيّ الذي يقوم به ما في السماوات وما في الأرض؛ من حيث إنّها مملوكة مدبَّرة معلومة، وللوسعة من المعنى: حفظ كلّ ما فيهما بذاته وآثاره ولذلك ذيّله بقوله: ﴿ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ وضمير الإفراد راجع إليه تعالى دون الكرسي، فالمعنى: لا يثقل عليه حفظهما حتّى يؤدّي إلى تعبٍ يستراح منه بالسِّنة والنوم، فقوله سبحانه: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ نظير التفسير والتوضيح لقوله تعالى: ﴿ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾.

وجمل الآية المتّسقة كلّ سابقة منها يجري مجرى السبب المقتضي للاحقتها؛ فوسعة الكرسي للسماوات والأرض مسبَّبة عن شمول الربوبيّة والعلم، ووسعة العلم مسبّبة عن وسعة الربوبيّة، ووسعتها عن القيمومة، وهي عن الحياة، وهي عن الله لا إله إلّا هو.

وقوله تعالى: ﴿ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

ختم بهما الآية لبيان عظمته سبحانه: بالإحاطة بالجميع، وعلوّه عن فساد الأمر واختلال السلطان؛ بياناً بعد بيان.

ومن هنا يظهر أنّ «العليّ» و«العظيم» من الأسماء التي تحت اسم «القيّوم».

وبما مرّ يتبيّن معنى ما ورد من الروايات في تفسير الآية:

ففي *الكافي* عن زرارة، قال: «سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ السماوات والأرض وسعن الكرسيّ، أو الكرسيّ وسع السماوات والأرض؟ فقال ـ عليه السلام ـ: إنّ كلّ شيء في الكرسي».[1]

أقول: وهذا المعنى مرويّ في عدّة روايات عنهم بما يقرب من هذا السؤال والجواب، وهو بظاهره غريب إذ لم يرو قراءة «كرسيّه» بالنصب، و«السموات والأرض» بالرفع، حتّى يستصحّ به هذا السؤال.

والظاهر أنّه مبنيّ على ما يتوهّمه الأفهام العاميّة: أنّ «الكرسي» جسم مخصوص موضوع فوق السماوات والأرض ـ أعني عالم الأجسام ـ منه تبتدئ أحكام المملكة الجسمانيّة، فتكون السماوات والأرض وسعته؛ إذ كان موضوعاً عليها لا بالعكس، فيكون معنى السؤال: أنّ الأنسب أنّها وسعت الكرسي فما معنى وسعته لها؟ والتعبير عنه بهذا اللفظ شائع، فأُجيب: أنّ الوسعة من غير سنخ وسعة الأجسام بعضها لبعض.

وروى الصدوق عن حفص بن غياث قال: «سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن قول الله ـ عزّوجلّ ـ: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ قال: علمه».[2]

وروى أيضاً عنه في الآية: «السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره».[3]

---

١. *الكافي* ١: ١٣٣، الحديث: ٥.
٢. *التوحيد*: ٣٢٧، الحديث: ١.
٣. *التوحيد*: ٣٢٧، الحديث: ٢.

أقول: ويظهر من ضمّ الرواية الثانية إلى الأُولى: أنّ في العلم مرتبة غير محدودة، وظاهر أنّ عدم التقدير ليس من حيث الكثرة العدديّة في المعلومات؛ إذ كلّ عدد يدخل في الوجود ـ فهو محدود؛ لكونه أقلّ من الزائد عليه بواحد، ولو كان كذلك كان الكرسي بعض العرش أو عينه بوجهٍ، فهو علم غير مقدّر بقدر؛ من حيث كون المعلوم غير متناهٍ من غير جهة العدد، بل من حيث كمال الوجود، فينطبق على قوله: ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾[1] وسيجيء شرحه إن شاء الله.

والأشياء بحسب وجوداتها الخارجيّة معلومة له تعالى؛ أي أنّ أنفسها نفس العلم كما سيجيء في ذيل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ** ﴾[2] فبين عالم الأجسام ـ وهو عالمنا ـ وبين هذه الموجودات الغير المتناهية ـ التي هي خزائن الغيب ـ مرتبة من العلم مقدّرة بالأقدار محدودة بتناهي الوجود، **وهي الكرسي.**

وهو المستفاد من قوله سبحانه: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ حيث جعل المعلوم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهو أمر غير مجتمع الوجود في هذه النشأة، فهناك مقام يجتمع فيه وجود المتفرّقات الزمانيّة، وليست وجودات غير متناهية الكمال، وإلّا لم يصحّ الاستثناء من الإحاطة، فهو مقام يمكن لهم أن يحيطوا ببعض ما فيه.

وفي *التوحيد* عن حنّان قال: «سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن العرش والكرسي، فقال ـ عليه السلام ـ: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ

---

١. الحجر (١٥) : ٢١.

٢. يونس (١٠) : ٦١.

سبب وصنع[١] في القرآن صفة على حدة؛ فقوله: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[٢] يقول: ربّ[٣] الملك العظيم، وقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٤] يقول: على الملك احتوى، وهذا حكم الكيفوفيّة في الأشياء.

ثمّ العرش في الوصل مفرد[٥] عن الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان؛ لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع، ومنها الأشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء فهما في العلم بابان مقرونان؛ لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي؛ فمن ذلك قال: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان».

قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟ قال: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وإنّيّتها، وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران، أحدهما حمل صاحبه في الظرف، وبمثل صرف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما؛ لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز».[٦]

أقول: قوله ـ عليه السلام ـ: «لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب» إلى آخره، قد عرفت الوجه فيه إجمالاً؛ فمرتبة العلم المقدّر المحدود أقرب إلى

---

١. في المصدر: «وضع»

٢. التوبة (٩): ١٢٩.

٣. في المصدر: - «ربّ»

٤. طه (٢٠): ٥.

٥. في المصدر: «متفرّد»

٦. *التوحيد*: ٣٢١، الحديث: ١.

عالمنا الجسماني ـ المقدّر المحدود ـ ممّا لا حدّ له ولا قدر؛ وسيجيء شرح فقرات الرواية في الكلام على آية العرش.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «وبمثل صرف العلماء» إشارة إلى أنّ هذه الألفاظ ـ من العرش والكرسي وما يشابهما ـ أمثال مصرّفة مضروبة للناس، وما يعقلها إلّا العالمون.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «قال أبو ذرّ: يا رسول الله، أفضل ما أُنزل عليك؟ قال: آية الكرسي، ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ـ ثمّ قال: ـ وإنّ فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة».[١]

وفي *الاحتجاج* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث: «كلّ شيء خلق الله في جوف الكرسي[٢] خلا عرشه؛ فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي».[٣]

أقول: وقد اتّضح معناهما بما مرّ.

وبه يظهر أنّ ما رواه الصدوق عن المفضّل بن عمر، عن الصادق ـ عليه السلام ـ وفيه: «إنّ العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه[٤] أنبياءه ورسله وحججه...»[٥] الحديث ـ إمّا وهمٌ من الراوي بتبديل موضعَي اللفظين، أو مجعول كالرواية المنسوبة إلى زينب العطّارة، وفيها أمارات للجعل ولا يصدّقها كلام الله سبحانه.

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١٣٧، الحديث: ٤٥٥.

٢. في المصدر: + «ما»

٣. *الاحتجاج* ٢: ٣٥١.

٤. في المصدر: + «أحداً من»

٥. *معاني الأخبار*: ٢٩، الحديث: ١.

وفي *تفسير العيّاشي* عن عليّ ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ السماء والأرض وما بينهما من خلق مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه بأمر الله».[١]

أقول: ورواه الصدوق عن الأصبغ عنه ـ عليه السلام ـ.

ولم يرد عنهم ـ عليهم السلام ـ للكرسي حَمَلة إلّا في هذه الرواية، وهو في العرش كثير وسيجيء بيانه.

وفي تفسيره أيضاً عن معاوية بن عمّار عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «قلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ قال: نحن أُولئك الشافعون».[٢]

أقول: ورواه البرقي أيضاً،[٣] وسيجيء بيانه، والشفاعة مطلقة.

قوله سبحانه: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له».

وفيه عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ قال: «هي الإيمان».[٤]

وروى الصدوق عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحبّ عليّ وأهل بيته».[٥]

أقول: والروايات في هذه المضامين كثيرة،[٦] ومعناها واضح، والمنطبق على الآية من غير مؤونة هو الرواية الأُولى.

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٨، الحديث: ٤٥٨.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٦، الحديث: ٤٥٠.
٣. *المحاسن* ١: ١٨٤، الحديث: ١٨٧.
٤. *الكافي* ٢: ١٤، الحديث: ١.
٥. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ٢: ٥٨، الحديث: ٢١٦.
٦. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٨، الحديث: ٤٥٩؛ *المناقب* ٤: ٢.

[اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾]

قوله سبحانه: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن ابن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: إنّي أُخالط الناس، فيكثر عجبي من أقوامٍ لا يتولّونكم ويتولّون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوامٍ يتولّونكم ليست[1] لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ جالساً، فأقبل عليَّ كالغضبان، ثمّ قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب لمن[2] دان الله[3] بولاية إمام عادل[4] من الله.

١. في المصدر: «ليس»
٢. في المصدر: «على من»
٣. في المصدر: ـ «الله»
٤. في المصدر: «عدل»

قلت: لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم، لا دين لهؤلاء ولا عتب على هؤلاء، ثمّ قال: ألا تسمع لقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ** ﴾ يعني[1] من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة؛ لولايتهم كلّ إمام عادل من الله ـ عزّ وجلّ ـ، وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ** ﴾.

قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفّار؟ قال: وأيّ نورٍ للكافر ـ وهو كافر ـ فأُخرج منه إلى الظلمات؟! إنّما عنى بهذا: أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله، خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله[2] لهم النار مع الكفّار، فقال: ﴿ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ ».[3]

أقول: وروي هذا المعنى في *الكافي*.[4]

وهو منه ـ عليه السلام ـ استفادة لطيفة، وحينئذٍ يظهر التناسب بين هذه الآية وما يتلوها من قصّة محاجّة نمرود؛ حيث إنّ الله أضلّه في حجّته، وجعل النعمة التي أنعم بها عليه ـ وهي الملك ـ نقمة عليه وأضلّه؛ والله لا يهدي القوم الظالمين.

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «النور آل محمّد والظلمات أعداؤهم».[5]

أقول: وهو من قبيل عدّ المصداق، أو التأويل.

---

١. في المصدر: «يخرجهم»

٢. في المصدر: ـ «الله»

٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠.

٤. *الكافي* ١: ٣٧٥، الحديث: ٣.

٥. بحار *الأنوار* ٦٤: ٢٣ نقلاً عن *الكافي*.

[أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)]

قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ...﴾ هو «نمرود» الملك بعد أن ألقى إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النار وأنجاه الله منها، وهو المروي عن الصادق ـ عليه السلام ـ.[1]

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٨٦.

وقوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾

كما قيل في مقام التعليل لمحاجّته؛ من باب وضع علّة ضدّ الشيء موضع علّته، كما يقال: «أساء إليّ فلان لأنّي أحسنت إليه» يراد به: أنّه جازاني بالإساءة بدل أن يجازيني بالإحسان لأنّي أحسنت إليه.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

وصف الله بالإبهام عنه إشعاراً بأنّ الربّ هكذا يجب أن يكون، فغيره تعالى ممّا يُدعى ربّاً غير مستحقّ لأن يُدعى ربّاً، كالأصنام.

فغالطه نمرود بتمويه معنى الإحياء والإماتة بإطلاق الأسير وقتله؛ حيث يسمّيان مجازاً إحياءاً وإماتةً، فقال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فمفاده: أنّي مصداق لما ذكرت أُحيي وأُميت فأنا ربّك، وليس مفاده: أنّ الذي ذكرت من الإحياء والإماتة غير مختصّ بربّك؛ إذ لو كان كذلك كان من حقّ الكلام الوصل، فيقال: «وأنا أُحيي وأُميت»، ولذلك عدل إبراهيم ـ عليه السلام ـ عن الإبهام بالوصف ثانياً إلى التصريح بالاسم، فقال: ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فأثبت حجّة نفسه وأبطل حجّة خصمه في كلام واحد جميعاً، فافهم ذلك.

قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ...﴾

الروايات الواردة في تفسيرها مختلفة:[1] فبعضها يعدّ صاحب القصّة عزير النبيّ ـ عليه السلام ـ، وبعضها أرميا النبيّ ـ عليه السلام ـ، وفيها بعض اختلافات أُخر.

١. تفسير *القمّي* ١: ٨٦ و ٩٠؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١٤٠، الحديث: ٤٦٦.

لكنّها جميعاً جهات تاريخيّة خارجة عن الخصوصيّات اللائحة من القرآن، غير ممكنة التأييد بشيء منها. لكن لو ثبت أنّ قول اليهود: «عزير ابن الله» لانبعاثه بعد موته أُيّدت روايات العزير بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ﴾.[١]

وكيف كان فقوله: ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ ﴾ استعظام لقدرة الله تعالى في صورة الاستبعاد، وهو مصحّح التناسب بين الآيتين.

وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ الهاء للسكت، وبهذا قرئ بحذفها في الوصل، وكأنّ إثباتها تبعاً للرسم.

وهذان الأمران ـ بالنظر إلى حال المستمع ـ في مكان الشاهد على قوله: ﴿ بَلْ لَبِثْتَ ﴾ إذ الكلام الإلهي وإن كان صادقاً لا يقع فيه شكّ، لكنّ متن هذا الكلام ـ من حيث هو كلام ـ يحتمل الشكّ من وجهين:

أحدهما: من حيث زيادة مدّة اللبث مع احتماله اليوم وبعض اليوم.

وثانياً: من حيث عدم التغيّر في إدراك هذا الذي أُميت وبقي على ذلك مائة عام، فالموت ليس بإعدام للميّت، وإنّما هو انتقال من دار إلى دار، وترك نوع من الحياة وأخذ نوع منها، فالميّت إذا أُحيي ورُدَّ إلي الدنيا وجب أن يذكر حياته البرزخيّة.

فدلّ سبحانه على الدعوى الثانية بقوله: ﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ ولكونهما معاً دليلاً واحداً جيء بصيغة الإفراد في قوله: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾.

وعلى الدعوى الأُولى بقوله: ﴿ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ وبه يظهر أنّ الحمار كان ميّتاً وأنّ العظام في قوله: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ﴾ إمّا عظام الحمار فقط،

---

١. التوبة (٩): ٣٠.

أو عظامه وعظام غيره.

وقوله: ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً ﴾

في مقام التعليل للإماتة ثمّ الإحياء، والعطف على مقدّر؛ وهو يفيد أنّ العلّة المعطوفة بعض العلّة ومن النتائج والفوائد، نظير قوله: ﴿ وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[1]

وبما مرّ يظهر الوجه في توسّط قوله: ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ﴾ بين قوليه: ﴿ فَانْظُرْ ﴾ و ﴿ وَانْظُرْ ﴾ وبين قوله: ﴿ إِلَى الْعِظَامِ ﴾.

فقد تبيّن أنّ الجواب لقوله: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ ﴾ هو قوله: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ﴾.

وقد تبيّن الجواب ـ عمّا يفيده قوله: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي ﴾ من الاستبعاد واستطالة المدّة ـ من قوله: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ فحاصل الجواب: أن ليس الإحياء بعد الإماتة إلّا كاليوم أو بعضه، كما ورد نظير ذلك في آيات البعث، فاقضِ عجباً بهذا النظم العجيب.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ ﴾

أضمر فاعل «تبيّن» ليكون أوقع لقوله: ﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إذ الكلام في تقدير قولنا: فلمّا تبيّن له هذه القصّة تبيّن له القدرة الإلهيّة، فقال: أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير.

---

١. الأنعام (٦): ٧٥.

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى... ﴾

إذا قيل لك: «أرني كتابتك» أو قيل: «أرني كيف تكتب»، كان المسؤول[1] عنه في كلٍّ من القولين غير الآخر، فإذا أجبته وأخذت تكتب قنع السائل بأوّل السؤالين بمجرّد رؤية كتابتك، لكنّ السائل بالثاني لا يقنع بذلك، وأخذ يدقّق النظر بتصفّح علل الكتابة من حركات الأصابع والقلم ومداده والقرطاس، وَهَمَكَ حتّى يقف بذلك على حقيقة الكتابة، وتصفّح آثار الكتابة من حسن خطّك وكونه بقلم النسخ أو الثلث، أو غير ذلك.

فالسؤال عن الكيفيّة غير السؤال عن أصل الوجود وإن كان ـ من جهة التلازم ـ ربّما يوضع السؤال عن الكيفيّة مقام السؤال عن أصل الوجود.

---

١. الأولى التعبير هنا ـ وفي السطرين الآتيين ـ بمادّة الطلب دون السؤال.

ولعلّه لذلك قيل لإبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ فأجاب بوجود الإيمان بالأصل، وأنّ السؤال للحصول على الأسباب الأصليّة ليحصل العلم بالحقيقة، حيث قال: ﴿ بَلَىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾.

فأجابه سبحانه أن قال له: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ بضمّ الصاد بمعنى الضمّ والجمع. وقرئ بالكسر؛ يعني اضممهنّ إليك لتعرف شأنها فلا تشتبه عليك ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ﴾ بقتلهنّ وتخليط أجزائهنّ ثمّ تفريقهنّ أجزاءاً، وهذه هي العلل المادّية ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾ وفيه بقيّة العلل، ولم تكن الدعوة لمعدوم ولا لموهوم، وهو ظاهر، فعند ذلك تمّ له العلم بحقيقة الأمر بتمامها بمشاهدة تمام العلل، وقد أفاد بعين هذه الإفادة تمام العلّة العالية بقوله: ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وفي *المعاني* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث قال: «وهذه آية متشابهة، ومعناها: أنّه سأل عن الكيفيّة، والكيفيّة من فعل الله ـ عزّ وجلّ ـ، متى لم يعلمها العالم لم يلحقه عيب، ولا عرض في توحيده نقص...»[1] الحديث.

وفي *تفسير العيّاشي* عن عليّ بن أسباط: «إنّ أبا الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ سئل عن قول الله: ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أكان في قلبه شكّ؟ قال: لا، ولكن أراد من الله الزيادة...»[2] الحديث.

وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ إبراهيم نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكلها سباع البرّ وسباع البحر، ثمّ يثب[3] السباع بعضها

---

١. *معاني الأخبار*: ١٢٧، الحديث: ١.
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٤٣، الحديث: ٤٧٢.
٣. في المصدر: «تحمل»

على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فتعجّب إبراهيم فقال: يا[١] ربّ أرني كيف تحيي الموتى فقال الله: ﴿ **أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**[٢] ﴾ فأخذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ الطاووس والديك والحمام والغراب، فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ **فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ** ﴾ أي قطّعهنّ، ثمّ اخلط لحمهنّ وفرّقهن على عشرة جبال، ثمّ[٣] دعاهنّ، فقال: أحيي[٤] بإذن الله[٥] فكانت تجتمع ويتألّف لحم كلّ واحد وعظمه إلى رأسه، فطارت إلى إبراهيم. فعند ذلك قال إبراهيم: ﴿ **أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ ».[٦]

أقول: وهذا المضمون وارد في روايات أُخر.

ويظهر من القصّة وجه الجمع في قوله: ﴿ **تُحْيِي الْمَوْتَىٰ** ﴾ من غير إفراد، ولذلك أُمر بخلط اللحوم والأجزاء، فهي أمسّ بشبهة الآكل والمأكول، وإن لم تكن عينها.

وفي *العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ فيما سأله المأمون في عصمة الأنبياء في الآية، قال الرضا ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم: إنّي متّخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في

---

١. في المصدر: ـ « يا »
٢. في المصدر: ـ « عزيز حكيم »
٣. في المصدر: + « خذ مناقيرهنّ وادعهنّ يأتينك سعياً ففعل إبراهيم ذلك وفرّقهن على عشرة جبال ثمّ »
٤. في المصدر: « أجيبني »
٥. في المصدر: + « تعالى »
٦. تفسير *القمّي* ١: ٩١.

نفس إبراهيم أنّه ذلك الخليل، فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ على الخلّة...»[١] الحديث.

وفيه: «انّه أخذ نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً».

أقول: والأحاديث في تعيين أسامي الطيور مختلفة؛ وفي بعضها: النعامة والوزّة والطاووس والديك، وفي بعضها: الهدهد والصُّرَد والطاووس والغراب[٢] وقد مرّ في حديث القمّي: الطاووس والديك والحمام والغراب.

*

---

١. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ١٩٨، الحديث: ١.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٤٣، الحديث: ٤٧١ و: ١٤٥، الحديث: ٤٧٧؛ *الخصال* ١: ٢٦٤ الحديث: ١٤٦.

[مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)]

قوله سبحانه: ﴿ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

روى العيّاشي في تفسيره، والبرقي، عن الصادق ـ عليه السلام: «إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكلّ حسنة سبعمائة ضعف؛ وذلك قول الله: ﴿ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله».[1]

أقول: وروي هذا المعنى في بعض روايات أُخر.[2]

قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا... ﴾

في *تفسير العيّاشي* عنهما ـ عليهما السلام ـ: «نزلت في عثمان».[3]

قوله سبحانه: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ... ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «نزلت في عليّ ـ عليه السلام ـ».[4]

*

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ١٤٧، الحديث: ٤٨١؛ *المحاسن* ١: ٢٥٤، الحديث: ٢٨٣.
٢. *الأمالي* للطوسي: ٢٢٣؛ *ثواب الأعمال*: ١٦٨؛ *اعلام الدين*: ٤٣٨.
٣. *تفسير العيّاشي* ١: ١٤٧، الحديث: ٤٨٢.
٤. *تفسير العيّاشي* ١: ١٤٨، الحديث: ٤٨٥.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٦٩) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)]

قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا... ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «كان أهل المدينة يأتون

بصدقة الفطر إلى مسجد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وفيه عذق يسمّى الجعرور، وعذق يسمّى معافارة؛ كانا عظيم نواهما، رقيق لِحاهما، في طعمهما مرارة، فقال رسول الله للخارص: لا تخرص عليهم هذين اللونين، لعلّهم يستحيون لا يأتون بهما، فأنزل الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** ﴾».[١]

وفيه عن أبي الصباح عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «سألته عن قول الله: ﴿ **وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ** ﴾ قال ـ عليه السلام ـ: كان الناس حين أسلموا عندهم مكاسب من الربا ومن أموال خبيثة، فكان الرجل يتعمّدها من بين ماله فيتصدّق بها، فنهاهم الله عن ذلك، وإنّ الصدقة لا تصلح إلّا من كسب طيّب».[٢]

أقول: وفي معنى الروايتين روايات أُخر.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ...** ﴾

في *تفسير القمّي* قال ـ عليه السلام ـ: «إنّ الشيطان يقول: لا تنفقوا فإنّكم تفتقرون.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً** ﴾

أي يغفر لكم إن أنفقتم لله، وفضلاً يُخلِف عليكم».[٥]

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥٠، الحديث: ٤٩٣.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٤٩، الحديث: ٤٩٢.
٣. *الكافي* ٤: ٤٨، الحديث: ١٠؛ *دعائم الإسلام* ١: ٢٤٤.
٤. في المصدر: «لا تنفق فإنّك تفتقر»
٥. تفسير *القمّي* ١: ٩٢.

أقول: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾.[١]

وروى الصدوق عن أبي عبدالرحمن قال: «قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: إنّي ربّما حزنت، فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربّما فرحت، فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، فقال: إنّه ليس من أحدٍ إلّا ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان من دنوّ الملك منه، وإذا كان حزنه كان من دنوّ الشيطان منه؛ وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ﴾ إلى آخر الآية».[٢]

أقول: وروى قريباً منه العيّاشي في تفسيره.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «المعرفة».[٤]

وفيه عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ الحكمة: المعرفة والتفقّه في الدين».[٥]

أقول: الحكمة هي المتقن من العلم، وإذ لا إتقان فيما فيه شوب الشكّ كانت المعارف الظنّيّة غير حكم، ولا جدوى فيما يزول ويفنى، فلا إتقان في العلوم الدنيويّة، فهي أيضاً غير حكم، فانحصرت في العلوم الحقيقيّة المتعلّقة بأُصول معارف الدين والعلوم المتعلّقة بالفروع الدينيّة؛ كما فسّر في الرواية.

فما في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية ـ قال: «طاعة الله ومعرفة

---

١. سبأ (٣٤): ٣٩.

٢. *علل الشرائع* ١: ٩٣، الحديث: ١.

٣. تفسير *العيّاشي* ١: ٦٥٠، الحديث: ٤٩٥.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٧.

٥. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٨.

الإمام...»[١] الحديث، وفي مضمونه روايات أُخر[٢] ـ فمن قبيل عدّ المصداق.

قوله سبحانه: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾

ظاهر الآية: أنّ الصدقة إبداؤها وإخفاؤها خيرٌ، والإخفاء أفضل؛ لقوله: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فهو سياق الحصر المفيد لذلك، غير أنّ الأدلّة الدالّة على أفضليّة إذاعة الفرائض وإشاعتها ـ وخاصّة الصدقة الواجبة ـ أوجبت اختصاص أفضليّة الكتمان بالنافلة من الصدقات، وعليه وردت الروايات:

ففي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا ﴾ قال: «هي سوى الزكاة؛ إنّ الزكاة علانية غير سرّ».[٣]

أقول: وفي مضمونه روايات أُخر.[٤]

وفيه عنه ـ عليه السلام ـ قال: «كلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، و[٥] ما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه...»[٦] الحديث.

*

١. *الكافي* ١: ١٨٥، الحديث: ١١.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٦؛ *المحاسن* ١: ١٤٨، الحديث: ٦٠؛ *تأويل الآيات*: ١٠٣.
٣. *الكافي* ٣: ٥٠٢، الحديث: ١٧.
٤. تهذيب *الأحكام* ٤: ١٠٤، الحديث: ٣٢؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٩؛ دعائم *الإسلام* ٢: ٣٢٩، الحديث: ١٢٤٦.
٥. في المصدر: + «كلّ»
٦. *الكافي* ٣: ٥٠١، الحديث: ١٦.

[لِلفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٢٧٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿لِلفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا...﴾

في *المجمع* قال: «قال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: نزلت الآية في أصحاب الصُفَّة» قال: وكذلك رواه الكلبي عن ابن عبّاس، وهم نحو من أربعمائة رجل، لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون إليهم، فجعلوا أنفسهم في المسجد، وقالوا: نخرج في كلّ سريّة يبعثها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فحثّ الله الناس عليهم؛ فكان الرجل إذا أكل وعندهم فضل أتاهم به إذا أمسى.[1]

---

١. مجمع *البيان* ٢: ٢٠٢.

قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾

في *المجمع* قال: سبب النزول: عن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب[1] ـ عليه السلام ـ كانت معه أربعة دراهم؛ فتصدّق بواحد ليلاً، وبواحد نهاراً،[2] وبواحد سرّاً، وبواحد علانيةً، فنزل: **﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾**.[3]

قال الطبرسي: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ـ عليهما السلام ـ.

أقول: وروى هذا المعنى العيّاشي والمفيد ورواه ابن شهر آشوب في *المناقب* عن ستّة عشر من رجال التفسير من العامّة.[4]

*

١. في المصدر: ـ «بن أبي طالب»
٢. في المصدر: «بواحد نهاراً وبواحد ليلاً»
٣. مجمع *البيان* ٢: ٢٠٤.
٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥١، الحديث: ٥٠٢؛ *الاختصاص*: ١٥٠؛ *المناقب* ٢: ٧١.

[الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)]

قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾

للإنسان العاقل طريق مستقيم في حياته الاجتماعيّة، قوّتها بالالتزام بأحكام اعتباريّة في عِشرته ومعاملاته، وكلّ مواصلة له مع أبناء نوعه يتحفّظ بها ويحفظ بها استقامة طريقه ـ وبالجملة: كمال حياته الاجتماعيّة ـ وإن كان ربّما يسهو في بعض الموارد على خلاف العادة، لكنّ مستواه هو الطريق المستقيم العادي، وهاديه العقل المميّز بين الخير والشرّ والنافع والضارّ.

وأمّا الإنسان الممسوس ـ وهو الذي اختلّت قوّته المميّزة ـ فهو لا يفرّق بين الحسن والقبيح والخير والشرّ والنافع والضارّ، فيُجري حكم كلّ مورد فيما يقابله، لا من جهة جعله الغير العادي مثل العادي، بل لبطلان حكم العادة وغيرها عنده، وفي نظره، وكون ما يتخيّله ويريده هو المتّبع عنده، كالناقة

العشواء تخبط وتمشي في غير استواء.

والذي يأكل الربا مثله في معاملاته مثل هذا الممسوس؛ فهو لا يريد أُصول أحكام المعاملات، وإنّما يريد استفادة شخصه بالمعاملة كيف كانت؛ ولذلك علّله سبحانه بقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ ولم يقل: إنّما الربا مثل البيع، مع أنّ مقتضى الظاهر ذلك؛ وذلك أنّ الممسوس المجنون يسلك في العاديّات سلوكاً غير عادي لا بالعكس؛ فمن حاله كحاله يتلقّى البيع مثل الربا لا بالعكس، ولذلك أردفه بفرق الموردين، فقال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾.

ولكون خبطهم في المعاملة دون سائر جهات الحياة ـ بل فيما هو العمدة من بين أسباب انتظام العيش ـ أورد البيان بلفظ القيام دون المشي، كما في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[1] وذلك أنّ القيام والسقوط يكنّى بهما عن انتظام الحياة الاجتماعيّة وعدمه، ولكون المعاملات والمبادلات في لوازم الحياة هي الناظمة لشتات الحياة عبّر عنها بالقيام، فآكل الربا في قيامه كمن يتخبّطه الشيطان من المسّ لا يدري كيف يقوم؛ فيريد القيام على رأسه وجنبه والقيام إنّما يستوي على ساق، هذا.

وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ،

---

١. الأنعام (٦): ١٢٢.

وإذا هم بسبيل آل فرعون؛ يُعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً، ويقولون: ربّنا متى تقوم الساعة؟!».[١]

أقول: وهو مثال برزخي وتصديق لقوله ـ عليه السلام ـ: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون».

وفي *تفسير العيّاشي* عن شهاب بن عبد ربّه قال: «سمعت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ يقول: آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتّى يتخبّطه الشيطان».[٢]

أقول: القول فيها كسابقتها، وقد مرّ في أوّل السورة بعض الكلام في هذه التشبيهات والتمثيلات الواقعة في كلامه تعالى.

قوله سبحانه: ﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ...** ﴾ يعني ما سلف من الربا ﴿**وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ**﴾ فلا يتعلّق به حقّ من غيره، وهذا الخصوص في نتيجة الجزاء مع ترائي العموم في الشرط؛ أعني قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ ولم يجئ موعظة غير هذه الآية، وأيضاً تقييد الانتهاء بمجيء الموعظة، يفيد أنّ المراد من الموعظة منه سبحانه العظة النفسانيّة بتوفيقه تعالى للتوبة، وهي التوبة من الله، وقد مرّ أنّ التوبة من العبد مسبوقة بتوبة من الله تعالى؛ ولهذا فسّرت الموعظة في الروايات بالتوبة:

ففي *الكافي* عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «الموعظة: التوبة».[٣]

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٩٣ و ٢: ٧؛ *بحار الأنوار* ١٠٠: ١١٦، الحديث: ١١.
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٥٢، الحديث: ٥٠٣.
٣. *الكافي* ٢: ٤٣١، الحديث: ٢؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٥٢، الحديث: ٥٠٥.

وفي *التهذيب* عن محمّد بن مسلم قال: «دخل رجل على أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ من أهل خراسان، قد عمل بالربا حتّى كثر ماله، ثمّ إنّه سأل الفقهاء فقالوا: ليس يقبل منك شيء حتّى تردّه إلى أصحابه، فجاء إلى أبي جعفر ـ عليه السلام ـ فقصّ عليه قصّته، فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: مخرجك من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ** ﴾ قال: الموعظة: التوبة».[1]

وفي *الكافي* و*الفقيه* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «كلّ ربا أكله الناس بجهالة ثمّ تابوا، فإنّه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة» وقال ـ عليه السلام ـ: «لو أنّ رجلاً ورث من أبيه مالاً، وقد عرف أنّ في ذلك المال ربا، ولكن قد اختلط في التجارة بغيره، فإنّه له[2] حلال طيّب فليأكله، وإن عرف منه شيئاً معروفاً[3] فليأخذ رأس ماله وليردّ الزيادة[4]».[5]

قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ عَادَ... ﴾

في *الفقيه* و*العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ: «هي كبيرة بعد البيان ـ قال: ـ والاستخفاف بذلك دخول في الكفر».[6]

وفي *الكافي* أنّه: «سئل عن الرجل يأكل الربا وهو يرى أنّه حلال، قال:

---

١. تهذيب *الأحكام* ٧: ١٥، الحديث: ٦٨.
٢. في المصدر: ـ «فإنّه له»
٣. في المصدر: «إنّه ربا»
٤. في المصدر: «الربا»
٥. *الكافي* ٥: ١٤٥، الحديث: ٤؛ من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٢٧٥، الحديث: ٣٩٩٧.
٦. من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٥٦٥، الحديث: ٤٩٣٤؛ عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ٢: ٩٤.

لا يضرّه حتّى يصيبه متعمّداً، فإذا أصابه متعمّداً فهو بالمنزلة التي قال الله ـعزّوجلّ ـ».[١]

أقول: والآية ـكما ترى ـ توعد الخلود على الربا نظير القتل عمداً، قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾[٢] وسيجيء الكلام فيه.

*

١. *الكافي* ٥: ١٤٤، الحديث: ٣.

٢. النساء (٤): ٩٣.

[يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)]

قوله سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

في *الكافي* و*الفقيه* عن الصادق ـ عليه السلام ـ وقد سئل عن الآية، وقيل: قد أرى من يأكل الربا يربو ماله ـ قال: «فأيّ محقٍ أمحق من درهم الربا؟! يمحق الدين، وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر».[1]

---

١. من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٢٧٩، الحديث: ٤٠٠٥.

أقول: وهذا ـ كما ترى ـ تفسير للمحق بالمحق التشريعي؛ أي بعدم اعتبار الملكيّة والتحريم، وتقابله الصدقات، أو المحق الباطني في مقابل التربية الباطنيّة، كما قال سبحانه: ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾.[١]

ويروم إلى هذا المعنى ما في *تفسير العيّاشي* عن عليّ بن الحسين ـ عليهما السلام ـ عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «إنّ الله ليربّي لأحدكم الصدقة كما يربّي أحدكم ولده؛ حتّى يلقاه يوم القيامة وهو مثل أُحد».[٢]

وفيه عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «قال الله تعالى: أنا خالق كلّ شيء، وكّلت بالأشياء غيري إلّا الصدقة فإنّي أقبضها بيدي؛ حتّى أنّ الرجل والمرأة يتصدّق بشقّ التمرة، فأُربّيها له كما يربّي الرجل منكم فصيله وفِلوه،[٣] حتّى أتركه يوم القيامة أعظم من أُحد».[٤]

أقول: قوله: «أقبضها بيدي» سيجيء بيانه في قوله تعالى: ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾[٥] وأمّا التربية بالتعظيم فهو المحصّل من قوله تعالى: ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ وآيات تضعيف الحسنات وأخذه بنفسه.

قوله سبحانه: ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾

---

١. إبراهيم (١٤): ٢٤ ـ ٢٦.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥٣، الحديث: ٥٠٨.

٣. الفِلْو والفُلُوّ: الجحش أو المُهر يُفطم أو يبلغ السنة.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥٣، الحديث: ٥٠٩.

٥. التوبة (٩): ١٠٤.

في *تفسير القمّي* أنّه لمّا أنزل الله: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾[1] قام خالد بن الوليد إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقال: يا رسول الله ربا أبي في ثقيف، وقد أوصاني عند موته بأخذه، فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾».[2]

وروى قريباً منه الطبرسي عن الباقر ـ عليه السلام ـ.[3]

قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾

«كان» تامّة، أي: وإن وجد ذو إعسار من غرمائكم.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] كقوله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5] ظاهر معناه: إن كنتم تعلمون ما فيه من الفضل علمتم أنّ التصدّق خير لكم.

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «صعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ المنبر ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على أنبيائه، ثمّ قال: أيّها الناس ليبلّغ الشاهد منكم الغائب: ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله، حتّى يستوفيه، ثمّ قال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

---

١. البقرة (٢): ٢٧٥.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٩٣.

٣. راجع: *الميزان في تفسير القرآن* ٢: ٤٢٦.

٤. البقرة (٢): ٢٨٠.

٥. البقرة (٢): ١٨٤.

أنّه معسر، فتصدّقوا عليه بمالكم فهو خير لكم».[١]

أقول: قوله: «إن كنتم تعلمون أنّه معسر» معنى غريب، وله أثر مترتّب في أحكامه ليس ها هنا موضع ذكره.

قوله سبحانه: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ...** ﴾

في *المجمع* عن ابن عبّاس: أنّها آخر آية نزل بها جبرئيل.[٢]

*

١. *الكافي* ٤: ٣٥، الحديث: ٤.

٢. مجمع *البيان* ٢: ٢١٤.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣) للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ...** ﴾
الآيتان في أحكام الدّين والبيع والشهادة والرهن؛ ممّا يقرب من ثلاثين حكماً، وقد تكاثرت الأخبار فيها، وهي مستغنية عن الشرح.

قوله سبحانه: ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾
مناسبتها مع ما قبلها ظاهرة؛ فإنّ الملكيّة ـ كما عرفت سابقاً ـ ملاك العلم الفعلي، وقد أنذر الله سبحانه به كاتمي الشهادة في ذيل الآيتين السابقتين، كما أنّها ملاك الحساب.

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ** ﴾
أشدّ آية وأثقلها في الحساب، وسيجيء بيان أنّه ترتّب النتائج على الأعمال من حيث انسياقها إلى السعادة والشقاوة، والوجدان يساعد على هذا البيان، فكلّ خاطر نفسانيّ ـ في خير أو شرّ ـ يستتبع من جنسه ما يناسبه، ويرسم في النفس رسماً وهيئةً على شاكلته، والآخرة على وزان الأُولى؛ قال سبحانه: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴾[١] ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[٢] وفي *نهج البلاغة*: «وبما في الصدور تُجازى العباد».[٣]

---

١. طه (٢٠): ١٢٣.
٢. الإسراء (١٧): ٧٢.
٣. نهج *البلاغة*: الخطبة: ٧٥.

فالآية بعمومها تشمل كلّ خاطر نفسانيّ، وتشدّد كلّ تشديد، غير أنّ ذيله أعني قوله: ﴿ **فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ ينعم بعض الرجاء؛ إذ كان يثبت مغفرةً ما في تلو هذا الحساب، ويؤكّده تقديم المغفرة على العذاب.

ثمّ قوله سبحانه: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[1] يبيّن ذلك؛ بأنّ التكليف إنّما يقع فيما في الوسع فعله وتركه، وأنّ ما ليس في الوسع ـ كمطلق الخواطر النفسانيّة ـ لا يؤاخذ بها مؤاخذة التكليف العامّ.

وقد عدّ قوله: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللهُ** ﴾ في بعض الروايات ناسخاً لقوله: ﴿ **وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ** ﴾[2] وقد عرفت معنى النسخ سابقاً.

*

١. البقرة (٢): ٢٨٦.

٢. راجع: *الميزان في تفسير القرآن* ٢: ٤٣٨.

[آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)]

قوله سبحانه: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ... ﴾

نظم الآيتين من عجيب النظم:

فترى القول فيهما تارةً في سياق الخبر.

وأُخرى في سياق الحكاية.

ومرّة يؤتى باللفّ ويتبع بالنشر، كقوله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ وقوله: ﴿ آمَنَ بِاللهِ ﴾ مع قوله: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وكقوله: ﴿ وَرُسُلِهِ ﴾ مع قوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ وكقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ مع قوله:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ وكقوله: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾.

ومرّة يؤتى بالنشر أوّلاً ثمّ باللفّ، وهو الإجمال بعد التفصيل؛ كقوله: ﴿ الرَّسُولُ ﴾ و﴿ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ مع قوله: ﴿ كُلٌّ... ﴾ إلى آخرها.

ومرّة يوضع العموم والشمول أوّلاً، ثمّ يوضع في العود بوصفه الخاصّ المقيّد، كقوله: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ مع قوله: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ وكقوله: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ مع قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ كالعبد إذا شافه مولاه فأخذ بإيفاء حقّ الربوبيّة وأدب العبوديّة، فخاطبه بقبول كلّ ما يريده إبداءاً لعظمة ربوبيّته، ثمّ لاذ إليه بذكر ما لنفسه من الضعف والفاقة، هذا.

ومع ذلك كلّه، فالآيتان أشبه شيء بالمجموع الملفّق من محادثة متكلّمين اثنين ومسامرتهما، وهو ظاهر.

وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه...»[1] الحديث.

وفي *تفسير العيّاشي* عن عبد الصمد بن شيبة، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث يذكر فيه معراج النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، قال: «فقال الله[2] ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ فقال الله[3]: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ فقال النبيّ ـ صلّى الله عليه

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٩٥.
٢. في المصدر: + «تعالى»
٣. في المصدر: + «تعالى»

وآله وسلّم ـ: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ قال الله[١] : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: فقال الله[٢] : قد فعلت، فقال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت، فقال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ كلّ ذلك يقول الله: قد فعلت...»[٣] الحديث.

وفي الاحتجاج عن موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ يصف معراج النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، إلى أن قال: «فرأى عظمة ربّه بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان قاب قوسين بينها وبينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى،[٤] فكان فيما أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة، قوله[٥] : ﴿ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.[٦]

وكانت الآية قد عُرضت على الأنبياء من لدن آدم إلى أن بعث الله تبارك وتعالى محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، وعُرضت على الأمم، فأبوا أن

١. في المصدر: + «تعالى»
٢. في المصدر: + «تعالى»
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١٥٧، الحديث: ٥٣٠.
٤. النجم (٥٣): ٩ ـ ١٠.
٥. في المصدر: + «تعالى»
٦. البقرة (٢): ٢٨٤.

يقبلوها من تثقيلها[١] وقبلها رسول الله، وعرضها على أُمّته فقبلوها، فلمّا رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنّهم لا يطيقونها.

فلمّا أن سار إلى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه، فقال: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ فأجاب ـ مجيباً عنه وعن أُمّته ـ فقال: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ فقال جلّ ذكره: لهم الجنّة والمغفرة عليَّ إن فعلوا ذلك، فقال النبيّ: أمّا إذا فعلت بنا ذاك فـ﴿ **غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ يعني المرجع في الآخرة، فأجابه الله جلّ ثناؤه: وقد فعلت ذلك بك وبأُمّتك.

ثمّ قال جلّ ثناؤه: أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها ـ وقد عرضتها على الأُمم، فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أُمّتك ـ فحقّ عليَّ أن أرفعها عن أُمّتك، وقال: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ** ﴾ من خير ﴿ **وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ من شرّ...»[٢] الحديث.

أقول: وهو ـ كما ترى ـ يجعل قوله: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ** ﴾ تقريراً لقوله: ﴿ **وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ** ﴾[٣] هذا.

وها هنا روايات أُخرى في هذا المعنى، إلّا أنّ كيفيّة المشافهة ـ المنقولة فيها ـ تخالف ما مرّ، وما نقلناها أطبق لسياق الآيتين، وبالرواية يُهتدى إلى نكات أُسلوب الآيتين.

ولا منافاة بين كون الآيتين مجموعاً من مشافهة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله

---

١. في المصدر: «ثقلها»

٢. الاحتجاج ١: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

٣. البقرة (٢): ٢٨٤.

وسلّم ـ مع ربّه، وبين نزول المجموع آية من كتاب الله؛ وسيجيء نظيره في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾[1] وسيجيء بيان الحال في هذا القسم من الوحي إن شاء الله.

«الحمد لله ربّ العالمين»

«تمّ ليلة الأضحى المباركة من سنة ١٣٦٤ هـ. ق»

١. الصافّات (٣٧): ١٦٥ ـ ١٦٦.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ



[بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ آلم(١) اللهُ لاٰ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ(٣) مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ(٤) إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ(٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ(٦)]

قوله سبحانه: ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾

ولمّا كانت عمدة الغرض في هذه السورة ـ كسورة البقرة ـ هي التعرّض لحال أهل الكتاب في بغيهم وكفرهم بآيات الله وتفريطهم في جنبها، مع ما يلحق به من حال الكافرين، وذكر وقعة أُحد، صدّر الكلام بموجز ما فيه من القول المبسوط، وهو الآيات الثلاث: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ آلتَّوْرَاةَ وَآلإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو آنْتِقَامٍ ﴾ ، فبيّن أنّه أنزل ما أنزله من الكتب لغرض الهداية، وأنّ الكافرين بها لهم عذابٌ شديد، غير أنّه تعالى

يشير إلى أنّ إنزال الكتب، وكذلك كفر الكافرين بها وبالقرآن خاصّة جميعاً من القدر، وليس شيء منها خارجاً عن حيطة الربوبيّة ودائرة المُلك والتدبير الإلهي، ولذلك صدّرها بقوله: ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾.

وقد عرفت في الكلام في ذيل آية الكرسي أنّها مشتملة على علم القدر، فراجع.

ولذلك أيضاً ختم الآيات الأربع بقوله: ﴿ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ ﴾، ثمّ أردفها بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ﴾، على ما سيجيء بيانه، وختم السورة بقوله: ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى ٱلْبِلَادِ ﴾. الآيات.

فتبيّن من ذلك كلّه أنّ عمدة الغرض في السورة بيان حال أهل الكتاب، ومن يلحق بهم في اعتدائهم وتجافيهم عن الحقّ، وأنّ ذلك كلّه من القدر.

قوله سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ ﴾

قد عرفت أنّ الفرق بين الفرقان والقرآن أو الكتاب، أنّ الفرقان هو: المحكم الواجب العمل به، والقرآن: جملة الكتاب المقروء، وأنّ اللفظ يساعد على ذلك. قال في *الصحاح*: كلّ ما فرّق به بين الحقّ والباطل فهو فرقان،[١] إنتهى. وقد مرّت الروايات في هذا المعنى،[٢] وحينئذٍ فتكرار معنى قوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ ﴾ بقوله: ﴿ وَأَنْزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾، مشعر بأنّ الذي يحاذي به التوراة والإنجيل من القرآن هو الفرقان، والمحكم منه، كما أنّ التوراة كذلك، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [٣] وكذلك الإنجيل، فالتوراة

١. *الصحاح* ٤: ١٥٤١.
٢. *التوحيد*: ٢١٧؛ *تفسير القمي* ١: ٢٧٢.
٣. البقرة (٢): ٥٣.

والإنجيل والفرقان محكمات جميعاً.

وأمّا الكتاب فيمتاز عنهما:

أوّلاً: باشتماله على المحكم والمتشابه جميعاً، كما سيبيّنه بعد ثلاث آيات بقوله: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ،[١] ففي قوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ ﴾، توطئة وإيماءٌ إلى ذلك من باب براعة الإستهلال.

وثانياً: أنّه مشتمل على تبيان كلّ شيء بخلافهما، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ،[٢] قال تعالى حكايةً عن عيسى: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ ،[٣] وقال مخاطباً لنبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ ،[٤] وسيجيء بيانه إن شاء الله.

وقد فرّق بين الإنزال والتنزيل بأنّ التنزيل تدريجيّ الحصول، بخلاف الإنزال فهو أعمّ، أو خصوص الدفعي.

قوله سبحانه: ﴿ إنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ ﴾

قد مرّ أنّ تصدير الكلام بقوله: ﴿ اللهُ لا إلَهَ إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ ، للإشارة إلى أنّ تقلّبات الكافرين في أنواع بغيهم وأقسام مظالمهم من القدر غير خارجة عن التدبير الإلهي، وقد مرّ في ذيل آية الكرسي أنّ مجال القدر هو السماء والأرض

---

١. آل عمران (٣): ٧.

٢. الأعراف (٧): ١٤٥.

٣. الزخرف (٤٣): ٦٣.

٤. النحل (١٦): ٨٩.

وما فيهما، وأمّا العرش وما خلفه فهو خارج عنه، كما يتضمّنه قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾،[1] ولذلك قصّر الكلام هاهنا على علمه بما في الأرض والسماء، فهو موطن التقدير، فأساس التقدير هو العلم التفصيلي الفعلي.

ومن هنا يعلم أنّ الآية التالية ـأعني قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ في مقام التعليل لذلك، وأنّ المراد بالتصوير ما لا يختصّ بظاهر الصور من السّباحة والملاحة والقباحة، والسواد والبياض، والذكورة والأُنوثة، بل يشمل ما يرسمه الإنسان في صفحة حياته.

على أنّ التصوير هو إيجاد الصورة، والصورة: هي ما له ظلّ، فيشمل الجسم، فهو تقويم البدن وقواه، والقوى البدنيّة على اختلافها هي المبادئ لأخلاق الإنسان وأحواله ـبل الحيوانـ، وهي المبادئ للأفعال، وقد مرّ وسيجيء أنّ هذا ليس من الجبر في شيء.

فوزان هاتين الآيتين وزان قولك: إنّه لا يخفى عليَّ شيءٌ في هذا البستان، فأنا الذي غرست وحرثت. وبذلك يظهر معنى ما عن النبيّ ـصلى الله عليه وآلهـ: «الشقيّ من شقي في بطن أُمّه، والسعيد من سعد في بطن أُمّه».[2][3]

وفي *الكافي* عن الباقر ـعليه السلامـ قال: إنّ الله تعالى إذا أراد أن يخلق النطفة التي هي ممّا أخذ عليها الميثاق من صلب آدم أو مايبدو له فيه ويجعلها

---

١. البقرة (٢): ٢٥٥.

٢. في المصدر: «والسعيد من وعظ بغيره»

٣. *الكافي* ٨: ٨١، الحديث: ٣٩؛ من لا يحضره *الفقيه* ٤: ٤٠٣، الحديث: ٥٨٦٨؛ *الأمالي* للصدوق: ٤٨٧، الحديث: ١.

في الرحم، حرّك الرجل للجماع وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يَلِج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها، فتصل النطفة إلى الرحم، فتردّد فيه أربعين يوماً، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً، ثمّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة.

ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله، فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقّان له السمع والبصر وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن بإذن الله تعالى.

ثمّ يوحي الله إلى الملكين: اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترطا لي البداء فيما تكتبان. فيقولان: يا ربّ، ما نكتب؟ فيوحي الله عزّ وجلّ إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أُمّه، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أُمّه، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه، سعيداً أو شقيّاً، وجميع شأنه. قال: فيملي أحدهما على صاحبه، فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه، ثمّ يقيمانه قائماً في بطن أُمّه. قال: فربّما عتا فانقلب. ولا يكون ذلك إلّا في كلّ عاتٍ أو مارد، وإذا بلغ أوان خروج الولد تامّاً أو غير تامّ، أوحى الله عزوجلّ إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري، فقد بلغ أوان خروجه. قال: فتفتح الرحم باب الولد، فيبعث الله عزّ وجلّ إليه ملكاً يقال له زاجر، فيزجره زجرة فيفزع منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهّل الله على المرأة وعلى الولد الخروج. قال: فإذا احتبس، زجره الملك زجرة أُخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً

فزعاً من الزجرة».[١]

أقول: قوله: «أن يخلق النطفة»، إلى آخره، أي يجعلها بشراً تامّاً، وتقييدها بقوله: «التي هي ممّا أخذ عليه الميثاق»، إلى آخره، إشارة إلى ما مرّ وسيجيء بيانه أنّ موجودات هذه النشأة الدنيويّة وأحوالها مسبوقة الوجود بنشأة أُخرى سابقة عليها تجري هي على صراطها، وهي المسمّاة في لسان الأخبار بـ:(عالم الذرّ والميثاق)، فما أُخذ عليه الميثاق لابدّ أن يخلق في هذه النشأة الدنيويّة، وما يخلق في هذه النشأة هو ممّا أُخذ عليه الميثاق من غير أن يقبل التغيير والتبديل، فذلك من القضاء المحتوم، ولذلك ردّد الكلام بينه وبين قوله عليه السلام: «أو ما يبدو له»، انتهى. أي يبدو له البداء في تمام خلقه، فلا يتمّ ويعود سقطاً، فالقسم المقابل له المأخوذ عليه الميثاق لا بداء فيه، وعلى ذلك أخبار كثيرة سيجيء في محلّها.

قوله عليه السلام: «يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة»، إنتهى. يمكن أن يكون لفظة «من فم المرأة» من كلام الراوي، كما يؤيّده وضع الظاهر موضع المضمر، وعلى ظاهر الحال من كونه من كلام الإمام هو من الشواهد على كون دخولهما واقتحامهما في بطن المرأة من غير سنخ دخول الجسم في الجسم؛ إذ لا طريق إلى الرحم من غير الفرج إلّا العروق، ومنها العرق الذي يدرّ منه دم الحيض فينصبّ في الرحم، وليس هذا المنفذ بأسهل للدخول من جدران الرحم، فللدخول من الفم سبباً غير سهولة الطريق، وهو ظاهر.

قوله عليه السلام: «وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام

---

١. *الكافي* ٦: ١٣ - ١٥، الحديث: ٤؛ *تفسير الصافي* ٢: ٩.

النساء»، إلى آخره. كأنّها الروح النباتيّة التي هي المبدأ للتغذّي والتنمّي.

قوله عليه السلام: «فينفخان فيها روح الحياة والبقاء»، إلى آخره. ظاهره رجوع الضمير إلى الروح القديمة، فروح الحياة والبقاء منفوخة في الروح النباتيّة، فيعطي أنّ نفخ الروح الإنساني مثلاً إنّما هو ترقّي الروح النباتي بالاشتداد، على ما يعطيه مسلك الحركة الجوهريّة من القول بكون النفس جسمانيّة الحدوث روحانيّة البقاء. وبذلك يظهر معنى انتقال الروح القديمة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فالروح متّحد الوجود بوجه مع البدن، وهو النطفة وما يمدّه من دم الحيض، وهي المتّحدة مع بدني الأبوين، وهما مع النطفة وهلمّ جرّاً، فما يجري على الإنسان مأخوذ الفهرس في وجود آبائه وأمّهاته، ومكتوب المنشور في صور أشخاصهم.

وبه يظهر معنى قوله: «فيوحي الله عزّ وجلّ إليهما ـأي إلى الملكين ـ إرفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه»، وذلك أنّ الذي لأبه من شرح قضائه وقدره قد انفصل عنه بانفصال النطفة فما بقي متّصلاً به إلّا أمّه، وهو قوله: «فإذاً اللوح يقرع جبهة أمّه» ـوالجبهة مجتمع حواسّ الإنسان ـ«فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه سعيداً أو شقيّاً وجميع شأنه فيملي أحدهما على صاحبه» فنسبتهما شبيهة نسبة الفاعل والقابل، فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان فيه، وذلك لعدم اشتمال صورته على تمام العلّة، فإنّ الصورة وإن كانت هي المبدأ لجميع ما يجري على الإنسان من الحوادث المختصّة به، لكن ليست بالمبدأ كلّه، ولذلك كان الذي يتراءى منها من الحوادث غير حتميّ الوقوع، فكانت مظنّة البداء، وسيجيء الكلام فيه إن شاء الله.

واعلم أنّ نسبة تفاصيل الولادة إلى تحريك الله الرجل ووحيه إلى الرحم

وإرسال الملكين الخلّاقين والملك الزاجر، لا ينافي استناد هذه الحوادث إلى الطبيعة، فإنّما هو طوليّ، وليس أحدهما في عرض الآخر حتّى يتدافعا أو يعود الأمر إلى تركّب العلّة التامّة من مجموعهما، بل كلّ منهما تمام العلّة لكن في مرتبته، فمن أقامه الله لهداية الناس إلى مرضاته وظيفته البيان بسلوك مسلك الباطن من توسيط الملائكة، واستناد الحوادث إلى عملهم ونسبة السعادة بخصوصيّاتها إليهم ونسبة الشقاء بخصوصيّاته إلى الشيطان، ونسبة الجميع إليه ـ سبحانه ـ على ما يليق بقدس ساحته وحضرته حتّى يستنتج منها صور الهداية والضلالة، والربح والخسران، وبالجملة، شؤون الحياة الآخرة.

ولذلك لو أوفيت التصفّح واجَدت التتبّع في الظواهر الدينيّة، وجدت فيها خصوصيّات الحوادث وأحكام العالم برمّتها وجملتها منسوبة إلى مشيئة الرحمان ووساطة الملك والشيطان شبيه تشكّل المملكة عندنا حيث تنتظم من عدّة مؤتلفة من أفراد الإنسان بالإجتماع والتعاون، وهم الرعيّة، وتجتمع أزمّتهم عند عرش الملك وتنتظم أُمورهم من أحكام صادرة عنه، ويتوسّط بينه وبينهم في أخذها وإيصالها وإجرائها وجميع تقليباتها جماعة أُخرى، هم الوزراء والمستشارون والأُمراء والأعوان والحجّاب والجنود وغيرهم، كلّ ذلك تشبّهاً بالطبيعة، وأنّ الشريعة تجاري معهم في بيان ما تتشبّه به الطبيعة بأخذ ما تشبّه بالطبيعة أخذاً بالمعروف المعهود عند الناس، وأمّا بحسب الحقيقة فالنظام الاجتماعي يتشبّه بالطبيعة، والطبيعة تتشبّه بما ورائها، قال سبحانه: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾،[1]

---

١. العنكبوت (٢٩): ٦٤.

وحقيقة اللعب لا تتجاوز التشبيه والخيال، و اللهو ما يشغل الإنسان.

وعن النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـ: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم».[1]

قوله سبحانه: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

لمّا وضع أساس البيان في هذه الآيات الستّ على ثبوت القدر، ومن الواضح أنّ انتفائه وتحديد السلطنة الإلهيّة يوجب انتقاض التوحيد، وكيف يجامع التوحيد ثبوت التأثير الحقيقي المستقلّ من غيره سبحانه، حفّ طرفي الكلام بكلمة التوحيد وقارنها في الصدر بالإسمين: ﴿ الحيُّ ٱلْقَيُّوم ﴾ وهما محتدا القدر، وفي الذيل بالإسمين: ﴿ العَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ دفعاً لما يختلج في الصدور أنّ ثبوت القدر ـوهو التأثير في الخلق من كلّ جهة ـ يوجب انهدام أساس الأمر والنهي والثواب والعقاب، فعزيز القوم هو الذي عنده ما عند القوم من أسباب الغنى وليس عنده ما عندهم من الحاجة، فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد من غير حاجب ولا مانع، والحكيم هو المتقن في أفعاله فلا يظلم ولا يجازف.

وبذلك يظهر وجه توسّط الإسمين: ﴿ عَزِيزٌ ذُوٱنْتِقَامٍ ﴾ في الكلام، فهو عزيز غير مغلوب ذو انتقام شديد.

*

١. *الكافي* ١: ٢٣، الحديث: ١٥؛ *الأمالي* للصدوق: ٤١٩، الحديث: ٦؛ *الأمالي* للطوسي: ٤٨١، الحديث: ١٠٥٠.

[هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ (٩)]

قوله سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾

ذكر سبحانه أنّ من الكتاب آيات محكمات وأُخر متشابهات، وعرّف المحكمات بأنّها أُمّ الكتاب وأصله الذي يرجع إليه غيره، وأنّها في أصالتها وأُمومتها ومرجعيّتها شيء واحد لا اختلاف فيه؛ إذ هو المفهوم من قوله ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾ حيث أفردت ولم تجمع، فأفاد أنّ المقصود المرجوع إليه في الكتاب واحد، وهو الذي تحويه محكمات الكتاب وترجع إليه متشابهاتها، فالمحكمات واحدة بصفة الإحكام، وأمّا المتشابهات، فإنّما تتّصف بالإحكام

من جهتها وبالرجوع إليها.

ثمّ إنّه سبحانه وصف المتشابهات بأنّ لها تأويلاً يبتغيه أهل الزيغ، وأيضاً مرجعاً ترجع هي إليه، ونفى علمهم بالتأويل. ويظهر به أنّ التأويل غير كون المحكمات مرجعاً لها، إذ لو كانا جميعاً واحداً لم يصحّ نفي العلم به عنهم؛ إذ المحكمات يعرفها ويفهمها كلّ أحد من زائغ وراسخ، فكون المحكمات أُمّ الكتاب غير كونها تأويل المتشابهات.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾. في مقام الذمّ والتأنيب لهم في فعلهم هذا، ولو كان تأويل المتشابه هو مضمون المحكم لم يصحّ عدّه انحرافاً وزيغاً عن طريق الصواب وذمّهم به. على أنّه لا معنى لاتّباع المتشابه والعمل به طلباً لمدلول المحكم ومعناه.

وأيضاً لو كانت الأُمومة المذكورة والتأويل شيئاً واحداً لكانت المحكمات تأويلاً للمتشابهات وهو ينافي الظاهر من قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ ﴾،[1] فإنّ سياق الآيات يفيد أنّ الذي كذّبوا به هو جملة القرآن ولم يأتهم تأويله بعد، فللجملة تأويل دون المتشابه فقط.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ

١. يونس (١٠): ٣٧ ـ ٣٩.

رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.[١]

وسياق هاتين الآيتين أيضاً كالآيات السابقة تفيد أنّ لجملة القرآن تأويلاً سيأتي عند انكشاف الحجاب، وقد نسي من قبل باشتغالهم بما كانوا يفترون.

وقد استقرب بعضهم[٢] من هذه الآيات أنّ المراد بالتأويل مصاديق ما أخبر به الكتاب العزيز ممّا سيحدث في المستقبل من تفاصيل وقائع البرزخ والقيامة، نظير ما أخبر به تعالى في الروم بقوله: ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾،[٣] فمصداقه تأويله، وقد أخذوا التأويل من: آل يؤول، إذا رجع، وليس بصحيح على إطلاقه، فليس كلّ مرجع تأويلاً.

أمّا أوّلاً: فلأنّ ظاهر هذه الآيات عموم التأويل لجملة الآيات لا لخصوص ما أخبر فيها عن الوقائع المستقبلة، على أنّ فنون الكلام الواردة في القرآن من حكمة وموعظة ومثل وحكم وقصّة، كلّها يرجع إلى مرجع واحد.

سلّمنا ذلك، لكنّ هذا اليوم الذي ذكره بقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ ﴾،[٤] وصفه أيضاً بقوله: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾،[٥] فأفاد أنّ وقوع ما أخبر به من وقائع الدار الآخرة من غير سنخ وقوع مفادات الأخبار في الدار الدنيا، وأنّ غيبتها واستتارها عن الإنسان ثمّ مشاهدته لها من غير سنخ غيبة الأُمور المستقبلة في هذه الدار، ثمّ معاينتها

---

١. الأعراف (٧): ٥٢ ـ ٥٣.

٢. معجزة *القرآن*: ١٨؛ *تاريخ الطبري* ٦: ٥٥٩؛ مجمع *البيان* ١٠: ٤٦٥.

٣. الروم (٣٠): ٣ ـ ٤.

٤. الأعراف (٧): ٥٣.

٥. ق (٥٠): ٢٢.

عند حلول أجلها، فإتيان أُمور في هذا اليوم يؤول إليه هذه الآيات من غير سنخ رجوع الأخبار بمعانيها في هذه الدار إلى مصاديقها، وتحقّق مصاديقها في ظروفها.

ومن الواضح أنّ مجرّد رجوع أمر إلى أمر لا يوجب صدق التأويل عليه، فالمرؤوس يرجع إلى رئيسه، وليس بتأويل له، والعدد يرجع إلى الواحد وليس تأويله.

وأمّا ثانياً: فلأنّ المستعمل من لفظ التأويل في ما مرّ من موارد القرآن ليس بمعنى مطلق المرجع، قال تعالى حكايةً عن قول الخضر لموسى ـعليهما السلام ـ: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾،[1] وقال: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾،[2] والذي نبّأه صور وعناوين لما فعله في موارد ثلاث كان موسى ـعليه السلام ـ قد غفل عنها وتلقّى بدلها صوراً وعناوين أُخرى، أوجبت اعتراضه بها عليه. فالقضايا الثلاث هي قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾،[3] وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ ﴾،[4] وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾،[5] والذي تلقّاه موسى ـعليه السلام ـ من صور هذه القضايا وعناوينها قوله: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾،[6] وقوله: ﴿ أَقَتَلْتَ

---

١. الكهف (١٨): ٧٨.
٢. الكهف (١٨): ٨٢.
٣. الكهف (١٨): ٧١.
٤. الكهف (١٨): ٧٤.
٥. الكهف (١٨): ٧٧.
٦. الكهف (١٨): ٧١.

نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾،[١] وقوله: ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾.[٢] والذي نبّأ به الخضر من التأويل قوله: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً * وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً * وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَبِّكَ ﴾،[٣] ثمّ أجاب عن جميع ما تلقّاه موسى ـ عليه السلام ـ جملةً بقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ﴾.[٤]

وبالجملة: فالذي أُريد بالتأويل في هذه الآيات هو ما يرجع إليه القضيّة رجوع الشيء إلى صورته وعنوانه، نظير رجوع الضرب إلى التأديب، ورجوع الفصد إلى العلاج.

ويقرب من ذلك ما ورد من لفظ التأويل في عدّة مواضع من قصّة يوسف ـ عليه السلام ـ، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ ﴾،[٥] وقوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقّاً ﴾،[٦] فرجوع ما رآه ـ عليه السلام ـ من سجود الكواكب والنيّرين له إلى سجود أبويه وإخوته له

---

١. الكهف (١٨): ٧٤.
٢. الكهف (١٨): ٧٧.
٣. الكهف (١٨): ٧٩ ـ ٨٢.
٤. الكهف (١٨): ٨٢.
٥. يوسف (١٢): ٤.
٦. يوسف (١٢): ١٠٠.

وإن كان رجوعاً لكنّه من قبيل رجوع المثال إلى الممثّل.

ويقرب من هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ ،(١) وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ .(٢)

ومن هذا القبيل أيضاً قوله: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ فالتأويل المذكور إمّا تأويل جملة الكتاب، أو خصوص المتشابه، وابتغاؤهم ذلك إنّما هو بالإتّباع، فمورده آية مسوقة للعمل أو الأعمّ منه ومن الإعتقاد، فالتأويل تأويل الحكم لا تأويل الخبر.

فظهر أنّ تأويل الآية غير رجوعها إلى آية أُخرى، وغير تحقّقها بتحقّق ما أخبر بها في الخارج.

وأيّاً ما كان، فقد قصر العلم به بنفسه سبحانه، إذ قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللهُ ﴾.

وأمّا قوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِى ٱلعِلْمِ ﴾ فظاهره أنّه كلام مستأنف، ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِى ٱلعِلْمِ ﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ وليس بعطف على المستثنى كما يفيده المقابلة بين قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾، وقوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ثمّ قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ فسمّاه تذكّراً فهو في مساق قوله: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ

---

١. الإسراء (١٧): ٣٥.

٢. النساء (٤): ٥٩.

هُوَ أعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾ ،[١] فهم إنّما قالوا: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ في مقام تسليم ما لم يحيطوا بعلمه عند ما لم يحيطوا إلّا بعد الكشف عن نقاب التأويل، ولم يقولوا: آمنّا به هو من عند ربّنا، بل قالوا: كلٌّ من عند ربّنا، فخلطوا المحكم بالمتشابه، وسلّموا الجميع تسليماً، هذا.

ولو كان عطفاً على المستثنى، وكان المراد أنّ العلم بالتأويل مخصوص بالله والراسخين في العلم، لم يكن لذكره تعالى في ضمن الحصر فائدة ولا نكتة ملائمة، إلّا ما يمكن أن يقال: إنّ ذلك لتعظيم شأن هذا العلم وتمجيده، أو لتشريف العالمين بالتأويل وهم الراسخون في العلم، حيث عدّ نفسه فيهم بتشريكهم معه، ولو كان ذلك كذلك لم يهمل تعالى ذكر نبيّه معه والتصريح به كما في نظائره، قال سبحانه: ﴿ أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ،[٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي ٱلأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ،[٣] وقال: ﴿ وَللهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ،[٤] فترى كلّ مورد يبيّن فيه حكم فيه ذكر من الله وأوليائه من المؤمنين يشرّف فيه نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بتخصيصه من بينهم بالذكر وحده، ثمّ ذكرهم جميعاً، وقريب منها قوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ،[٥] وقوله: ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ ﴾ ،[٦]

---

١. الرعد (١٣): ١٩.
٢. النساء (٤): ٥٩.
٣. النساء (٤): ٨٣.
٤. المنافقون (٦٣): ٨.
٥. التوبة (٩): ٢٦.
٦. البقرة (٢): ٢٨٥.

وقوله: ﴿ لَكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾،[١] وقوله: ﴿ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّـذِينَ آمَنُوا ﴾،[٢] وقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾،[٣] إلى غير ذلك. فلو كان المراد بيان علم الراسخين في العلم بالتأويل، والنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ منهم وسيّدهم قطعاً، لم يهمل ذكره بالتصريح به.

فقد بان من جميع ما مرّ أنّ التأويل ليس من قبيل مرجعيّة آية محكمة لأُخرى متشابهة، ولا بمعنى ما ينتهي إليه القصّة من تحقّق المخبر به في الخارج، بل الظاهر المستفاد من موارد استعمالاته أنّه ما ينتهي إليه الشيء مع تحجّب واستبطان.

ومن هنا يظهر أنّ النسبة بين الشيء وتأويله نسبة الظاهر والباطن والجسم والروح، فبين التأويل وذي التأويل نحوٌ من الاتّحاد.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ التأويل ليس وصفاً للكلام من حيث إنّه لفظ، ولا من حيث إنّ له مفهوماً، بل وصف خارجي لأمر خارجي، واتّصاف الكلام بأنّ له تأويلاً وصف له من حيث مصداقه ومطابقه الخارجي، كما يدلّ عليه قوله: ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾،[٤] وعدّه من الآيات المنقولة سابقاً.

ومن هنا يظهر أنّ إطلاق التأويل وإرادة خلاف الظاهر من المعنى كما هو المشهور، فيطلقون التأويل ويريدون حمل الكلام على معنى يخالف ظاهره، إطلاق مولّد منحرف، منشأه تفسير جمع من قدماء المفسّرين التأويل بإرجاع المتشابه إلى المحكم بتوجيهه بما يوافقه.

---

١. التوبة (٩): ٨٨.
٢. آل عمران (٣): ٦٨.
٣. التحريم (٦٦): ٨.
٤. الإسراء (١٧): ٣٥.

وكيف كان، فقد بان أنّ للقرآن تأويلاً وباطناً، كما أنّ له ظاهراً مفهوماً. قال سبحانه: ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ﴾، بالتخفيف، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾،[١] وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾،[٢] وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾،[٣] وقال سبحانه: ﴿ تَنزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾،[٤] إلى غير ذلك من الآيات التي وصف فيها القرآن بالتنزيل، وقرن ذلك بأنّه كلام فصل عربيّ مبين معلوم لأهل هذا اللسان.

ومن هنا سُمّيت هذه المرتبة من القرآن تنزيلاً، كما تسمّى المرتبة الأُخرى منه تأويلاً، فللقرآن تنزيل وتأويل.

ثمّ إنّه سبحانه أثبت لكلّ واحدة من القسمين مراتب في كلامه من حيث الظهور والبطون، فقال في التنزيل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾،[٥] وقال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾،[٦] وقال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ ﴾،[٧] وقال: ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾،[٨] فللسامع

---

١. الإسراء (١٧): ١٠٦.
٢. الشعراء (٢٦): ١٩٢ ـ ١٩٥.
٣. فصّلت (٤١): ٤١ ـ ٤٢.
٤. فصّلت (٤١): ٢ ـ ٣.
٥. الأنعام (٦): ١٩.
٦. محمّد (٤٧): ٢٤.
٧. العنكبوت (٢٩): ٤٣.
٨. إبراهيم (١٤): ٥٢.

الفاهم معنى، وللمتدبّر معنى، وللعالم معنى، ولذي اللبّ معنى.

وقال تعالى في التأويل: ﴿ وَالكِتَابِ المُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾،[١] فبيّن أنّه جعله عربيّاً مقروءاً ليعقله الناس، وإلّا فهو في اللوح عالٍ عن التلبّس بلباس اللغة، محكم لا يتطرّق إليه التفرّق والشتات، كما قال: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾،[٢] وقال سبحانه: «وَقُرْآناً فَرَّقْنَاهُ»، على قراءة التشديد، ﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾،[٣] وقال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾،[٤] فهذه مرتبة من القرآن في أُفق فهم الناس، وتلك مرتبة أعلى أُفقاً من أن تناله أيدي الأفهام العادية، موطنها اللوح المحفوظ والكتاب المكنون عن غير المطهّرين، قال سبحانه: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾،[٥] وقال: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾،[٦] ثمّ إنّه سبحانه قال: ﴿ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾،[٧] وهذه المرتبة التي أخبر عنها أخفض سطحاً ممّا ذكره بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا ﴾،[٨] وأرفع مكاناً ممّا ذكره بقوله تعالى: ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

١. الزخرف (٤٣): ٢ ـ ٤.
٢. هود (١١): ١.
٣. الإسراء (١٧): ١٠٦.
٤. الدخان (٤٤): ٥٨.
٥. البروج (٨٥): ٢١ ـ ٢٢.
٦. الواقعة (٥٦): ٧٥ ـ ٧٩.
٧. الدخان (٤٤): ٢ ـ ٣.
٨. الزخرف (٤٣): ٤.

عَلَى مُكْثٍ ﴾،[١] فمن الواضح أنّ القرآن الذي هو آيات مفرّقة موزّعة على ثلاث وعشرين سنة، وأكثرها نازلة في وقائع خاصّة تدريجيّة، وفيها ناسخ ومنسوخ، هو غير ما نزل دفعة في ليلة واحدة، والذي نزل كذلك غير ما لم ينزل بعد، وهو محفوظ لديه تعالى.

ومن هنا يظهر أنّ هاتين المرتبتين خارجتان عن باب المفاهيم مع اتّحادهما بمرتبة المعنى والمفهوم، فهما من سنخ التأويل لانطباق وصفه عليهما.

فإن قلت: لو كان قوله: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾،[٢] ناظراً إلى التأويل، أوجب ذلك علم غيره تعالى بالتأويل، وقد تقدّم أنّ قوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ غير معطوف على المستثنى حتّى يشاركه تعالى في العلم بالتأويل.

قلت: هو كذلك، والذي تقدّم هو أنّ الآية لا تدلّ على كون الراسخين في العلم عالمين بالتأويل، لا أنّ الآية تدلّ على نفيه عنهم، إلّا من جهة الحصر في قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ ولا ينافي حصر حقيقة المعنى فيه تعالى بالذات، ثبوته في الغير بالغير. نظير ذلك قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾،[٣] فالعلم بالتأويل غير مخصوص به تعالى إلّا بنحو الحقيقة وبالذات، نظير العلم بالغيب، بل يعلمه المطهّرون بتعليمه تعالى، غير أنّه لا يستفاد عن هذه الآية بل عن موضع آخر، وسيجيء للكلام تتمّة، فافهم.

---

١. الإسراء (١٧): ١٠٦.
٢. الواقعة (٥٦): ٧٧ ـ ٧٩.
٣. الجنّ (٧٢): ٢٦ ـ ٢٧.

ويؤيّد ما مرّ عدّة من الروايات:

ففي *تفسير العيّاشي* سئل أبوعبدالله ـعليه السلام ـ عن المحكم والمتشابه، قال: المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله.[١]

وفيه أيضاً عنه عليه السلام: إنّ القرآن محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به، وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾**، والراسخون في العلم هم آل محمّد.[٢]

وفيه أيضاً عن مسعدة بن صدقة، قال: سألت أباعبدالله ـعليه السلام ـ عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ: ما قد كان يعمل به ثمّ جاء ما نسخه، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله.[٣]

قال: وفي رواية: الناسخ: الثابت، والمنسوخ: ما مضى، والمحكم: ما يعمل به، والمتشابه: الذي يشبه بعضه بعضاً.[٤]

وفي *الكافي* عن الباقر ـعليه السلام ـ في حديث، قال: فالمنسوخات من المتشابهات.[٥]

وفي *العيون* عن الرضا ـعليه السلام ـ: من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه

---

١. تفسير *العياشي* ١: ١٦٢، الحديث: ٣.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٦٢ ـ ١٦٣، الحديث: ٤؛ *البرهان في تفسيرالقرآن* ٢: ٣٦٦، الحديث: ١١.

٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١١ ـ ١٢، الحديث: ٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ١: ١٥٦، الحديث: ١٢.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠ ـ ١١، الحديث: ١؛ تفسير *الصافي* ١: ٦٥.

٥. *الكافي* ٢: ٢٨، الحديث: ١.

هُدي إلى صراط مستقيم، ثمّ قال: إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ومحكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتّبعوا متشابهها [دون] محكمها فتضلّوا.(١)

أقول: والروايات كما ترى متقاربة في تفسير المتشابه، ولا يظهر منها شيء في كون المراد بالمتشابه هو التأويل المختصّ علمه بأهله، بل الأمر بالعكس على ما يلوح من الرواية الآتية:

وفي *تفسير العياشي* أيضاً عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه ـ عليهم السلام ـ: إنّ رجلاً قال لأميرالمؤمنين: هل تصف لنا ربّنا نزداد له حبّاً ومعرفة؟ فغضب عليه السلام وخطب الناس، فقال فيما قال: عليك يا عبدالله بما دلّك عليه القرآن من صفته وتقدّمك فيه الرسول من معرفته، [فأتمّ به](٢) واستضيء بنور هدايته، فإنّما هي نعمة وحكمة أُوتيتها، فخذ ما أُوتيت وكن من الشاكرين، وما كلّفك الشيطان عليه ممّا ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنّة الرسول وأئمّة الهداة أثره فكِل علمه إلى الله، ولا تقدّر عظمة الله عَلى قدر عقلك، فتكون من الهالكين.

واعلم يا عبد الله أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الإقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة(٣) ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿ **آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه

---

١. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ٢٩٠، الحديث: ٣٩؛ تفسير *الصافي* ١: ١٤.

٢. ساقط عن الأصل.

٣. في المصدر: «بجهل»، وفي *نهج البلاغة*: «بجملة»

[منهم] رسوخاً،[١] فاقتصر على ذلك ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين.[٢]

أقول: قوله عليه السلام: واعلم يا عبد الله، إلى آخره، ظاهر في أنّه أخذ الواو في قوله ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ للإستئناف، ونتيجته عدم دلالة الآية على كونهم عالمين بالتأويل، ولا ينافي ذلك دلالة دليل آخر عليه كما عرفت.

نعم، يبقى هنا شيء وهو أنّ ظاهر الآيات والأدلّة الأُخرى هو كون المطهّرين ـ والمتيقّن منهم الثابت بالكتاب ـ أهل بيت رسول الله ـ عليهم السلام ـ عالمين بالكتاب ظاهره وباطنه، وتنزيله وتأويله، وقد قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾،[٣] وقال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ﴾.[٤] والظاهر من الأخبار[٥] دخولهم في قوله ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وقد أثبت لهم الجهل.

ويندفع بأنّ أصل الكتاب على تصريحه بطهارة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعلمه بالكتاب يثبت له عدم العلم، كقوله تعالى فيه: ﴿وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾،[٦] وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾،[٧] إلى غير ذلك من الآيات، لكنّها ـ كما سيجيء بيانه ـ في مقام نفي العلم بالذات دون العلم بالغير وبالعرض، أي بتعليمه سبحانه، فهم في أنفسهم فاقدون، وبالله تعالى عالمون،

---

١. تفسير *الصافي* ٢: ١٤؛ نهج *البلاغه*: الخطبة: ٩١ (خطبة الأشباح)؛ *التوحيد*: ٥٥، الحديث: ١٣.
٢. تفسير *العياشي* ١: ١٦٣، الحديث: ٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٣٦٧، الحديث: ١٢.
٣. النحل (١٦): ٨٩.
٤. الرعد (١٣): ٤٣.
٥. راجع: *الكافي* ١: ٢١٣، الحديث: ٢ و: ٤١٤، الحديث: ١٤؛ بصائر *الدرجات*: ١٩٦، الحديث: ٧ و: ٢٠٣، الحديث: ٢ ـ ٣؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١١، الحديث: ٥.
٦. الأنعام (٦): ٥٠.
٧. الأعراف (٧): ١٨٨.

كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَن نَشَاءُ ﴾.(١)

نعم، يظهر من الرواية عدم اختصاص الرسوخ في العلم بهم، بل كلّ من كان راسخ العلم وثابت الإيقان بالله وآياته، فهو من الراسخين في العلم، ولا ضير فيه. وقد أطلق الله سبحانه هذا الاسم على غيرهم، إذ قال: ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢)

ومن هنا يظهر معنى ما في *تفسير العيّاشي* عن بريد بن معاوية، قال: قلت لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ: قول الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ﴾ قال: يعني تأويل القرآن كلّه إلّا الله والراسخون في العلم، فرسول‌الله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله منزّلاً عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم؟ فأجابهم الله: ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾، والقرآن له خاصّ وعامّ، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، فالراسخون في العلم يعلمونه، الحديث.(٣)

فظاهر أوّله وإن كان عطف ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ على المستثنى والإشتراك في الحكم، كما هو اللائح عن كثير من الأخبار، كما في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله.(٤) لكن استدلاله

١. الشورى (٤٢): ٥٢.
٢. النساء (٤): ١٦٢.
٣. تفسير *العياشي* ١: ١٦٤، الحديث: ٦؛ *الكافي* ١: ٢١٣، الحديث: ٢.
٤. *الكافي* ١: ٢١٣، الحديث: ١.

أخيراً على كون رسول الله عالماً بالتأويل بقوله: وما كان الله لينزّل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، إنتهى، يؤيّد ما ذكرناه، فإنّ ظاهره استفادة ذلك المعنى من قوله في صدر الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ ﴾ وقوله عليه‌السلام: فقال الذين لا يعلمون... إلى آخره، بيان لكيفيّة المعنى بلسان الحال بتحويل الأخبار إلى الإنشاء؛ للإشارة إلى أنّ هذا القول تعليم وتأديب وهو قول من لا يعلم بالتأويل من الراسخين في العلم، إذ الناس في العلم صنفان: زائغ قلبه وراسخ في علمه، والقول ليس هو قول الزائغين قلباً، فهو قول الراسخين في العلم ممّن لا يعلم التأويل.

وهاهنا معنى ربّما كان لائحاً من بعض الروايات وبه يتمّ التوفيق بين الأخبار الظاهرة في كون الواو في قوله ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ ﴾ للعطف، والظاهرة في كونها للإستئناف، وهو أنّ العلم وكذلك الرسوخ فيه يحتمل المراتب فالمؤمن بإجمال ما جاء به الرسول، إذا تحقّق ذلك فهو راسخ في علمه ذلك، وحقيقة الرسوخ هو: الإيقان في العلم، فما عنده من العلم فهو فيه على يقين، كما في *الكافي* عن الباقر ـعليه السلام ـإنّ الراسخين في العلم[1] من لا يختلف في علمه... الحديث.[2]

وقد عرفت في ذيل قوله: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾[3] أنّ أهل اليقين مكشوف لهم الحجاب، وحينئذٍ فإذا حمل لفظ الراسخين في العلم على حقيقة معناه كان الأنسب هو العطف على المستثنى، وإهمال ذكر النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـبالتصريح باسمه؛ لكون الخطاب معه وحكمه مفهوم من صدر الآية من

---

١. في المصدر: «فإن قالوا: مَنِ الراسخون في العلم؟ فقل:»
٢. *الكافي* ١: ٢٤٥، الحديث: ١.
٣. البقرة (٢): ١٢٤.

قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ ﴾ كما عرفت آنفاً، وحينئذٍ يكون قوله: ﴿ يقولون آمنّا ﴾ خبراً لضمير مقدّر راجع إلى الراسخين بمعنى يشمل سائر مراتبه فيصحّ منهم الجهل، وإذا حمل الراسخون في العلم على المعنى الشامل كان الأنسب للواو الإستئناف من دون تشريك في الحكم.

ويؤيّد ما ذكرناه ما في *الاحتجاج* عن عليّ ـعليه السلام ـ في حديث، قال: ثمّ إنّ الله جلّ ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كلامه،[1] قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه ولطف حسّه وصحّ تمييزه، ممّن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأُمناؤه والراسخون في العلم. وإنّما فعل ذلك لئلّا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله من علم الكتاب ما لم يجعله[2] لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمار لِمن ولّاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزّزاً وافتراءً على الله عزّوجلّ واغتراراً بكثرة مَن ظاهرَهم وعاونهم وعاند الله عزّو جلّ ورسوله.[3]

وعن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ أنّه سئل: هل عندكم شيء من الوحي [إلّا ما في كتاب الله]؟ قال: لا، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إلّا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه[4][5].

وفي *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ، عن أبيه، عن آبائه، قال: قال

---

١. في المصدر: «كتابه»

٢. في المصدر: «يجعل الله»

٣. *الاحتجاج* ١: ٢٥٣.

٤. في المصدر: بدل «إلّا... كتابه»: «ما أعلمه إلّا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن»

٥. عمدة عيون صحاح *الأخبار في مناقب إمام الأبرار*: ٣١٤، الحديث: ٥٢٧.

رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ: أيّها الناس، إنّكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلّ جديد ويقرّبان كلّ بعيد ويأتيان بكلّ موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله، وما دار الهدنة؟ فقال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنّه شافع مشفّع وماحلٌ مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم[1]، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جالٍ بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينجُ من عطب ويخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص.[2]

أقول: ورواه العيّاشي في تفسيره إلى قوله: فليجل جالٍ،[3] إنتهى.

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* أيضاً عن الصادق ـعليه السلام ـ، قال: قال رسول الله: القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث،[4] وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما

---

١. في المصدر: «له نجوم وعلى نجومه نجوم»
٢. *الكافي* ٢: ٥٩٨ ـ ٥٩٩، الحديث: ٢.
٣. تفسير *العياشي* ١: ٢ ـ ٣، الحديث: ١.
٤. في *تفسير العياشي*: «الأحزان»

عدل أحد عن القرآن إلّا إلى النار.[١]

أقول: والروايات عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ وأهل بيته ـ عليهم السلام ـ في هذا المساق كثيرة.[٢]

وفي الرواية عن طرق العامّة عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، وحدّاً ومطلعاً.[٣]

وعنه أيضاً: إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن.[٤]

وعن طرق الخاصّة في *تفسير العيّاشي* عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أباجعفر ـ عليه السلام ـ عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ، ولكلّ حدّ مطلع، ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟

قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلّما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ** ﴾، نحن نعلمه.[٥]

أقول: وقوله: منه ما مضى، ظاهره رجوع الضمير إلى القرآن المفهوم بالقرينة. وقوله: يجري كما تجري الشمس والقمر إلى آخره، يشمل بظاهره التنزيل والتأويل فينطبق في التنزيل على الجري الذي اصطلح عليه الأخبار في انطباق الكلام على المصداق، كانطباق قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

١. *الكافي* ٢: ٦٠٠ ـ ٦٠١، الحديث: ٨؛ تفسير *العياشي* ١: ٥، الحديث: ٨.

٢. *الكافي* ٢: ٢١٦، الحديث: ٢ و: ٦٠٠، الحديث: ٦ و ٨؛ *الأمالي* للصدوق: ١١٢، الحديث: ٢، المجلس الرابع والعشرون؛ عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ٢: ١١٥.

٣. تفسير *الطبري* ١: ٩؛ *إحياء علوم الدين* ١: ٨٨ و ٢٦٠.

٤. عوالي *اللآلي* ٤: ١٠٧، الحديث: ١٥٩.

٥. تفسير *العياشي* ١: ١١، الحديث: ٥.

اتَّقُوا اللهَ ﴾[١] على كلّ طائفة من المؤمنين الموجودين في الأعصار المتأخّرة عن عصر التخاطب، وكانطباق آيات الجهاد على جهاد النفس، ونحو ذلك. كما في *تفسير العيّاشي* عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في حديث قال: ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أُولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها، هم منها من خير أو شرّ.[٢]

وفي *المعاني* عن حمران بن أعين، قال: سألت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ عن ظهر القرآن وبطنه، فقال: ظهره: الذين نزل فيهم القرآن، وبطنه: الذين عملوا بأعمالهم، يجري فيهم ما نزل في أُولئك.[٣]

أقول: وهو عليه السلام وإن عدّ الجري بطناً لكنّه من التنزيل دون التأويل، فقد عرفت كون كلّ منهما ذا مراتب، كما في *تفسير العيّاشي* عن جابر، قال: سألت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثمّ سألته ثانيةً، فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلتُ فداك، كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر! إنّ للقرآن بطناً وللبطن بطن، و [له] ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر! وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية يكون أوّلها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل يتصرّف على وجوه.[٤]

---

١. البقرة (٢): ٢٧٨.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٠، الحديث: ٧.
٣. معاني *الأخبار*: ٢٥٩، الحديث: ١.
٤. تفسير *العياشي* ١: ١٢، الحديث: ٨؛ *المحاسن* ٢: ٣٠٠، الحديث: ٥؛ بحار *الانوار* ٩٢: ٩٥، الحديث: ٤٨.

وفي الحديث المرويّ عن طرق الفريقين عن النبيّ -صلّى الله عليه وآله-: نزل القرآن على سبعة أحرف.(١)

أقول: وقد اختلف في معناه اختلافاً كثيراً، ربّما أُنهي إلى أربعين قولاً، لكن حيث ورد في عدّة روايات تفسيره بفنون الخطاب وأقسام الكلام:

ففي بعضها: أنزل القرآن على سبعة أحرف [كلها شافٍ كافٍ]: أمر وزجر، وترغيب وترهيب، وجدل وقصص ومثل.(٢)

وفي بعضها: زجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثال.(٣)

وعن عليّ -عليه السلام-: إنّ الله أنزل القرآن على سبعة أقسام، كلّ منها كافٍ شافٍ، وهي: أمر وزجر، وترغيب وترهيب، وجدل ومَثَل وقصص، الحديث؛(٤)

تعيّن حمل السبعة الأحرف على أقسام البيان السبعة على وحدتها في الدعوة إلى الله وإلى صراطه المستقيم.

وممّا يستفاد منه حصره أُصول المعارف الإلهيّة في الأمثال ومن طرق العامّة، عن النبيّ -صلّى الله عليه وآله-: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر وبطن، ولكلّ حدّ مطلع. وفي رواية: ولكلّ [حرف] حدّ ومطلع.(٥)

---

١. *الكافي* ٢: ٦٣٠، الحديث: ١٣؛ تفسير *العياشي* ١: ١٢، الحديث: ١١؛ *الصراط المستقيم* ١: ٤٦؛ مسند احمد ١: ٤٠؛ *الصحيح للبخاري* ٣: ٩٠؛ *الصحيح للمسلم* ٢: ٢٠٢ وغيرها.

٢. بحار *الأنوار* ٩٠: ٤ و ٩٧.

٣. كتاب *سليم بن قيس*: ٧٨٣؛ بحار *الأنوار* ٩٠: ٤ و ٣٣: ١٧٦؛ تفسير *القمّي* ١: ٢١٩؛ *الصراط المستقيم* ١: ٣٠١.

٤. بحار *الأنوار* ٩٠: ٥٤ و ٩٧؛ تفسير *القمي* ١: ٥.

٥. بحار *الأنوار* ٣٣: ١٥٥؛ *كنزالعمال* ٢: ٥٣، الحديث: ٣٠٨٦.

وعن عليّ ـ عليه السلام ـ: ما من آية إلّا ولها أربعة معانٍ: ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحدّ: هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع: هو مراد الله من العبد بها.[١]

أقول: الظاهر والباطن والحدّ ظاهرة المعاني والانطباق على ما فسّره ـ عليه السلام، والمطلع، إمّا بضمّ الميم وتشديد الطاء المفتوحة اسم مكان من الإطّلاع، أو بفتح الميم واللام وسكون الطاء اسم مكان من الطلوع، وعلى أيّ حال هو من المعنى المرتبة التي تشرف على التأويل، وهو مراد الله من العبد بها كما ذكره عليه السلام، وقد مرّ في بيان معنى التأويل.

ويستفاد من قوله: «ما من آية إلّا ولها أربعة معانٍ»:

أنّ من الأحكام ما يستفاد من غير آيات الأحكام، وقد مرّ في ذيل قوله: ﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾[٢] من سورة البقرة كلامٌ في هذا المعنى، فارجع.

قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ لمّا كانت شهادتهم على الإيمان بجميع المحكم والمتشابه مستنداً إلى رسوخهم في العلم في قبال المتّبعين للمتشابه لزيغ قلوبهم أشفقوا على ما معهم من الرسوخ والتجأوا إلى ربّهم أن لا يأخذ ما معهم بإزاغة قلوبهم، ومن ذلك يتبيّن أنّ هذه الرحمة المسؤولة نوع منها يكون معه الأمن من الزيغ، فإنّهم مشمولون

---

١. تفسير *الصافي* ١: ٣١؛ *الميزان في تفسير القرآن* ٣: ٧٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* للزركشي ٢: ١٥٤.

٢. البقرة (٢): ٢٢٢.

للرحمة والهداية، والمسؤول عنه غير الحاصل الموجود، وهو ظاهر، فما سألوه هو ما يشير إليه في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾[١] فهي رحمة بعد رحمة ومقدّمة للدخول في مقام الصلاح، وقد مرّ بيانه، وهو قول سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾،[٢] وقد عرفت أنّ هذه المعاني أُمور مشكّكة ذات مراتب.

وفي *الكافي* عن هشام، عن الكاظم ـ عليه السلام ـ في حديث، قال: يا هشام! إنّ الله حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾، حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها،

إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنّ الله تعالى لم يدلّ على الباطن الخفيّ من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه.[٣]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: أكثروا من أن تقولوا: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ ولا تأمنوا الزيغ.[٤]

*

١. الحديد (٥٧): ٢٨.
٢. النمل (٢٧): ١٩.
٣. *الكافي* ١: ١٨، الحديث: ١٢.
٤. *تفسير العياشي* ١: ١٦٤، الحديث: ٩؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٣٦٩، الحديث: ٣.

[إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أمْوَالُهُمْ وَلَا أوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَدَأبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأيَ العَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأبْصَارِ (١٣) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ (١٤) قُلْ أؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالمُنْفِقِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ (١٧) شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا

هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴿١٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾

في *تفسير القمّي*: أنّها نزلت بعد بدر لمّا رجع رسول الله [من بدر] إلى بني قينقاع وهو يناديهم، وكان بها سوق يسمّى: سوق النبط، فأتاهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: يا معشر اليهود! قد علمتم ما نزل بقريش وهم أكثر عدداً وسلاحاً وكراعاً منكم، فادخلوا في الإسلام. فقالوا: يا محمّد! إنّك تحسب حربنا مثل حرب قومك، والله لو قد لقيتنا للقيت رجالاً، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد! ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ** ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿ **لِأُولِى ٱلْأَبْصَارِ** ﴾.[١]

أقول: وروي قريب منه من طرق العامّة.[٢]

وفي *المجمع* نسب إلى رواية أصحابنا، وذكر قريباً منه.[٣]

وهذا من جملة إخبارات القرآن بالقضايا قبل وقوعها، وقد صدّق الله وعده هذا في اليهود حتّى نزل فيهم سورة الحشر فقال فيها: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ** ﴾[٤] وقد قال هاهنا: ﴿ **سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ** ﴾.

قوله سبحانه: ﴿ **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ** ﴾

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٩٧.

٢. *سنن أبي داود* ٢: ٣٣، الحديث: ٣٠٠١؛ *سنن الكبرى* ٩: ١٨٣؛ *فتح الباري* ٧: ٢٥٦؛ *الدر المنثور* ٢: ٩؛ *تفسير القرطبي* ٤: ٢٣؛ *تفسير ابن كثير* ١: ٣٥٨.

٣. *مجمع البيان* ٢: ٢٤٥.

٤. الحشر (٥٩): ٢.

سيأتي الكلام فيه عند قوله: ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ ﴾.[١]

قوله سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ ﴾

يمكن أن يكون المراد بالشهوات المشتهيات للمبالغة، فقوله: ﴿ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾ بيان لذلك، وأن يكون نفس الشهوة، فكلمة (من) نشويّة.

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: ما تلذّذ الناس في الدنيا والآخرة بلذّة أكبر لهم من لذّة النساء، وهو قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَالبَنِينَ ﴾، ثمّ قال: وإنّ أهل الجنّة ما يتلذّذون بشيءٍ من الجنّة أشهى عندهم من النكاح، لا طعام ولا شراب.[٢]

أقول: وقد استفاده من الترتيب، وليعلم أنّ هذا الترتيب بين اللذائذ الحسّية من متعلّقات القوى البدنيّة، وإلّا فحقيقة اللذّة هي إدراك الملائم من حيث هو ملائم، وكمال الشيء ملائم له، فكلّما كان أقرب كمالاً وسعادة فهو ألذّ، فإدراك الشيء لنفسه ألذّ عنده من كلّ شيء، وآكد منه إدراكه؛ لما هو أقرب إليه من ذاته، وهو علّته الفيّاضة.

وفي *المجمع* عن الباقر والصادق ـعليهما السلام ـ: القنطار: ملؤ مسك ثور ذهباً.[٣]

وفي *تفسير القمّي* قال عليه السلام: ﴿الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ﴾: المرعيّة.[٤]

---

١. الأنفال (٨): ٤٤.

٢. *الكافي* ٥: ٣٢١، الحديث: ١٠؛ تفسير *العياشي* ١: ١٦٤، الحديث: ١٠.

٣. مجمع *البيان* ٣: ٤٩؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٨.

٤. تفسير *القمي* ١: ٩٧، يعني: «الراعية والأنعام»، وفي تفسير *الصافي*: «المعلّمة والمرعيّة»

قوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾

هو صلاة الوتر، أو جميع صلاة الليل وفيها الوتر، باعتبار تشريع الإستغفار فيه، كقوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[١]

وفي *الفقيه* و*الخصال* عن الصادق ـعليه السلام ـ: من قال في وتره إذا أوتر: أستغفر الله وأتوب إليه (سبعين مرّة) [وهو قائم][٢] فواظب على ذلك حتّى تمضي له سنة، كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار، ووجبت [الجنّة و][٣]له المغفرة من الله تعالى.[٤]

أقول: وفي هذا المعنى روايات أُخرى،[٥] وهو من سنن النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـ.

قوله سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

المراد من هذه الشهادة على ما يظهر من السياق أداء الشهادة، ولذا عقّبه بقوله: ﴿ قَائِماً بِٱلْقِسْطِ ﴾ والقسط هو العدل، أي هو سبحانه غير جائر في شهادته على التوحيد، بل إنّما شهد بالصدق لعدم تصوّر تحقّق الكذب مع الأُلوهيّة. فقوله: ﴿ قَائِماً ﴾ حال من الضمير المستتر في قوله: ﴿ شَهِدَ ﴾.

واعلم أنّ العلم إذا كان متعلّقه ظاهراً جليّاً سمّي شهادة، وإذا تعلّق بالباطن

---

١. الإسراء (١٧): ٧٨.

٢. ساقط عن من لا يحضره *الفقيه*.

٣. ساقط عن *الخصال*.

٤. من لا يحضره *الفقيه* ١: ٤٨٩، الحديث: ١٤٠٥؛ *الخصال* ٢: ٥٨١، الحديث: ٣.

٥. *ثواب الأعمال*: ١٧١؛ *تفسير العياشي* ١: ١٦٥، الحديث: ١٣؛ *تهذيب الأحكام* ٢: ١٣٠، الحديث: ٢٦٩.

الخفي سمّي خبرة، ونفس العلم أعمّ من حيث المتعلّق، فالشهادة هو العلم المأخوذ ممّا لا خفاء فيه، وأداؤها حيث كان كشفاً عنها، والكشف عن الشيء ملحوظ طريقاً لا موضوعاً أغمض عنه وسمّى أداء الشهادة شهادة بهذه العناية، وإذ كان علمه سبحانه بذاته أو بغيره حضوريّاً هو نفس المعلوم من ذاته أو غيره في الخارج كانت الشهادة وأداء الشهادة هناك واحداً بحسب الخارج، وإن اختلفا بحسب اللفظ، وهو المصحّح لقوله: ﴿قَائِماً بِالقِسْطِ﴾ كما عرفت، والمشهود بهذه الشهادة إذا أُخذ على نحو الحضور دون الحصول، كان مختصّاً به سبحانه غير قابل للتعدّد، وإن تعدّد الشهود.

ولعلّ هذا هو الوجه في إتيان قوله: ﴿قَائِماً بِالقِسْطِ﴾ بالإفراد، فإنّما الشهادة واحدة والقيام بالقسط واحد، وهو لله سبحانه، وفيه كفاية، فافهم.[1]

*

١. وقد ورد في بعض الروايات أنّ ﴿أُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ﴾ هو الإمام، واللفظ لا يساعد عليه وإن احتمل كونه حالاً عن أُولى العلم باعتبار كلّ واحدٍ، لكنه بعيد لا يحمل على مثله الفاظ القرآن. [تفسير *العياشي* ١: ١٦٦، الحديث: ١٩]، [منه ـ رحمه الله ـ].

[إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي

اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)]

قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ ٱلْإِسْلَامُ** ﴾

قد عرفت أنّ الإسلام معنى ذو مراتب، فالكلام إنّما اشتمل على نفس المعنى وإنّما يختلف باختلاف الجملة، فإهمال الكلام لا يوجب قصره على مرتبةٍ مّا، كالشهادتين لساناً فقط. وعليه ينطبق ما في *تفسير العيّاشي* عن محمّد بن مسلم، قال: سألته عن قوله: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ ٱلْإِسْلَامُ** ﴾، فقال: الذي فيه الإيمان.[١]

وما عن ابن شهرآشوب عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: التسليم لعليّ بن أبي طالب بالولاية.[٢]

أقول: ومعناهما واضح بما مرّ.

وعنه أيضاً عن عليّ ـ عليه السلام ـ قال: لأنسبنّ الإسلام نسبةً لم ينسبها أحد قبلي، ولا ينسبها أحد بعدي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، **واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، المؤمن أخذ دينه عن ربّه، إنّ المؤمن يعرف إيمانه في عمله**، وإنّ الكافر يعرف كفره بإنكاره. أيّها الناس دينَكم دينَكم، فإنّ السيّئة فيه خير من الحسنة في غيره، إنّ السيّئة فيه تغفر، وإنّ الحسنة في غيره لا تقبل.[٣]

---

١. تفسير *العياشي* ١: ١٦٦، الحديث: ٢٢.

٢. *المناقب* ٣: ٩٥.

٣. تفسير *القمي* ١: ٩٩ ـ ١٠٠؛ *معاني الأخبار*: ١٨٦، الحديث: ١؛ و*الأمالي* للصدوق: ٣٥١، الحديث: ٤؛ روضة *الواعظين* ١: ٤٣؛ و... روي مع اختلاف.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ ﴾

في *المجمع* عن أبي‌عبيدة الجرّاح، قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيّاً، أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر، ثمّ قرأ: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، ثمّ قال: يا أباعبيدة! قتلت بنوإسرائيل ثلاثة وأربعين نبيّاً أوّل النهار في ساعة [واحدة]، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً [من] آخر النهار من ذلك اليوم، وهو الذي ذكره الله.[١]

قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾

من الملك: ما هو حقيقي وهو كون وجود شيء قائماً بشيءٍ آخر بتمام حقيقته، وهو الذي له سبحانه بالذات[٢] ولغيره بالعرض، وهو ملك الأشياء لأنفسها ولآثارها وأحكامها على قدر ما أفاض الله تعالى عليها بإذنه وأقرّها عليه في كتابه، كقوله: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾،[٣] وقوله: ﴿ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾،[٤] وغير ذلك. فجميع هذه الإضافات من الملك.

ومن الملك: ما هو اعتباري اجتماعي، التزم الإنسان باعتباره بفطرته الإجتماعيّة لينتظم به نظام الإجتماع، ثمّ أمضاه الشريعة الإلهيّة بإصلاح ما في

---

١. مجمع *البيان* ٢: ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

٢. وهو الذي ربّما يسمى بـ: «التكويني»، [منه ـ رحمه الله ـ].

٣. المائدة (٥): ١٠٥.

٤. التوبة (٩): ٦٤.

أيديهم وتمييز الصحيح منه من الفاسد، وقد أقرّه لهم بإسناده إلى نفسه على ما يليق بحضرته، كما قال: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾،[١] وقال: ﴿ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[٢] ففيه إثبات الملك وإبانة أنّه بالعرض بنحو التخويل والاستخلاف.

ومن الملك: ما هو عند الناس ملك بالاستيلاء من غير تصديقه من ناحية الشرائع والنواميس الإلهيّة، وقد أسنده الله إلى نفسه تعالى بمعنى الاستيلاء والسلطة للفتنة لا بمعنى الملك والرزق، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ ـ إلى أن قال ـ: ﴿ وَٱللهُ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾،[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾،[٤] وقوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾،[٥] وقوله: ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.[٦]

والعزّة فيما مرّ كالملك، فمنها: ما هي حقيقيّة، ومنها: ما هي اعتباريّة عقلائيّة، ومنها ما هي وهميّة جائرة، قال سبحانه: ﴿ أَنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ ﴾،[٧] وقال:

---

١. الحديد (٥٧): ٧.

٢. الأنعام (٦): ٩٤.

٣. البقرة (٢): ٢٥٨.

٤. آل عمران (٣): ١٧٨.

٥. يونس (١٠): ٨٨.

٦. التوبة (٩): ٥٥.

٧. البقرة (٢): ٢٠٩.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ،[١] وقال: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ .[٢] فلم ينفِ عنهم العزّة، وإنّما خصّ به نفسه بالذات، وقال: ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ ،[٣] وقال: ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ .[٤]

والملك والعزّة وإن كانا جميعاً خيراً، لكن ليس إعطاء الخير خيراً على الإطلاق، وإن كان من اللازم كونه خيراً بوجه، كأن يكون بالقياس إلى نظام الكلّ خيراً.

إذا تبيّن هذا، بان أنّ قوله: ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ ﴾ على ظاهر إطلاقه وشموله لكلّ ملك وعزّة، ولا يلزم من ذلك إكرام كلّ ذي ملك، ولا ذي عزّ بما أُوتي من الملك والعزّ إلّا فيما حمده الله سبحانه، فكون الشيء في نفسه نعمة وكرامة معنىً، وكونه نعمة بالقياس إلى من أُوتيه معنىً آخر، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ كُفْراً ﴾ ،[٥] وقال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ،[٦] فعدّ الملك والعزّة في الآية على إطلاقهما خيراً لايوجب منقبة لكلّ متقلّدٍ بهما، وقد عُلّل ذلك بالقدرة العامّة في قوله: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وبما مرّ يتبيّن معنى ما في *الكافي* عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن

---

١. المنافقون (٦٣): ٨.
٢. النساء (٤): ١٣٩.
٣. البقرة (٢): ٢٠٦.
٤. الشعراء (٢٦): ٤٤.
٥. إبراهيم (١٤): ٢٨.
٦. الواقعة (٥٦): ٨٢.

أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: قلت له: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ**﴾، أليس قد آتى الله عزّ وجلّ بني أُميّة الملك؟ قال: ليس حيث تذهب [إليه]، إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ آتانا الملك وأخذته بنو أُميّة، بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر، فليس هو للّذي أخذه.[1]

أقول: وروى مثله العيّاشي عن داود بن فرقد، عنه عليه السلام.[2] والراوي إنّما اشتبه عليه الأمر؛ إذ لم يفرّق بين المعنيين عن الملك ـ أعني: الثاني والثالث ـ الذين ذكرناهما، ولم يفرّق بين الخير في نفسه والخير بالقياس إلى غيره.

*

١. *الكافي* ٨: ٢٦٦، الحديث: ٣٨٩.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٦٦، الحديث: ٢٣.

[لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ فِى شَىْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللهِ ٱلْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ (٣٢)]

قوله سبحانه: ﴿ تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِى النَّهَارِ ﴾

هو من الشواهد على ما ذكرناه من إطلاق الملك والعزّة، فمضمونه كالبيّنة على أنّ الملك والعزّة لله، يضعهما في أيّ محلّ شاء، ولذلك جاء مفصولاً من غير وصل، فالناظر لو لم يكن يرى تعاقب الليل والنهار ونظر إلى ليلٍ فقط، أو إلى نهارٍ فقط، لم يمكنه أن يذعن بولوج أحدهما في الآخر، والله يفيض النهار

المضيء لموردٍ يفقده وينزع ذلك عن موردٍ تلبّس به، وكذلك الحيّ والميّت لو لم يجد الإنسان إلّا أحدهما فقط لم يمكنه التصديق بخروج أحدهما من الآخر، كالنبات الحيّ والحيوان الحيّ من الأرض الميتة وبالعكس، كالفضلات الميتة مثل الصمغ من الشجرة، ومثل ولادة المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فقد سمّى الله تعالى الإيمان والكفر: حياةً وموتاً، قال تعالى: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾.[١]

ومن الشواهد عليه: الرزق بغير حساب، فإنّ الرزق بحساب فيه شائبة الإقتضاء والإيجاب، بخلاف الرزق بغير حساب؛ فإنّه إنّما يكون عن ملك طلق إتيانه بالمشيّة ونزعه بالمشيّة.

وفي *المجمع* في الآية، قيل: معناه: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. قال: وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله ـ عليهما السلام ـ.[٢]

أقول: وروى قريباً منه الصدوق، عن العسكري ـ عليه السلام ـ،[٣] وهو من قبيل عدّ المصداق والجري.

قوله سبحانه: ﴿ **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾

حكم التقيّة والسياق يعطي أنّ تجويزها مقصور على الظاهر فقط، ولذلك عقّب الآية بقوله: ﴿ **قُلْ إِن كُنْتُمْ** ﴾ إلى قوله ثانياً: ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ** ﴾.

---

١. الأنعام (٦): ١٢٢.

٢. مجمع *البيان* ٢: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

٣. معاني *الأخبار*: ٢٩٠ ـ ٢٩١، الحديث: ١٠.

وفي *الاحتجاج* عن عليّ ـ عليه السلام ـ: وأمرك أن تستعمل التقيّة في دينك؛ فإنّ الله يقول: ﴿ لا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، قال: وإيّاك ثمّ إيّاك أن تتعرّض للهلاك وأن تترك التقيّة التي أمرك بها،[١] فإنّك شائط بدمك ودماء إخوانك، معرّض لنعمك ونعمهم للزوال، مذلّهم في أيدي أعداء دين الله، وقد أمرك الله بإعزازهم.[٢]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ، قال: كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول: لا إيمان لمن لا تقيّة له، ويقول: قال الله: ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾.[٣]

أقول: والروايات في التقيّة وأحكامها كثيرة.

قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾

المحبّة: انجذاب النفس إلى الشيء بما أنّه جميل، وهي من الأحوال الوجدانيّة، تستغني عن التعريف، كالبغض المقابل لها.

وأنت إذا أحببت شيئاً فإنّما تحبّه لجمالٍ فيه وحسن، وربّما صادفت شيئاً من العيب والنقص فيه فأوجب ذلك زوال الحبّ إذا لم يكن مستقرّاً، ولكن مع ثبات الحبّ واستقراره هان العيب والنقص اللائحان في نفسه أو في أفعاله، وكلّما اشتدّ الحبّ ضعف ظهور ما في المحبوب من العيب والنقص وتأثيره، ولا يزال يضعف حتّى يلحق بالعدم، وهو ما يقال: إنّ حبّ الشيء يوجب حبّ آثاره،

١. في المصدر: «فإن ذلک أفضل من أن تتعرض للهلاك وتنقطع به عن عمل الدين وصلاح إخوانک المؤمنين وَإيّاک ثمّ إياک أن تترک التقيّة التی أمرتك بها»

٢. *الاحتجاج* ١: ٢٣٩.

٣. تفسير *العياشي* ١: ١٦٦، الحديث: ٢٤.

وما يقال: إنّ حبّ الشيء يعمي ويصمّ.[١]

ولذلك نرى أنّ الإنسان يتحمّل في جنب المحبّ من البلايا والمحن والأذايا ما لا يتحمّل، ولا يسيراً منه لولا الحبّ، وليس ذلك إلّا لأنّ انجذاب النفس إلى المحبوب واشتغالها به واجتماع إدراكها فيه يوجب ضعف إدراكها لصور البلايا والمحن والمكاره.

والغاية في هذه الجذبة المسمّاة بـ: «الحبّ» هي المحبوب، على حسب ما يليق به من الوجود للمحبّ ووصوله إليه، ففي المطاعم والمشارب: أكلها وشربها، وفي النساء: ازدواجها، وفي المال: التملّك به، وفي العلم: تعلّمه، وفي الجاه: وجدانه وحيازته وهكذا.

وإذا كان الحبّ شيئاً وجدانيّاً إدراكيّاً، كانت غاية الحبّ هي غاية المحبّ بعينها، فغاية الحبّ هي الوصول إلى المحبوب وأن لا يحجبه عنه حاجب، أي أن لا يشتغل نفسه بإدراك ما يمنع إدراكه عن إدراك المحبوب بوجه.

وإذا أمعنّا وجدنا أنّ نهاية الفوز بالمحبوب أن ينسى المحبّ نفسه في جنبه بعد ارتفاع سائر الحجب المانعة.

ومن هنا ما يقال: إنّ غاية الحبّ فناء.

ولما مرّ، كان أشهى الأشياء عند المحبّ ارتفاع الحجب المانعة، ولا بشرى عنده أحبّ من بشرى حبّ المحبوب له، فإنّه بشرى انجذاب متعاكس وقرب مطلوب.

---

١. لم نجده في المجامع الروائية بهذا اللفظ ولكن في *الكافي* ٢: ١٣٦، الحديث: ٢٣: «فانّ حبَّ الدنيا يعمي ويصم»، وفي من لا يحضره *الفقيه* ٤: ٣٨٠، الحديث: ٥٨١٤: «حبكَ للشيء يعمي ويصم»، وراجع: *الميزان في تفسير القرآن* ١: ٣٧٤.

إذا عرفت هذا، علمت أنّ قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ، بمنزلة قولنا: إن كنت تحبّ فلاناً فأحببت محبّته لك وتسهيله طريقك إليه فاعمل بكذا ليحبّك ويرفع الموانع دون الوصول إليه، فكأنّ المعنى: إن كنتم صادقين في حبّ الله أحببتم آثاره وما يرتضيه، وهو ما عندي ـ من التقوى والإحسان بالعمل الصالح ـ فاتّبعوني يحببكم الله؛ إذ هو القائل عزّ من قائل: ﴿ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ،[1] ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ،[2] فهذا ـ أعني: حبّ الله ـ إحدى البشارتين، والثانية: قوله: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ .

فالذنوب هي العائقة عن الإشتغال بالله والحاجبة عن الله ـ جلّ شأنه ـ، قال: ﴿ كَـلَّا إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ يَوْمَـئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ،[3] ﴿ كَـلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُـلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .[4]

وفي *المعاني* عن سعيد بن يسار، قال: قال لي أبوعبد الله ـ عليه السلام ـ: هل الدين إلّا الحبّ، إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول: ﴿ قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ .[5]

أقول: وروى مثله القمّي في تفسيره[6] عن الحذّاء، عن الباقر ـ عليه السلام ـ، و*العيّاشي* في تفسيره[7] عن الحذّاء، عنه عليه السلام، وعن بريد، عنه عليه السلام،

---

١ . آل عمران (٣) : ٧٦.
٢ . آل عمران (٣): ١٣٤.
٣ . المطففين (٨٣): ١٥.
٤ . المطفّفين (٨٣) : ١٤ .
٥ . لم نجده في *معاني الأخبار* ولكن رواه الكليني بسند آخر في *الكافي* ٨: ٧٩، الحديث : ٣٥؛ والصدوق بهذا الاسناد في *الخصال* ١: ٢١، الحديث : ٧٤.
٦ . لم نجده في *تفسير القمي* .
٧ . *تفسير العيّاشي* ١: ١٦٧ الحديث : ٢٥ و ٢٧ و ٢٨.

وعن ربعي، عن الصادق ـ عليه السلام ـ.

وقد مرّ في سورة الحمد عند قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[١]: أنّ العبادة على ثلاثة أقسام: العبادة طمعاً في الجنّة، وخوفاً من النار، وحبّاً لله سبحانه، وأنّ ما دون الثالث ليس بعبادة حقيقة، ومرّت عدّة من الروايات في ذلك.

وفي *المعاني* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: ما أحبَّ الله من عصاه، ثمّ تمثّل بقوله:

تـعصي الإله وأنتَ تُـظهر حُـبَّه هـذا مـحالٌ فـي الفِـعال بـديعُ
لو كـان حُـبّكَ صـادقاً لأطـعتَهُ إنّ المُحبَّ لمَن يـحبّ مـطيعُ[٢]

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديثٍ له قال: ومن سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتّبعنا، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، واللهِ لا يطيع اللهَ عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتّباعنا، ولا والله لا يتّبعنا عبد أبـداً إلّا أحبّه الله، ولا والله لا يدع أحد اتّباعنا إلّا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبـداً إلّا عصى الله، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبّه على وجهه في النار، والحمد لله ربّ العالمين.[٣]

*

١. الفاتحة (١): ٥.
٢. لم نجده في *معاني الأخبار* ولكن رواه العاملي في *وسائل الشيعة* ١٥: ٣٠٨، الحديث: ٢٠٥٩٦؛ وابن شعبة في *تحف العقول*: ٢٩٤ بهذه العبارة: «ما عرف الله من عصاه وأنشد»

تعصي الإله وأنت تظهر حبّهُ هذا لعمرك فـي الفـعال بـديع
لو كان حبكَ صـادقاً لأطـعته انّ المحبّ لمـن أحبّ مـطيع

٣. *الكافي* ٨: ١٣، الحديث: ١.

[إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾].

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَى آدَمَ ﴾

الإصطفاء وحده غير الإصطفاء على العالمين، والذي مرّ من معنى الإصطفاء وأنّه مقام التحقّق بالدين هو الإصطفاء فقط، ويومي إلى ذلك قوله: ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[1] حيث فرّق بين نوعي الإصطفاء.

وقد عرفت في الفرق بين الاصطفاء والاجتباء، أنّ الاصطفاء كمال اكتسابيّ دون الاجتباء فهو وهبيّ اختصاصيّ، والكمال الاختصاصيّ وإن كان غير ميسور بالكسب لكن يحتاج إلى كمال نفساني به يحصل الاستعداد والاستحقاق لإفاضته حتّى لا يلزم الترجيح من غير مرجّح، فله نسبة إلى المحلّ بالاستعداد، وإلى المفيض بالاختصاص.

---

١. آل عمران (٣): ٤٢.

وقوله سبحانه: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾
مشعر بأنّ بين هذه الذرّيّة سبباً متّصلاً وحبلاً متيناً ممدوداً، هو الموجب لإفاضة هذا الإصطفاء، والله سميعٌ لأقوالهم، عليم بأفعالهم، كما أشار إليه في آل إبراهيم بقوله: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَـقِبِهِ ﴾.(١)

ونصب ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ وهي عطف بيان، يدلّ على كون المصطفين منخرطين في سلك واحد من سلسلة متّصلة وذرّيّة واحدة، فآل إبراهيم من ذرّيّة إبراهيم من نسل واحد، والنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ من آل إبراهيم وذرّيّته، كما يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾،(٢) وهذا القرع والتعيير، لأهل الكتاب الذين هم في عهد النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فالآية تدلّ على كون آل إبراهيم المذكورين هاهنا من غير بني إسرائيل، وعلى كون النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ من آل إبراهيم، وآل رسول الله منه، فالنبيّ وآله من آل إبراهيم.

وأمّا قوله: ﴿ وَآلَ عِـمْرَانَ ﴾ فعمران هذا، إمّا أبو موسى وهارون ـ عليهم السلام ـ وهو ابن يصهر بن ناهث بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ و إمّا أبو مريم، وهو عمران بن ماثان، ينتهي بسبعة وعشرين أباً إلى يهودا بن يعقوب ـ عليه السلام ـ، ويؤيّد ثاني الإحتمالين الآيات التالية، وفيها ذكر امرأة عمران ومريم وابنها عيسى واصطفاء الله إيّاهما. على أنّ عمران أبا موسى لم يرد منه ذكر باسمه في سائر القرآن، هذا.

---

١. الزخرف (٤٣): ٢٨.
٢. النساء (٤): ٥٤.

وإلى ما مرّ من معنى آل إبراهيم يشير ما في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـأنّه تلا هذه الآية، فقال: نحن منهم، ونحن بقيّة تلك العترة.[١]

وما في *العيون* في حديث الرضا مع المأمون، فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن ـعليه السلام ـ: إنّ الله أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ فقال له الرضا ـعليه السلام ـ: في قوله: ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ** ﴾.[٢]

أقول: وفي هذا المعنى روايات أُخرى،[٣] والبيان ما مرّ.

وفي *المجمع*: في قراءة أهل البيت: وآل محمّد على العالمين.[٤]

أقول: وعليه روايات،[٥] وإن اختلفت[٦] بعض الإختلاف.

وعن *تفسير الثعلبي* أنّه قرأ في مصحف عبد الله بن مسعود: وآل إبراهيم وآل محمّد على العالمين.[٧]

---

١. *تفسير العياشي* ١: ١٦٨، الحديث: ٢٩.

٢. عيون *أخبار الرضا* ـعليه السلام ـ ١: ٢٢٨، الحديث: ١.

٣. *الأمالي* للصدوق: ١٥٧، المجلس الثلاثون، الحديث: ١؛ *الكافي* ٨: ١١٧، الحديث: ٢؛ تفسير *العياشي* ١: ٢٧٩، الحديث: ٢٨٦.

٤. مجمع *البيان* ٢: ٧٣٥.

٥. *الأمالي* للطوسي: ٣٠٠، المجلس الحادي عشر، الحديث: ٥٩٢؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٦٩، ٣٥؛ تفسير *القمّي* ١: ١٠٠.

٦. حيث يدلّ بعضها على سقوط الكلمة بعد لفظ آل عمران وفي بعضها تبديل آل عمران بآل محمد [منه ـرحمه الله ـ].

٧. لم نجده في تفسير *الثعلبي* وراجع: *شواهد التنزيل* ١: ١٥٢، الحديث: ١٦٥ ـ ١٦٧؛ *العمدة*: ٥٥ ، الحديث: ٥٥؛ *بحار الأنوار* ٢٣: ٢٢٨، الحديث: ٥١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٣٩١، الحديث: ١٧؛ *احقاق الحق* ١٤: ٣٨٤.

[إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى المِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالعَشِىِّ وَالإِبْكَارِ (٤١)]

قوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ ﴾
شروع في قصّة عيسى ـعليه السلام ـوكيفيّة تكوّنه وولادته والتعرّض عند ذلك لقصّة مريم، ولقصّة زكريّا ويحيى؛ لما لها من الإرتباط بالقصّة.

ويشعر بذلك قوله: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا ﴾ وقوله: ﴿ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ آللهِ ﴾.

هذا، وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: إنّ الله أوحى إلى عمران: أنّي واهب لك ذكراً سويّاً[١] مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدّث عمران امرأته حنّة بذلك ـوهي أمّ مريم ـ فلمّا حملت كان حملها بها عند نفسها غلاماً، ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾ لا تكون البنت رسولاً، يقول الله تعالى: ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾، فلمّا وهب الله لمريم عيسى كان هو الذي بشّر به عمران ووعده إيّاه، فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً، وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك.[٢]

أقول: وروى قريباً منه *العيّاشي في تفسيره*،[٣] وكون اسم امرأة عمران حنّة ـكما في الرواية ـ هو المشهور، وفي بعض الروايات: مرثار.[٤]

ويستفاد من الرواية أنّ عمران كان نبيّاً يوحى إليه، وإن لم يذكر في القرآن

---

١. في المصدر: - «سوّياً»؛ وفي *الكافي* ١: ٥٣٥، الحديث: ١ موجودة.
٢. تفسير *القمي* ١: ١٠١؛ *الكافي* ١: ٥٣٥، الحديث: ١.
٣. تفسير *العياشي* ١: ١٧١، الحديث: ٣٩.
٤. لم نجده بلفظ «مرثار» في الروايات ولكن وجدناه بلفظ «مرثا» في *الكافي* ١: ٤٧٩، الحديث: ٤؛ بحار *الأنوار* ٤٨: ٨٧، الحديث: ١٠٦، وبلفظ «مرثان» في تفسير *الصافي* ٢: ٣٥ نقلاً عن *الكافي*.

بين الأنبياء المسمّين.

وفي *البحار* عن *القصص*، عن أبي بصير، قال: سألت عن عمران أكان نبيّاً؟ فقال: نعم، كان نبيّاً مرسلاً إلى قومه... الحديث.[١]

ثمّ إنّ إخباره تعالى بعيسى بالوحي يصدّقه قوله: ﴿ **نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّراً** ﴾ فإنّه مشعر بأنّ حملها كان عندها ذكراً.

وأيضاً يستفاد من الرواية أنّ قوله: ﴿ **وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى** ﴾، مقول قولها، ويؤيّده قراءة ﴿ **وَضَعْتُ** ﴾ بصيغة المتكلّم وحده، وأمّا قراءة ﴿ **وَضَعَتْ** ﴾ بصيغة المفردة الغائبة، فعليها قوله: ﴿ **وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ** ﴾ جملة معترضة غير محكيّة عن قولها.

قوله سبحانه: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** ﴾

أي تقبّلها من حيث تعلّق النذر بها إذ كانت نذرت ما في بطنها من الولد، وإن كانت تزعم كونها ذكراً.

وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً** ﴾

بمنزلة الإخبار عن استجابة دعائها إذ قالت: ﴿ **وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ** ﴾

قوله سبحانه: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا** ﴾

في *تفسير القمّي* في ذيل الرواية السابقة: فلمّا بلغت مريم صارت في المحراب وأرخَت على نفسها ستراً، وكان لا يراها أحد، وكان يدخل عليها زكريّا

---

١. *بحار الأنوار* ١٤: ٢٠٢، الحديث: ١٤؛ *القصص* للراوندي: ٢١٤، الحديث: ٢٧٨.

المحراب فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فكان يقول: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ فتقول: ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.[1]

أقول: والروايات في هذا المضمون كثيرة.[2]

وفي تنكير قوله: ﴿ رِزْقاً ﴾ تلويح أنّه كان نوعاً من الرزق مخصوصاً.

وفي قوله: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ أيضاً من التلويح على كونه خرقاً للعادة ما لا يخفى.

وفي قوله: ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ ﴾

باختيار الفصل على الوصل، يشعر بأنّ استفساره عنها لم يكن كلّما رأى عندها الرزق.

قوله سبحانه: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾

لفظ ﴿ هُنَالِكَ ﴾ للمكان أو للزمان.

وقوله: ﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

أي مباركة لائقة به، فالطيّب من كلّ شيء ما يلائم الغرض المقصود منه، ومنه: طاب العيش، وطاب الكلام، وطاب المجلس، وطاب الطعام.

---

١. تفسير *القمي* ١: ١٠١.

٢. تهذيب *الاحكام* ٩: ٢٦٦؛ *الأمالي* للطوسي: ٦١٤، مجلس يوم الجمعة، الحديث: ٧؛ تفسير *العياشي* ١: ١٧١، الحديث: ٤١.

وقوله: ﴿ وَسَيِّداً ﴾
أي شريفاً في قومه بالزهادة والعبادة.

وقوله: ﴿ وَحَصُوراً ﴾
من الحصر، أي يحصر نفسه عن الشهوات، وخاصّة شهوة النساء.

وقوله: ﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
كلمة «من» نشويّة أو تبعيضيّة.

قوله سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾
في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: إنّ زكريّا لمّا دعا ربّه أن يهب له ولداً فنادته الملائكة بما نادته به، أحبّ أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله، فأوحى إليه أنّ آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيّام، فلمّا أمسك لسانه ولم يتكلّم، عَلِم أنّه لا يقدر على ذلك إلّا الله، وذلك قول الله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾.[١]

وفي *تفسير القمّي* في ذيل الحديث السابق، قال زكريّا: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ﴾، وذلك أنّ زكريّا ظنّ [أنّ] الذين بشّروه هم الشياطين، فقال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ فخرس ثلاثة أيّام.[٢]

١. *تفسير العياشي* ١: ١٧٢، الحديث: ٤٣؛ *بحارالانوار* ١٤: ١٨٤، الحديث: ٣١.
٢. *تفسير القمي* ١: ١٠١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٣٩٣، الحديث: ٢.

أقول: قد مرّ في تفسير الفاتحة أنّ الألفاظ موضوعة بإزاء حاقّ المعاني من غير نظر إلى خصوصيّات المصاديق، وعليه فالكلام والقول إنّما هو كلام باعتبار ما يدلّ عليه من المعنى الذي يصحّ السكوت عليه، فما يفيد معنىً تامّاً فهو كلام وقول، سواء كان معه لفظ وصوت، أو كان من غير سنخ الألفاظ كالإشارات ونحوها، والناس لا يتوقّفون في تسمية الصوت المسموع المفيد فائدة تامّة، وتسمية الإشارة المفيدة كذلك كلاماً.

والقرآن أيضاً يسمّي المعاني الملقاة في القلوب من ناحية الشياطين كلاماً وقولاً، قال سبحانه: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ ٱلأَنْعَامِ ﴾،[1] وقال: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ ٱكْفُرْ ﴾،[2] وقال: ﴿ يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾،[3] وقال: ﴿ شَيَاطِينَ ٱلإِنسِ وَٱلجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلقَوْلِ ﴾،[4] وقال ـ حكايةً عن إبليس ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ ﴾،[5] وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ﴾.[6]

ومن الواضح أنّ هذه هي الخواطر الواردة على القلوب، نُسبت إلى الشيطان وسُمّيت بـ: الأمر والقول والوسوسة والوحي والوعد، وجميعها كلام، ولا لفظ لساني هناك.

ومن هنا يُعلم أنّ ما يشتمل عليه قوله: ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ

---

١. النساء (٤): ١١٩.
٢. الحشر (٥٩): ١٦.
٣. الناس (١١٤): ٥.
٤. الأنعام (٦): ١١٢.
٥. إبراهيم (١٤): ٢٢.
٦. البقرة (٢): ٢٦٨.

بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾،[1] من وعده سبحانه مغفرةً وفضلاً في قبال وعد الشيطان، هو الكلام الملكيّ في قبال الوسوسة والكلام الشيطانيّ، ووصفه بالحكمة ومثلها قوله: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾،[2] وقوله: ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾،[3] وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.[4]

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: ما من قلب إلّا وله أُذنان، على إحداهما مَلَك مرشد، وعلى الأُخرى شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والمَلَك يزجره عنها، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[5] الحديث.[6]

والأخبار في ذلك كثيرة،[7] سيأتي إن شاء الله شطرٌ منها.

فهذه الخواطر التي تطرق القلب من المعاني التي تدعو إلى رضى الله أو سخطه، نحن نراها تنشئها نفوسنا، والله سبحانه يخبرنا أنّها من كلام المَلَك أو الشيطان، وقد أخبر تعالى أنّ الملائكة شأنهم الخير والصدق، والشيطان شأنه

---

١. البقرة (٢): ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

٢. التغابن (٦٤): ١١.

٣. الحديد (٥٧): ٢٨.

٤. الفتح (٤٨): ٤.

٥. ق (٥٠): ١٧.

٦. *الكافي* ٢: ٢٦٦، الحديث: ١، باب أنّ للقلب أذنين؛ تفسير *القمي*٢: ٤٥٠؛ *الميزان في تفسير القرآن* ٣: ١٨٥.

٧. *الكافي* ٢: ٢٦٦.

الإغواء والإضلال، وبذلك يحصل التميّز بين الخواطر، وتمييز الخاطر الملكي من الخاطر الشيطاني، فما يدعو إلى الله سبحانه من الخواطر فهو ملكيّ، وما يدعو إلى غيره فهو شيطانيّ.

وربّما ظهر الشيطان بخاطر الملك، ويعرف بالغرض منه وهو الذي من خطوات الشيطان، كما مرّ في سورة البقرة عند قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾.[1]

ثمّ إنّ الأنبياء ومن يتلوهم ربّما تيسّر لهم مشاهدة المَلَك والشيطان ومعرفتهما، كما حكاه سبحانه عن آدم وإبراهيم ولوط،[2] فأغنى ذلك عن استعمال التمييز، وأمّا مع عدم المشاهدة فحالهم حال سائر المؤمنين في استعماله وإن كانوا معصومين لا سبيل للشيطان إليهم في صدّهم عن سبيل الله، كما سيجيء.

وإلى ذلك يشير ما في *الكافي* عن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن الرسول، وعن النبيّ، وعن المحدّث؟ قال: الرسول: الذي يعاين المَلَك يأتيه بالرسالة من ربّه يقول: يأمرك كذا وكذا، والرسول: يكون نبيّاً مع الرسالة، والنبيّ: لا يعاين الملك ينزل عليه الشيء النبأ على قلبه فيكون كالمغمى عليه فيرى في منامه، قلت: فما علمه أنّ الذي في منامه حقّ؟ قال: يبيّنه الله حتّى يعلم أنّ ذلك حقّ، ولا يعاين الملك، الحديث.[3]

---

١. البقرة (٢): ١٦٨.

٢. *الأعراف* (٧): ٢٠ ـ ٢٢؛ *العنكبوت* (٢٩): ٣١ ـ ٣٣.

٣. لم نجده بهذه الألفاظ في *الكافي* ولكن وجدناه في *بصائر الدرجات*: ٣٧١، الحديث: ١٢، نعم روى الكليني أحاديث بهذا المضمون، فراجع: *الكافي* ١: ١٧٦، الحديث: ١ ـ ٤.

أقول: قوله: «والرسول يكون نبيّاً»، إشارة إلى إمكان اجتماع الوصفين.

وقوله: «فيكون كالمغمى عليه» تفسير معنى رؤيته في المنام، وأنّ معناها الغفلة عن الحسّ.

وقوله: «يبيّنه الله» إشارة إلى تميّز الكلام الملكي من الشيطاني بما يبيّنه الله من الحقّ.

وفي *البصائر* عن بريد عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ في حديث، قال بريد: فما الرسول والنبيّ والمحدّث؟ قال: الرسول: الذي يظهر [له] الملك فيكلّمه، والنبيّ: يرى في المنام، وربّما اجتمعت النبوّة والرسالة لواحد، والمحدّث: الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة. قال: قلت: أصلحك الله، كيف يعلم أنّ الذي رأى في المنام هو الحقّ وأنّه من المَلَك؟ قال: يوفّق لذلك حتّى يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب وبنبيّكم الأنبياء[1] الحديث.[2]

إذا عرفت ما مرّ، علمت أنّه لذلك لمّا نادت الملائكة زكريّا، سأل ربّه آية تطمئنّ إليه نفسه إذ حيث لم يرَ الملك ولم يعرف، فأُجيب بآية في نفسه تطمئنّ إليه نفسه، وهو أن لا يقدر على التكلّم ثلاثة أيّام إلّا رمزاً، ولا سبيل للشيطان إلى نفوس الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لمكان العصمة. وفي قوله: ﴿**فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ**﴾ بعض التلويح إلى ذلك؛ إذ النسبة بين الإنسان والملك، ليست النسبة المكانيّة قرباً وبعداً، فافهم.

*

---

١. في *بصائر الدرجات*: «قال يوقع علم ذلك حتى يعرفه»

٢. *بصائر الدرجات*: ٣٧١ الحديث: ١١؛ و مثله في *الكافي* ١: ١٧٧، الحديث: ٤.

[إذْ قَالَتِ ٱلْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إذَا قَضَى أمْراً فَإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إلَى بَنِي إسْرَائِيلَ أنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أنِّي أخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ

وَأطِيعُونِ (٥٠) إنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّا أحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أنْصَارِى إلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ (٥٤) إذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمَّ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ (٥٨) إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ (٦٠)]

قوله سبحانه: ﴿ وَإذْ قَالَتِ ٱلمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ﴾

سألت أمّ مريم العبادة لها والعصمة لها ولذرّيّتها، إذ نذرت لما في بطنها التحرير لله وسمّتها مريم وهي العابدة وأعاذتها وذرّيّتها بالله سبحانه، فأجابها الله إذ قال: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾.

وهذا السياق يعطي أن يكون قول الملائكة: ﴿ إنَّ اللهَ ٱصْطَفَاكِ ﴾ يراد به الإصطفاء بحسب الدين، وقد مرّ شرحه.

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ يراد به العصمة، وخاصّة فيما يختصّ بالنساء من العفّة.

﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلعَالَمِينَ ﴾ أي: في الولادة من غير فحل.

وإليه يؤول ما في *المجمع* عن الباقر ـعليه السلام ـ: معنى الآية: اصطفاكِ من ذرّيّة الأنبياء، وطهّركِ من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل.[١]

أقول: ومسألة تكليم الملائكة للإنسان هو المسمّى بـ: (التحديث)، وقد وردت الروايات أنّ مريم بنت عمران كانت محدَّثة،[٢] وأنّ صاحب سليمان، والخضر صاحب موسى، وذا القرنين كانوا محدّثين،[٣] والقرآن يؤيّدها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ ﴾،[٤] وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾،[٥] وقال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾.[٦]

ووردت الروايات أنّ الأئمّة من أهل البيت كانوا محدَّثين،[٧] وأنّ فاطمة سيّدة النساء كانت محدَّثة،[٨] وأنّ سلمان الفارسي ـرضي الله عنه ـ كان محدَّثاً.[٩] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

---

١. *مجمع البيان* ٢: ٧٤٦.

٢. *علل الشرايع* ١: ١٨٢، الحديث: ٢؛ *كتاب سليم بن قيس*: ٨٢١، الحديث: السابع والثلاثون.

٣. *بصائر الدرجات*: ٣٦٦ و ٣٢٣، الحديث: ١١؛ *رجال الكشي*: ١٧٧، الحديث: ٣٠٥.

٤. النمل (٢٧): ٤٠.

٥. الكهف (١٨): ٦٥.

٦. الكهف (١٨): ٨٦.

٧. *بصائر الدرجات*: ٣١٩ و ٣٢١، «باب في أنّ المحدّث كيف صفته وكيف يصنع به وكيف يحدّث الائمة»؛ *رجال الكشي*: ١٥، الحديث: ٣٦؛ ١٢، الحديث: ٢٧؛ *الأمالي* للطوسي: ٤٠٧، الحديث: ٩١٤، المجلس الرابع عشر.

٨. *علل الشرايع* ١: ١٨٢، الحديث: ٢؛ *بصائر الدرجات*؛ ٣٧٢، الحديث: ١٦؛ *كتاب سليم بن قيس*: ٨٢١، المجلس السابع والثلاثون؛ *كشف الغمة* ١: ٤٦٨.

٩. *الأمالي* للطوسي: ٤٠٧، الحديث: ٩١٤، المجلس الرابع عشر؛ *بصائر الدرجات*: ٣٢٢، ←

ٱلْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُـنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾،[1] وسيجيء شرحه في الكلام على الآيات.

وفي *بصائر الدرجات* عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في حديث: فقلت: وأيّ شيءٍ المحدَّث؟ فقال: ينكت في أُذنه فيسمع طنيناً مثل[2] طنين الطست، أو يقرع على قلبه فيسمع وقعاً كـوقع السـلسلة عـلى الطست، فقلت: إنّه نبيّ؟ قال: لا، مثل الخضر ومثل ذي القرنين.[3]

وفيه أيضاً عن زرارة، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في حديث: الذي يسمع الصوت ولا يرى شيئاً.[4]

وفيه أيضاً عن بريد العجلي، عن أبي عبدالله ـ عليه السـلام ـ: والمـحدَّث: الذي يسمع كلام الملائكة وينقر في أُذنه وينكت في قلبه.[5]

أقول: وفي هذه المعاني عدّة روايات أُخر،[6] وعدّ النقر والنكت وغيرهما من الكلام بناءً على ما مرّ من معنى الكلام، وعدم رؤيـة المـلك حـال النكت والتكليم لا ينافي الرؤية في غير تلك الحال كتمثّل جبرئيل لمريم ـ عليها السلام ـ.

وفي *البصائر* أيضاً عن محمّد بن مسلم، قال: ذكرت المحدَّث عند أبي عبد الله

ـ الحديث: ٤؛ *رجال الكشي*: ١٢، الحديث: ٢٧؛ ١٥،الحديث: ٣٥ و ٣٦؛ ١٩، الحديث: ٤٤؛ *علل الشرايع* ١: ١٨٣.

١. فصّلت (٤١): ٣٠ ـ ٣٢.

٢) في المصدر: «كطنين»

٣. *بصائر الدرجات*: ٣٢٤، الحديث: ١٣.

٤. *بصائر الدرجات*: ٣٦٨، الحديث: ٣ و ٢.

٥. *بصائر الدرجات*: ٣٦٨، الحديث: ١.

٦. راجع *بصائر الدرجات*: ٣١٦، باب ما يفعل بالإمام من النكت والقذف والنقر في قلوبهم وأذنهم.

ـعليه السلام ـ قال: فقال: إنّه يسمع الصوت ولا يرى، فقلت: أصلحك الله، كيف يعلم أنّه كلام المَلَك؟ قال: إنّه يُعطى السكينة والوقار حتّى يعلم أنّه ملك.[١]

أقول: إشارة إلى ما مرّ من التميّز، ومن جملة أقسامه الطمأنينة والإضطراب، ومنها: المجيء عن اليمين وعن الشمال.

قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ** ﴾

مشعر بأنّه إنباء عن دراية لمن فقد الدراية، ولهذا أخبر أنّه من أنباء الغيب من حفيظٍ عليم، وليس المراد بالغيب ما هو غيب بعد انقضاء، أو أنّه بعد ما كان شهادة لشاهده، وسيجيء تمام الكلام في سورة الأنعام.

قوله سبحانه: ﴿ **يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـ: يقرعون بها حين أيتمت من أبيها.[٢]

أقول: وفي معناه أخبار أُخر،[٣] وقوله: ﴿ **إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾، أي في كفالتها، وعليه وردت الروايات.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ** ﴾

لا ينافي ما هنا ما في سورة مريم: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا** ﴾،[٥] من إخبار الروح

---

١. بصائر *الدرجات*: ٣٢٣، الحديث: ٩.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٠١، الحديث: ١٥.
٣. تفسير *القمي* ١: ١٠١؛ من لا يحضره *الفقيه* ٣: ٨٩، الحديث: ٣٣٨٨؛ *الخصال* ١: ١٥٦، ١٩٨.
٤. تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٣، الحديث: ٤٨؛ تفسير *القمي* ١: ١٠١؛ تفسير *الصافي* ٢: ٤٥.
٥. مريم (١٩): ١٧.

بولادته، إذ قال لها ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ﴾،[١] وهو ظاهر.

وفي *قصص الأنبياء* عن الباقر ـ عليه السلام: إنّ مريم بشّرت بعيسى، فبينما هي في المحراب إذ تمثّل لها الروح الأمين بشراً سويّاً ... الحديث.[٢]

وإذا ضُمّ قوله هناك ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾،[٣] إلى قوله هاهنا: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ ٱللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾، أفاد ذلك أنّ غير النبيّ ربّما سمع كلام الله سبحانه.

وقد أفاد ما في سورة مريم إمكان مشاهدة غير النبيّ المَلَك واستماعه كلامه.

قوله سبحانه: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

قيل: المسيح معرّب مشيحا،[٤] ومعناه: المبارك، كما حكى الله تعالى عنه قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾، وعيسى معرّب يسوع، بمعنى يعيش.

وقوله: ﴿ وَجِيهاً ﴾

أي ذا جاه مقبولاً، وهو مشهود في الدنيا وسيشهد في الآخرة.

وقوله: ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

سيأتي شرح معناه.[٥]

---

١. مريم (١٩): ١٩.

٢. *قصص الأنبياء* للراوندي: ٢٦٤، الحديث: ٣٠٣.

٣. مريم (١٩): ٢٠ ـ ٢١.

٤. قال ابو عبيدة: هو بالسريانية «مشيحا» فعرّبته العرب، مجمع *البيان* ٢: ٧٤٩.

٥. في سورة الواقعة عند قوله: ﴿ألسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، [منه ـ رحمه الله ـ].

وقوله: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً ﴾

هو معنى تأييده عليه السلام بروح القدس، كما قال سبحانه: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾.(١)

وقوله: ﴿ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

قد مرّ معناه، كما مرّ معنى «الكلمة» إذا نسب إلى الله تعالى وهو الوجود الطاهر عن ألواث المعاصي وكدورات الطبيعة.

واعلم أنّ هذه الآيات إلى آية المباهلة وما سبقها من قصّة مريم وولادتها، تتكفّل إجمال القول في خلقة عيسى ـ عليه السلام ـ وحياته وتوفّيه، وهو ـ عليه السلام ـ آية في خلقته وحياته وتوفّيه جميعاً، كما كان يكرّر لفظ الآية في كلامه ودعوته كما حكاه القرآن.

والمقام ـ وإن كان يقتضي الإطناب ـ كما يظهر من سياقها أنّها نزلت في محاجّة نصارى نجران، وقد روى ذلك المفيد في *الاختصاص* عن محمّد بن المنكدر عن أبيه، عن جدّه، في حديث طويل،(٢) غير أنّ تفصيل القول قد بيّنه تعالى فيما أنزله قبل هذه السورة من سورة مريم وغيرها.(٣)

وكيف كان، فإنّا إذا تأمّلنا ما ذكره تعالى في خلقته عليه السلام كقوله:

---

١. المائدة (٥): ١١٠.

٢. *الاختصاص*: ١١٢.

٣. اي قبل هذه السورة بحسب ترتيب النزول، فإنّ سورة مريم، السورة الرابع و الأربعين وسورة آل عمران، السورة التاسع والثمانين حسب ترتيب النزول على المشهور. [*تاريخ القرآن*، للدكتور محمود رامياد: ٦٩٠ ـ ٦٩٦].

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾،[١] إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ﴾،[٢] وقوله تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾،[٣] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾،[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾،[٥] لاح لنا بادئ الأمر أنّه ـ عليه السلام ـ كان روحاً سماويّاً غير أرضيّ، ظاهراً في صورة إنسانيّة، كما أنّ الآيات الظاهرة منه عليه السلام من خلق الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإنباء عن المغيّبات، كلّها أُمور روحيّة معنويّة، غير أنّ ما يخبره سبحانه من حمل مريم به ووضعه وولادته، إذ قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾،[٦] وما ذكره تعالى في آخر هذه الآيات بقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، يعطي أنّ خلقته كانت خلقة بشريّة، وإنّما خرقت العادة في التناسل فتمّت من غير نطفة الذكور، كما تمّت خلقة آدم من غير نطفة، وإنّما حقيقة كونه ـ عليه السلام ـ روحاً منفوخاً من روح ثمّ مؤيّداً بروح القدس، عدم تأثير الخليط الأرضي في روحه وبقائه على طهارته ونزاهته الأصليّة السماويّة، وهو الفارق بينه وبين آدم ـ عليه السلام ـ، فهو من

---

١. مريم (١٩): ١٧.
٢. مريم (١٩): ١٩.
٣. الأنبياء (٢١): ٩١.
٤. النساء (٤): ١٧١.
٥. البقرة (٢): ٨٧.
٦. مريم (١٩): ٢٢ ـ ٢٤.

أُولي العزم لم ينسَ الميثاق ولم يحتجب عن الطهارة الأصليّة، فكان روحاً من الله وكلمةً لله، وقد قال تعالى في آدم: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ،[١] وإنّما عاد آدم ـ عليه السلام ـ إلى ما كان عليه بعد توبته، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ ،[٢] فهذا إجمال ما يتعلّق بخلقته ـ عليه السلام ـ.

وأمّا حياته عليه السلام؛ فعمدة ما شرّفه به القرآن ما وصفه به في هذه السورة بـ: الكلمة وسمّاه: المسيح وهو المبارك، وبـ: الوجاهة، وبكونه من المقرّبين ومن الصالحين، وبعلم الكتاب والحكمة، وبالرسالة وتصديق *التوراة* والاختصاص ببعض الأحكام، وفي سورة مريم بالعبوديّة والنبوّة،[٣] وفي سورة الزخرف[٤] ببيان بعض اختلافات الناس، وفي سورة الصفّ[٥] بالبشارة برسول الله محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ في عدّة مواضع بالشهادة وبكونه أحد الخمسة أُولي العزم وبالإمام، وقد مرّ تفسير بعضها، وسيجيء معنى بعضها الآخر.

فله ـ عليه السلام ـ من المقامات الموقوفة المختصّة: النبوّة والرسالة وولاية العزم والإمامة، على أنّه ـ عليه السلام ـ روح الله وكلمته، وقد مرّ في ذيل قوله: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [٦] أنّ دين الله واحد لا يزال يتدرّج من النقص إلى

---

١. طه (٢٠): ١١٥.
٢. طه (٢٠): ١٢٢.
٣. مريم (١٩): ٣٠.
٤) الزخرف (٤٣): ٦٣.
٥. الصف (٦١): ٦.
٦. البقرة (٢): ٢١٣.

الكمال بتتالي القرون إلى ختم الدين والرسالة، فهو عليه السلام كان مصدّقاً للتوراة، وقد زاد على ما فيه بعض ما يصلح للزيادة في زمانه، وكان مبشّراً برسول يكمل الله به دينه ويختم أمره، لكونه أقرب أُولي العزم منه، وقد ذكره الله في كتبه كما قال: ﴿ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾.[1]

وله ـ عليه السلام ـ من المقامات العامّة المشتركة: مقام العبوديّة، وأنّه من الشهداء ومن الصالحين ومن المقرّبين، وقد حباه الله تعالى بالسلام والبركة والوجاهة ـ صلّى الله على نبيّنا وآله وعليه ـ.

وأمّا وفاته ـ عليه السلام ـ فقوله سبحانه في هذه السورة: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، وإن كان ظاهراً في أنّه تعالى أخذه عليه السلام من بينهم إليه وبتّر مكرهم وحيلتهم فيه، لكن يمكن توجيهه بما يوافق الموت العادي لمكان قوله: ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾. لكن قوله في سورة النساء: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾،[2] يكذّب ذلك وينفي أن يكون ما شاهدوه من قتل عيسى وصلبه على حقيقته ولم يقع له عليه السلام غير ذلك من وقائع القتل أو الموت، فهم قد فقدوه وأخذوا بغيره وأنّ الله رفعه إليه، وقوله هاهنا: ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾. يعطي أنّه وقع عليه التوفّي، وأمّا أين صار عليه السلام بعد توفّيه؟

---

١. الأعراف (٧): ١٥٧.

٢. النساء (٤): ١٥٧ ـ ١٥٨.

فمطويّ عنه في القرآن شرحه، وإنّما جملة الأمر أنّ الله رفعه إليه، فافهم وسيجيء الأخبار المتعلّقة بهذا الباب.

قوله سبحانه: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[١]

الآية هي العلامة التي يستدلّ بها على الشيء، وقد كثر استعماله في كلامه تعالى فيما يستدلّ به عليه تعالى بنحوٍ من الأنحاء، وإن كانت ربما استعملت في غيره، كقوله: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾.[٢]

والتي يستدلّ بها عليه تعالى:

منها: ما هو على العادة الجارية، كالسماء والأرض والشمس والقمر والسحاب والريح وغير ذلك، وقد عدّ الله سبحانه جميع ذلك آية يستدلّ بها من حيث أصناف الصفات المشهودة فيها على توحيده وعلمه وقدرته وسائر صفاته الكماليّة، وعلى ما أنبأ به أنبياؤه بالغيب، كالبعث والنشور ونحو ذلك.

ومنها: ما يدلّ على أمر خاصّ وحادثٍ مخصوص غير ثابت الوجود ولا دائمة، وبالضرورة يكون خارقاً للعادة غير جارٍ عليها، إذ لو انطبق على العادة الجارية لم يدلّ إلّا على معنى ثابت الوجود ودائمه، وذلك كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير، وقد حكى سبحانه هذا القسم عن كثير من أنبيائه ورسله، إذ سئلوا عن ذلك، ليستدلّوا بذلك على صدق ما يدّعونه من الرسالة،

---

١. الظاهر أنّه بدل أو عطف بيان من قوله: ﴿رسولاً﴾ لأنّ ما يحتمله بعضهم من تقدير القول ونحوه، بل هو حكاية قوله في رسالته، يبيّن به رسالته، التصرف في أقسام حكاية القول بلطائفها من خواصّ القرآن، [منه ـ رحمه الله ـ].

٢. الشعراء (٢٦): ١٢٨.

وربّما وجد مع غيرهم للدلالة على أمر إلهي، كقوله تعالى في طالوت: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾،[1] وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾،[2] ولذلك سمّيت معجزة، وهي من الكلمات الإسلاميّة، مثل تسمية الصفر الأوّل بـ: المحرّم، وتسمية المعصية بـ: الفسق، ونحو ذلك، فقيل: آية معجزة، ثمّ اختصرت وحذفت الآية وقيل: معجزة.

وقد اختلف أرباب النظر في حقيقة المعجزة وغاروا في البحث عنها، ولا يهمّنا التعرّض لشتات كلماتهم، والذي يعطيه الأُصول البرهانيّة: هي أنّ كلّ حادث ممكن فلوجوده علّة، وأنّ العلّة القريبة للحادث الطبيعي حادث طبيعي من سنخه، وأنّ الحوادث الطبيعيّة تنتهي عللها إلى ما وراء الطبيعة، ولا ضرورة ولا برهان يقضيان بدوران حادث طبيعي مدار السبب الطبيعي العادي المعهود له وجوداً وعدماً. فهذه المقدّمات تقضي بإمكان صدور حوادث طبيعيّة مادّيّة عن ما وراء الطبيعة غير مستند إلى سببها العادي المعروف، بل إلى سبب مجهول لنا بحسب العادة.

هذا، فإن دعت إلى الله ودلّت على أمر إلهي ـ كما في مورد التحدّي ـ سمّيت بـ: الآية المعجزة، وإن دلّت على كرامة صاحبها على الله سمّيت بـ: الكرامة، وإن لم تدعُ إلى الله ـ كالخوارق الصادرة عن بعض أرباب الرياضات الشيطانيّة ـ فمن مطلق الخوارق، كالسحر والكهانة.

وجميع الأقسام واقعة غير منكرة إلّا من معاندٍ مكابر، وناهيك في ذلك وجود القرآن الكريم بأيدينا، ﴿ قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ

---

١. البقرة (٢): ٢٤٨.

٢. الأنبياء (٢١): ٩١.

هَذَا ٱلْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ،[١] وما هو المشهود المحسوس من الخوارق الصادرة عن أرباب الرياضات بهند وغيره.

قوله سبحانه: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ ﴾

بيان لقوله: ﴿ بِآيَةٍ ﴾ وهذه التي عدّها هي الآيات على رسالته إلى بني إسرائيل فيما جاء به إليهم من الله سبحانه، وأمّا تكلّمه في المهد وكهلاً، فهو من آياته على براءة ساحة مريم ـ عليها السلام ـ ممّا رموها به، وقوله: ﴿ بِإِذْنِ اللهِ ﴾، قيّد به آياته، دفعاً لما في أوهام العامّة من الناس أنّ الإحياء مخصوص بالله سبحانه، وكذا ما يلحق به من إبراء الأكمه والأبرص، وإلّا فكلّ آية خارقة للعادة فهو بإذنه تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾ ،[٢] بل كلّ ما يخرق العادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾ ،[٣] وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ،[٤] وذلك لإنكار الأفهام وقوعها من غيره تعالى، وإن كانت حقيقة الأمر أنّ موجوداً من الموجودات لا يملك لنفسه شيئاً إلّا وهو سبحانه المالك له المملّك له إيّاه، ولذلك قيّدها في كلامه بنحو العموم بإذنه، قال تعالى: ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ ،[٥] وقال: ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ،[٦] وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾ ،[٧] وقال: ﴿ مَا

١. الإسراء (١٧): ٨٨.
٢. الرعد (١٣): ٣٨.
٣. البقرة (٢): ١٠٢.
٤. سبأ (٣٤): ١٢.
٥. يونس (١٠): ٣.
٦. الأعراف (٧): ٥٨.
٧. آل عمران (٣): ١٤٥.

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾،[١] وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾،[٢] وقال: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾.[٣]

وحقيقة الإذن في الشيء: هي الرضا به إذا توقّف عليه، فالذي يفعله الإذن هو رفع المانع عن تأثير المؤثّر، أي تتميم سببيّة السبب، وعليه يدور تحقّقه، سواء كان هناك رضىً قلبي أو لم يكن، كما في موارد الإذن بالفحوى، وإن لم يتحقّق صورة رضىً قلبي بالفعل، وإذ كان السبب في الوجود بالحقيقة هو الله سبحانه لا سبب غيره إلّا به، كان إذنه في تأثير شيء هو إفاضته تمام السببيّة له وإيجاده صفة الوساطة فيه؛ ولذلك ربّما بدّل لفظ الإذن بالأمر في مثل الموارد السابقة، قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَى بَلْ لِلهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً ﴾،[٥] فجعل الخوارق المذكورة وغيرها أمراً لله، وقال: ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ ﴾،[٦] وقال: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾.[٧]

وقد عرفت في ما مرّ معنى أمره تعالى ـ وأنّه أحد وجهي الإيجاد ـ وكلمة «كن»، فالأمر يستند إليه الربط بين كلّ شيء وبينه تعالى، والإذن يستند إليه الربط بين كلّ سبب ومسبّبه.

---

١. التغابن (٦٤): ١١.
٢. يونس (١٠): ١٠٠.
٣. القدر (٩٧): ٤.
٤. الأعراف (٧): ٥٤.
٥. الرعد (١٣): ٣١.
٦. آل عمران (٣): ١٥٤.
٧. القدر (٩٧): ٤.

قوله سبحانه: ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾

لم يقيّده بإذن الله بخلاف ما سبقه من الآيات إذ توهّم الإختصاص بمقام الألوهيّة غير موجود فيه، وهو ظاهر، وبالضرورة يتجدّد فيه سياق عدّ الآيات، ويعين على ذلك أنّ الآيات السابقة الذكر يمكن أن يرميها المستنكفون عن الإيمان بأنّها من السحر بخلاف الإنباء بما يصنعونه في خلواتهم عندهم من الأكل والإدّخار ولم يعدّه ضمن ما عدّه من الآيات في آخر سورة المائدة حيث يمتنّ على عيسى ـ عليه السلام ـ ويقول: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾،[١] كلّ ذلك مضافاً إلى ما يشعر به السياق في قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أنّه وارد مورد الإقناع، وأنّ ذلك يكفيكم آية إن كنتم مذعنين بالحقّ، فاسم الإشارة يشير إلى الآية الأخيرة.

وإلى ما مرّ يشير ما في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: إنّ عيسى كان يقول لبني إسرائيل: إنّي رسول الله إليكم، وإنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأُبرئ الأكمه والأبرص و ـ الأكمه هو: الأعمى ـ، قالوا: ما نرى الذي تصنع إلّا سحراً، فأرنا آية نعلم أنّك صادق، قال: أرأيتكم إن أخبرتكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم، يقول: ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا وما ادّخرتم بالليل تعلمون أنّي صادق؟ قالوا: نعم،

---

١. المائدة (٥): ١١٠.

فكان يقول: أنت أكلت كذا وكذا، وشربت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين.[1]

قوله سبحانه: ﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ ﴾

اقتران الجملتين يوضح أنّ تحليله بعض الذي حرّم في التوراة من قبيل النسخ ببيان أمد الحكم وليس تغييراً لشريعة موسى.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: كان بين داود وعيسى بن مريم أربعمائة سنة، وكانت شريعة عيسى أنّه بعث بالتوحيد والإخلاص وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى، وأُنزل عليه الإنجيل، وأُخذ عليه الميثاق الذي أُخذ على النبيّين، وشرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم الحرام وتحليل الحلال، وأُنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود، ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأُنزل عليه تخفيف ما كان [نزل] على موسى في التوراة، وهو قول الله في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾، وأمر عيسى مَن معه ممّن اتّبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل.[2]

قوله سبحانه: ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا ٱللهَ ﴾

لمّا كان قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ ﴾ متفرّعاً على مجيئه بالآية المذكورة في صدر الآية،

---

١. تفسير *القمي* ١: ١٠٢؛ تفسير *الصافي* ٢: ٤٨.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٥، الحديث: ٥٢؛ *بحارالانوار* ١٤: ٢٣٤، الحديث: ٤؛ تفسير *الصافي* ٢: ٥٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٠٥، الحديث: ٨.

وقد طال الفصل بينهما، أعاد الأصل ثانياً ليفرّع عليه فرعه كما قيل، وهو شائع في الكلام.

قوله سبحانه: ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾

في *العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ أنّه سئل: لِمَ سُمّي الحواريّون الحواريّين؟ قال: أمّا عند الناس فإنّهم سُمّوا حواريّين؛ لأنّهم كانوا قصّارين يخلّصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتقّ من الخبز الحوار، وأمّا عندنا فسمّي الحواريّون الحواريّين؛ لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلّصين غيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير.(١)

وفي *التوحيد* عنه عليه السلام: إنّهم كانوا إثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم ألوقا.(٢)

قوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾

في *الإكمال* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث: بعث الله عيسى بن مريم واستودعه النور والعلم والحكم وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل، وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله، فأبى أكثرهم إلّا طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليه، فمسخ منهم شياطين، ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلّا طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغّبهم في ما عند الله ثلاثة

---

١. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ٢: ٧٩، الحديث: ١٠.

٢. *التوحيد*: ٤٢١، الحديث: ١، فى *الانجيل* إسمه «لوقا» بدون الألف في أوّله، وهو مؤلّف إحدى *الأناجيل* الأربعة.

وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادّعى بعضهم: أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنّما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه؛[١] لأنّهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ ٱللَّهُ ﴾[٢] بعد أن توفّاه.[٣]

أقول: قوله «واستودعه» إلى آخره، يصدّقه قوله تعالى: **﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ ﴾**، ولم يقل: «من الكتاب».

وقوله: «فمسخ منهم شياطين» إلى آخره، ليس في قصصه ـ عليه السلام ـ في القرآن إشارة إلى ذلك، لكنّه ممكن في نفسه، فمن الجائز خروج الإنسان من القوّة إلى الفعل بالاستكمال في جانب الشرّ بالحركة الجوهريّة، قال تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾.[٤]

وفي *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: إنّ عيسى وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم إثنا عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً، ثمّ خرج إليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة ومطهّري من اليهود، فأيّكم يُلقى عليه شبحي فيقتل ويُصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله! قال: فأنت هوَ ذا، فقال لهم عيسى: أما إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي

---

١. في المصدر: + «لقوله عزوجلّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فلم يقدروا على قتله وصلبه»

٢. النساء (٤): ١٥٨.

٣. *إكمال الدين* ١: ٢٢٥، الحديث: ٢٠، *تفسير الصافي* ٢: ٥٤.

٤. الناس (١١٤): ٤ ـ ٦.

عشرة كفرة، فقال رجل منهم: أنا هو يا نبيّ الله؟ فقال له عيسى: أتحسّ بذلك في نفسك؟ فلتكن هو، ثمّ قال لهم عيسى: أما إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاث فِرَق، فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنّة، ثمّ رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه،

ثمّ قال ابو جعفر ـ عليه السلام ـ: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إنّ منكم لمَن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشابّ الذي أُلقي عليه شبح عيسى فقُتل وصُلب، وكفر الذي قال له عيسى: يكفر قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة.(١)

أقول: والروايات من طرقنا في مَن أُلقي عليه شبح عيسى ـ عليه السلام ـ مختلفة، فمنها: الناطقة بإلقاء شبحه على واحد من أصحابه المؤمنين، كالرواية الماضية، ومنها: القائلة بإلقائه على من قصد اغتياله، وهي موافقة لما روته العامّة.(٢)

وفي *العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ قال: إنّه ما شبّه أمر أحد من أنبياء الله وحججه للناس إلّا أمر عيسى وحده، لأنّه رُفع من الأرض حيّاً وقُبض روحه بين السماء والأرض، ثمّ رفع إلى السماء ورُدّ عليه روحه، وذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ ﴾**، وقال الله حكايةً لقول عيسى يوم القيامة: **﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**.(٣)(٤)

---

١. تفسير *القمي* ١: ١٠٣؛ تفسير *الصافي* ٢: ٥٥.

٢. تفسير *الثعلبي* ٢: ٣٢٦.

٣. المائدة (٥): ١١٧.

٤. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ٢١٣، الحديث: ٢.

أقول: وقد مرّ بعض الكلام في مضمون الرواية، ويؤيّده ما في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: رفع عيسى بن مريم بمدرعة[1] صوف من غزل مريم ومن نسج مريم ومن خياطة مريم، فلمّا إنتهى إلى السماء نودي: يا عيسى! ألقِ عنك زينة الدنيا.[2]

*

١. المِدْرَعَة: جبّة مشقوقة المقدم، وهي عند اليهود: ثوب من كتان، كان يلبسه عظيم أحبارهم.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٥، الحديث: ٥٣؛ بحار *الأنوار* ١٤: ٣٣٨، الحديث: ٩.

[فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالمُفْسِدِينَ (٦٣)]

قوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ ﴾ المحاجّة في أمر عيسى، أو في الحقّ الذي بيّنه الله من أمره، على احتمالي رجوع الضمير إلى عيسى، أو إلى الحقّ المذكور في قوله: ﴿ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ لقربه.

وقدّم الأبناء على النساء والأنفس؛ لأنّ الإنسان أشفق بهم منه بنفسه، وربّما دفع المهالك والمخاطر عنهم بنفسه، فتعريفهم للمباهلة أدلّ على علمه وإيقانه بدعواه واطمئنانه في إقدامه، كما قيل.[1] ولعلّه لذلك فرّق بين أبناء المتباهلين ونسائهم وأنفسهم، فلم يقل: (ندعُ أبناءنا ونساءنا وأنفسنا).

---

١. *تفسير الكشاف* ١: ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

وقوله: ﴿ نَبْتَهِلْ ﴾

من البهلة ـ بالفتح والضمّ ـ: اللعنة.

وقوله: ﴿ فَنَجْعَلْ ﴾

بيان للإبتهال، ولم يقل: «فنسأل لعنة الله على الكاذبين» للإشارة إلى كونها دعوة غير مردودة من الله حيث يمتاز بها الحقّ من الباطل، والله متمّ نوره.

قوله: ﴿ عَلَى الكَاذِبِينَ ﴾

مسوق سوق العهد دون الجنس والإستغراق، إذ ليس المراد جعل اللعنة على كلّ كاذب في العالم، بل على الكاذبين في طرفي الدعوى، وهما: التوحيد والتثليث. وحينئذٍ فمن البيّن أن لو كانت الدعوى بين النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ والنصارى وكان أحد الطرفين جمعاً والآخر فرداً كان من اللازم تبعيض الكاذبين بـ: «من» التبعيضيّة أو ما يؤدّي معناه، كأن يقال: (على من كان من الكاذبين)، فَلِمَن جاء به النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ في المباهلة من أهل بيته اشتراكاً معه صلّى الله عليه وآله في دعوته واحتمال أعباء التوحيد، فافهم.

وهذا من أفضل المفاخر التي شرّف الله تعالى به أهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يوم المباهلة.

واعلم أنّه قد أجمعت الأمّة واتّفقت روايات الفريقين[1] واعترف به المؤالف

---

١. *الأمالي* للصدوق: ٥٢٥، الحديث: ١، المجلس التاسع والسبعون؛ *الأمالي* للطوسي: ٥٦٣، الحديث: ١٧٧٤، المجلس يوم الجمعة الحادي‌عشر من صفر؛ *تفسير فرات*: ٨٦، الحديث: ←

والمخالف أنّ النبيّ -صلّى الله عليه وآله- إنّما أحضر يوم المباهلة لها عليّاً وفاطمة والحسن والحسين -عليهم السلام-، وهو شرف لا يشاركهم ولا يدانيهم فيه أحد في الإسلام، فعليّ -عليه السلام- نفس رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، ونساؤه منحصر في فاطمة -عليها السلام-، والحسن والحسين أبنائه.

وقد اشتملت جمّ غفير من روايات الفريقين على أنّ النبيّ -صلّى الله عليه وآله- جمعهم عليهم السلام عند المباهلة تحت كسائه ثمّ تلا آية التطهير: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.[١][٢]

وفي *تفسير الثعلبي* عن مجاهد والكلبي أنّه -صلّى الله عليه وآله- لمّا دعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب -وكان ذا رأيهم-: يا عبد المسيح! ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى! أنّ محمّداً نبيّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكنّ،[٣] فإن أبيتم إلّا إلف دينكم[٤] والإقامة على ما أنتم عليه [من القول في صاحبكم] فوادعوا الرجل[٥] وانصرفوا إلى بلادكم.

← ٦٢؛ *الخصال* ٢: ٥٧٦، الحديث: ١؛ *علل الشرائع* ١: ١٢٩، الحديث: ١؛ *شواهد التنزيل* ١: ١٥٥، ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣؛ *صحيح مسلم* ٧: ١٢٠؛ *مسند أحمد* ١: ١٨٥؛ *تفسير الطبري*: ٣: ٢١٢؛ *تفسير ابن‌كثير* ١: ٣١٩؛ *الدرالمنثور* ٢: ٣٨؛ *اسدالغابة* ٤: ٢٦.

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. *الإحتجاج* ٢: ٣٩١؛ *عيون أخبار الرضا* -عليه السلام- ١: ٨٣، الحديث: ٩؛ *الخصال* ٢: ٥٧٦، الحديث: ١؛ *الإختصاص*: ١١٤؛ *صحيح مسلم* ٧: ١٣١؛ *ينابيع المودة* ٢: ٤٣٣.

٣. في المصدر: «لنهلكنّ»

٤. في المصدر: «الّا البقاء لدينكم»

٥. وجدناه إلى هنا في *تفسير الثعلبي* ٢: ٥٤ مع تفاوت كثير في العبارة.

فأتوا رسول الله وقد غدى محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا،

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله [بها]، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم! رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرّك[١] على دينك ونثبت على ديننا.

قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا.

قال: فإنّي اُناجزكم،[٢] فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردّنا عن ديننا، على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة[٣]، ألف في صفر وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد.

فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على[٤] أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا.[٥]

وروي عن عائشة: أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خرج وعليه مرط

---

١. في المصدر: «نترکک»

٢. في المصدر: «أنابذكم بالحرب»

٣. في المصدر: «سَكّة»

٤. في المصدر: «إنّ العذاب قد نزل في»

٥. *الكشف والبيان* ٣: ٨٥؛ *الدر المنثور* ٢: ٣٩؛ *الكشّاف* ١: ٣٦٨؛ *الفصول المهمة*: ٢٣؛ *الطرائف*: ٤٢، الحديث: ٣٧.

مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ، ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.(١)(٢)

وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إنّ نصارى نجران لمّا وفدوا على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وكان سيّدهم الأهتم والعاقب والسيّد، وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون الناقوس وصلّوا، فقال أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: [يا رسول الله]! هذا في مسجدك! فقال: دعوهم، فلمّا فرغوا دنوا من رسول الله، فقالوا: إلى ما تدعو، قال: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله وأنّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث،

قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم، أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقالوا: نعم. قال: فمن أبوه؟ فبهتوا [فبقوا ساكتين]، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾(٣) وقوله: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ ﴾.

فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أُنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت.

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. *صحيح مسلم* ٧: ١٣١؛ *الكشّاف* ١: ٣٦٩؛ *العمدة*: ٣٧، الحديث: ١٨؛ *الطرائف* ١: ٤٢، الحديث: ٣٧؛ *كشف الغمّة* ١: ٢٣٤.

٣. آل عمران (٣): ٥٩.

فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: السيّد والعاقب والأهتمّ،: إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنّه ليس نبيّاً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصّة لم نباهله، فإنّه لا يقدم إلى أهل بيته إلّا وهو صادق.

فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ـعليهم السلام ـ، فقال النصارى: مَن هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه عليّ بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين، ففرقوا[١] فقالوا لرسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ على الجزية وانصرفوا.[٢]

أقول: والأخبار في هذه المضامين من طرق الفريقين كثيرة جدّاً.[٣]

*

١. في المصدر: «فعرفوا»

٢. تفسير *القمي* ١: ١٠٤.

٣. *الأمالي* للصدوق: ٥٢٥، الحديث: ١، المجلس التاسع والسبعون؛ *الأمالي* للطوسي: ٥٦٣، الحديث: ١٧٧٤، للمجلس يوم الجمعه، الحادي عشر من صفر؛ *الخصال* ٣: ٥٧٦، الحديث: ١؛ تفسير *فرات*: ٨٦، الحديث: ٦٢؛ *علل الشرايع* ١: ١٢٩، الحديث: ١؛ صحيح مسلم ٧: ١٢٠؛ مسند *أحمد* ١: ١٨٥؛ تفسير *الطبري* ٣: ٢١٢؛ تفسير *ابن‌كثير* ١: ٣١٩؛ *الدر المنثور* ٢: ٣٨؛ *أسد الغابة* ٤: ٢٦.

[قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ ٱلتَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَٱللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ

إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿٧٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا... ﴾

من متمّات ما مرّ من قصّة عيسى ـ عليه السلام ـ، كالتلخيص لتفصيل ما سبقه.

وقوله: ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾

من إعطاء البرهان في طيّ الدعوى والبيان، إذ المتساويان في الوجود يمتنع كون أحدهما ربّاً والآخر مربوباً.

قوله سبحانه: ﴿ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾

يردّ سبحانه تنازعهم فيه وضمّ كلّ طائفة إيّاه إلى أنفسهم.

أوّلاً: بأنّ أساس التهوّد والتنصّر هو نزول التوراة والإنجيل، وقد كان إبراهيم ـعليه السلام ـقبل الكتابين جميعاً بقرون كثيرة.

وثانياً: إنّ إبراهيم ـعليه السلام ـكان حنيفاً مسلماً لله، وما كان متّخذ شريك له تعالى كاليهود والنصارى، فما كان من إحدى الطائفتين، بل كان على دين النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـ، وهو الإسلام، وهو صلّى الله عليه وآله ومن آمن به هم الأولى به دون اليهود والنصارى، والله وليّ للمؤمنين، فهو وليّ لهم دون المشركين.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـفي قوله: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً** ﴾، قال: قال أميرالمؤمنين: لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب، ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق، ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد ـصلّى الله عليه وآله ـ.[١]

وفي *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: خالصاً مخلصاً، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان.[٢]

قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ** ﴾

في *المجمع* قال أميرالمؤمنين ـعليه السلام ـ: إنّ أولى الناس بالأنبياء أعملهم بما جاؤوا به، ثمّ تلا هذه الآية وقال: إنّ وليّ محمّد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإنّ عدوّ محمّد من عصى الله وإن قربت لحمته.[٣]

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٧، الحديث: ٦٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٢٤، الحديث: ٢.
٢. *الكافي* ٢: ١٥، الحديث: ١؛ *تفسير الصافي* ٢: ٦٢.
٣. مجمع *البيان* ٢: ٧٧٠؛ *ربيع الأبرار* ٣: ٥٦٠.

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: هم الأئمّة ومن اتّبعهم.[١]

وفي *تفسيري القمّي والعيّاشي* عن عمر بن يزيد عنه عليه السلام قال: أنتم والله من آل محمّد، فقلت: من أنفسهم ـجعلت فداك ـ؟ قال: نعم، والله من أنفسهم ـثلاثاً ـ ثمّ نظر إليّ ونظرت إليه، فقال: يا عمر! إنّ الله يقول في كتابه: ﴿ إنَّ أوْلَى النَّاسِ ... ﴾.[٢]

أقول: والأخبار في مضمون الروايتين الأخيرتين كثيرة،[٣] والوجه في الجميع ظاهر، وفي الآية إيماء إلى ضابط كلّي هو: أنّ التبعيّة يلحق التابع بالمتبوع، والتمرّد يفصله منه، فمن أطاع أحداً فهو منه، ومن عصاه فليس منه، كما قال إبراهيم ـعليه السلام ـ: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـعليه السلام ـ: أنّ رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ لمّا قدم المدينة وهو يصلّي نحو بيت المقدس أعجب ذلك القوم،[٥] فلمّا صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت [اليهود من ذلك]، وكان صرف

---

١. *الكافي* ١: ٤١٦، الحديث: ٢٠؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٧، الحديث: ٦٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٢٦، الحديث: ٦.

٢. تفسير *القمي* ١: ١٠٥؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٧٧، الحديث: ٦١؛ تفسير *الصافي* ٢: ٦٣.

٣. *الخصال* ١: ٣٠٨، الحديث: ٨٤؛ نهج *البلاغة*: الحكمة ٩٦؛ إكمال *الدين* ٢: ٦٧٥، الحديث: ٣٢.

٤. إبراهيم (١٤): ٣٦.

٥. في المصدر: «اليهود من ذلك»

القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلّى محمّد الغداة واستقبل قبلتنا، فآمنوا بالذي أُنزل على محمّد وجه النهار واكفروا آخره، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله المسجد الحرام [لعلّهم يرجعون الى قبلتنا].(١)

أقول: قولهم: ﴿ آمِنُوا ﴾ كلام ملقى في مورد السخرية والتهاون والإهانة، و ﴿ وَجْهَ النَّهَارِ ﴾، أوّله، وما ذكره عليه السلام في الرواية هو المتعيّن، وما وجّه به في التفاسير تعسّف من غير وجه (٢).

وقوله سبحانه: ﴿ وَلا تُؤْمِنُوا إلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

يجري مجرى التفسير منه.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إنَّ ٱلْهُدَى هُدَى اللهِ ﴾

اعتراض وجواب.

وقوله: ﴿ أنْ يُؤْتَى ﴾

جملتان معلّلتان لقولهم: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أو ما قبله، أي: مخافة أن يكون في يد غيركم ما في أيديكم من القبلة ونحوه، إذ الإيمان به تثبيت له، أو تؤمنوا به فيحاجّوكم عند ربّكم، نظير قولهم في ما حكى الله تعالى: ﴿ وَإذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإذَا خَلا بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ

---

١. تفسير *القمي* ١: ١٠٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٢٣، الحديث: ١١؛ تفسير *الصافي* ٢: ٦٤.

٢. من قولهم: «لعلّهم يشكّون، يرجعون عن دينهم» [تفسير *الكشف والبيان* ٣: ٩١؛ *الكشاف* ١: ٣٧٣].

ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾

جواب عن قولهم، وهو ظاهر.

قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾

أي نحن مطلقوا العنان في مورد الأمّيّين، سائغٌ لنا ما نفعل فيهم.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾

ظاهره التعرّض باليهود.

وفي *أمالي* الشيخ عن عديّ بن عديّ، عن أبيه، قال: اختصم امرؤُ القيس ورجل من حَضْرَمُوتْ إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في أرض، فقال: أَلَكَ بيّنة؟ قال: لا، قال: فبيمينه، قال: إذاً والله يذهب أرضي، قال: إن ذهب أرضك بيمينه كان ممّن لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكّيه وله عذابٌ أليم، قال: ففزع الرجل فردّها إليه.(٢)

أقول: وفي هذا المعنى وفي القصّة روايات كثيرة،(٣) وروتها العامّة أيضاً،(٤) وذلك لا يقضي بكونه شأن النزول، وإنّما هو من قبيل الانطباق.

---

١. البقرة (٢): ٧٦.

٢. *الأمالي* للطوسي: ٣٥٨، الحديث: ٧٤٤، المجلس الثاني عشر.

٣. *الأمالي* للطوسي: ٣٥٨، الحديث: ٧٤٥، المجلس الثاني عشر؛ *وسائل الشيعة* ١٨: ١٧٢، الحديث: ٧.

٤. جامع *البيان* ٣: ٤٣٦؛ *الدر المنثور* ٢: ٤٤؛ *السنن الكبرى* للنسائي ٢: ٤٨٧، الحديث: ٥٩٩٦؛ مسند *أحمد* ٤: ١٩١؛ فتح *الباري* ١١: ٤٨٧.

[مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ (٨٥)]

قوله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ... ﴾

في *العيون* عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: لا ترفعوني فوق حدّي،[١] فإنّ الله اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً، ثمّ تلا هذه الآية.[٢]

أقول: وهو من الانطباق دون شأن النزول، وظاهر السياق أنّ الآيات ذيل قصّة عيسى وبيان عبوديّته.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾

قيل: إنّ اللام في قوله تعالى ﴿ لَـما ﴾، للتوطئة، وما موصولة مبتدأ وقوله: ﴿ لتـؤمِنُنَّ ﴾ خبره واللام فيه للقسم، ويؤيّده قراءة حمزة (لِـما) بكسر اللام، ويحتمل كون (ما) شرطيّة، وقوله: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ ﴾ ساداً مسدّ الجزاء وإضافة الميثاق إلى النبيّين إضافة إلى الموثّق له، فالموثّق عليه أُممهم، والميثاق مأخوذ منهم، أو إضافة إلى الموثّق عليه المأخوذ منه، وهو الميثاق المأخوذ من النبيّين.

وعلى الأوّل: حيث كان ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ ﴾، خبراً أو جزاءً في الحقيقة لقوله: ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ ﴾، فقوله: ﴿ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ توطئة له وهو الملاك لميثاق الإيمان والنصرة، والمعنى: إذا جاءكم رسول وصدّق ما عندكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه، لأنّ ما أُوتيتم من الكتاب والحكمة يوافق ما عنده، فكفركم به وخذلانكم إيّاه كفر بما عندكم وبما أُوتيتموه، فيؤول المعنى: إنّ الأُمم مأخوذ عليهم الميثاق أن لا يفرّقوا بين رسل الله.

ويؤيّده قوله تعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللهِ ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾، وقوله:

---

١. في المصدر: «حقّي»

٢. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ٢: ٢٠٠، الحديث: ١.

﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى ﴾، إذ هذا النوع من الخطاب بأُمم الأنبياء أليَم وأنسب، وحينئذٍ فقوله: ﴿ فَاشْهَدُوا ﴾، ليس خطاباً للأُمم؛ إذ الشهادة قد مرّ أنّها غير مبذولة إلّا للواحد بعد الواحد من أولياء الله تعالى، على أنّ الشاهد على الميثاق يجب أن يكون غير الموثّق عليه.

فما قيل: إنّ الشهادة لبعضهم على بعض[1] غير مستقيم، وسيجيء ما يشعر به من الروايات.

وعلى هذا فمناسبة الآية مع ما قبلها من قصّة عيسى وأمر النصارى: أنّ أهل الكتاب قد أُخذ عليهم الميثاق أن لايفرّقوا بين الرسل ويؤمنوا بالنبيّ محمّد ـصلّى الله عليه وآله ـ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فنقضوا عهد الله ونسوا ميثاقه، هذا.

وعلى الثاني: كان المراد من مجيء الرسول اللحوق [و هو] أعمّ من الحضور والغيبة، بحسب الوجود الدنيوي إذ إطلاق النبيّين ـوهو جمع محلّى باللام ـ يفيد الإستغراق، ومن الإيمان والنصرة إظهار الموافقة والإخبار به والدعوة إليه كما بشّر عيسى بمحمّد ـصلّى الله عليه وآله ـ.

ويمكن أن يكون المراد بالمجيء، هو مطلق اللحوق في العدّ، فيؤمن كلّ رسول بمن سبقه وينصره، وبمن لحق به وينصره، كما يؤيّده قوله: ﴿ قُلْ آمَنَّا ﴾، حيث أمر النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـ بهذا الإيمان.

وعلى كلٍّ من التقديرين روايات.

ففي *المجمع* و*الجوامع* عن الصادق ـعليه السلام ـ في الآية: معناه: وإذ أخذ الله ميثاق أُمم النبيّين كلّ أُمّة بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به فما وفوا به

---

١. *مجمع البيان* ٢: ٣٣٥.

وتركوا كثيراً من شرايعهم وحرّفوا كثيراً.[١]

أقول: وهو تفسير بالمعنى الأوّل.

وفي *المجمع* أيضاً عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: إنّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا أن يخبروا أُممهم بمبعثه ونعته ويبشّروهم به ويأمروهم بتصديقه.[٢]

أقول: وفي معناه بعض اخبار أُخر،[٣] وهو تفسير بالمعنى الثاني.

والتأمّل في الآية وما مرّ من مؤيّدات كلّ من المعنيين يعطي أن يكون هذا الميثاق، ميثاقاً واحداً مأخوذاً على الأنبياء وأُممهم جميعاً أن لا يفرّقوا بين الرسل ويؤمنوا باللاحق من الأنبياء المصدّق لمن سبقه منهم، كما يؤيّده قوله بعدُ: ﴿ **أفغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً** ﴾ وقوله: ﴿ **قُلْ آمَنَّا** ﴾ حيث أمر النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـ أن يؤمن

---

١. مجمع *البيان* ٢: ٧٨٤؛ تفسير *جوامع الجامع* ١: ٣٠٣.

٢. مجمع *البيان* ٢: ٧٨٤.

٣. وهنا عدة روايات رواها القمّي والعيّاشي وغيرهما وفيها ﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ** ﴾ برسول الله ﴿ **وَلَتَنْصُرُنَّ** ﴾ أميرالمؤمنين، وظاهرها التفسير بإرجاع أول الضميرين إلى رسول الله وثانيهما إلى أميرالمؤمنين من غير دليل دالّ، لكن فيما رواه العياشي ما رواه عن سلام بن المستنير، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: «لقد تسمّوا باسمٍ، ما سمّى الله به أحداً إلّا علّي بن أبي طالب وما جاء تأويله»، قلت: جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال: «إذا جاء جمع الله أمامه النبيين والمؤمنين حتّى ينصروه وهو قول الله: ﴿ **وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثٰاقَ النَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ** ﴾ ـ الى قوله ـ: ﴿ **وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ** ﴾ » الحديث.

فيهون الأمر حينئذ، إذ الإشكال إنّما يرد لو كانت من قبيل التفسير، و أمّا التأويل وقد عرفت معناه فيما مرّ، فلا ارتباط له باللفظ. « منه ـ رحمه الله ـ». [تفسير *العيّاشي* ١: ١٨٠، الحديث: ٧٣؛ تفسير *القمي* ١: ١٠٦ و ١: ٢٤٦ و ٢٤٧؛ *المسائل السروية*: ٤١].

بمن سبقه عنه وعن أُمّته معاً.

وعليه فكلّ واحدة من الروايتين تفسير ببعض المضمون والتعبير عنه بميثاق النبيّين من حيث ارتباط الميثاق بهم -عليهم السلام-.

وفي *المجمع* عن أمير المؤمنين -عليه السلام- في قوله: ﴿ **أأقررتم وأخذتم** ﴾ إلى آخرها، قال: أأقررتم وأخذتم العهد بذلك على أممكم؟ قالوا-أي قال الأنبياء وأُممهم-: أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به، قال الله: ﴿ **فاشهدوا** ﴾ بذلك على أُممكم ﴿ **وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ عليكم وعلى أُممكم[١].

أقول: والرواية تؤيّد ما أومأنا إليه أخيراً من شمول الميثاق للأنبياء وأُممهم جميعاً، وتخصيصه عليه السلام خطاب ﴿ **أأقررتم** ﴾ للأنبياء مع تعميم الجواب لهم ولأُممهم من قبيل الحمل على التشريف، أعني: أنّ الإستفسار شامل للجميع وانّما وجّه الخطاب إلى الأنبياء لتشريفهم بأنّهم السادة والقادة، وإشعار بوساطتهم بين الله وبين أُممهم.

وقوله عليه السلام: «من الشاهدين عليكم وعلى أُممكم»، مشعر بأنّ هناك شهوداً أُخر غير الأنبياء، كما في الرواية الآتية.

وفي *تفسير القمّي* عن الصادق -عليه السلام-: قال لهم في الذرّ: ﴿ **أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري** ﴾ أي: عهدي، قالوا: ﴿ **أقررنا قال** ﴾ الله للملائكة: ﴿ **فاشهدوا** ﴾[٢].

أقول: قد مرّ ما يتّضح به معناه.

---

١. مجمع *البيان* ٢: ٤٦٨.

٢. تفسير *القمّي* ١: ١٠٦.

وقوله عليه السلام: «قال لهم في الذرّ»، يدلّ على أنّ هذا الميثاق مأخوذ في الذرّ قبل هذه النشأة الدنيويّة، ويدلّ على ذلك شمول الخطاب وكون الميثاق شاملاً للأنبياء وأُممهم جميعاً؛ إذ لم يتّفق ذلك في النشأة الدنيا، فموطنه نشأة قبل هذه النشأة، والحمل على لسان الحال معلوم الحال، وسيجيء تفصيل القول فيه.

قوله سبحانه: ﴿ **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً** ﴾

إذ كان ذات كلّ شيء وصفاته وآثاره الوجوديّة فائضة من عند الله سبحانه لا يملك لنفسه شيئاً البتّة، كان من المحال أن يتحقّق عصيان بالنسبة إلى فيض يفيض من عنده بعدم القبول وهذا هو الإسلام الذي يشير إليه بقوله: ﴿ **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ إلّا أنّ تخصيصه بأُولي‌العقل كما يدلّ عليه لفظة «مَنْ».

ثمّ التذييل بقوله: ﴿ **طَوْعاً وَكَرْهاً** ﴾ يفيد أنّ لهذا الصنف من الموجودات جهة أُخرى بها يتحقّق كرهها لهذا الإسلام الذاتي، وبالمقابلة طوعها كذلك، فهناك طوع وإسلام شامل عامّ، ثمّ بعده طوع وكره من حيث استقلال ذواتها المفاضة لها من عند الله سبحانه، فكلّ شيء مسلم لله تعالى لا محالة، و من فى السماوات والأرض مدرك لهذا الإسلام كلّ من نفسه، غير أنّها بين مسلم غير كاره في إسلامه وبين مسلمٍ كارهٍ فيه، فمساق هذه الآية مساق قوله: ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً** ﴾،[1] فلفظ الكره مع الإسلام ذاتاً يعطي أن يكون توحيدهم لله ـ عزّ شأنه ـ معلوماً مدركاً لهم غير مفارق لهم، كما

---

١. الرعد (١٣): ١٥.

يشير إليه في بعضهم بقوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللهِ الَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ﴾،(١) وقوله: ﴿ أَفِى اللهِ شَكٌّ ﴾،(٢) ولا ينافي هذا العلم بتوحيده تعالى ما عند أهل الريب والكفر من الشكّ أو العلم بالخلاف، فإنّ العلم بالشيء غير العلم بالعلم به، فالأوّل يجامع الغفلة دون الثاني، هذا.

ثمّ إنّ الدين ـ كما عرفت سابقاً ـ عدّة معارف وأخلاق وأفعال يلائم ما عليه الأمر في حقيقته، أعني أنّه نحو سلوك دنيويّ يطابق الحقائق النفس الأمريّة، فإذا كان حقيقة الأمر إسلام كلّ موجود لله ـ عزّ اسمه ـ في وجوده وأوصافه وأفعاله، كان الدين الحقّ هو الإسلام لله في مرتبة العلم والخلق والعمل؛ ولذلك وبّخهم بتركه بقوله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾.

وفي *التوحيد* و*تفسير العيّاشي* في الآية، عن الصادق ـ عليه السلام ـ: هو توحيدهم لله عزّ وجلّ.(٣)

أقول: ويظهر منه أنّ الإسلام هو التوحيد، وقد مرّ بيانه، فما من معرفة او حكم ديني إلّا ومرجعه عند التحليل هو التوحيد.

*

---

١. الروم (٣٠): ٣٠.

٢. إبراهيم (١٤): ١٠.

٣. *التوحيد*: ٤٦، الحديث: ٧؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٨٢، الحديث: ٧٨.

[كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١) لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلّاً لِبَنِى إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴿٩٧﴾]

قوله سبحانه: ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً** ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿ **غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾

في *المجمع* قيل: نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له: الحارث بن السويد بن الصامت، وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدراً وهرب وارتدّ عن الإسلام ولحق بمكّة، ثمّ ندم، فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله: هل لي من توبة؟ فسألوا، فنزلت الآيات إلى قوله: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** ﴾، فحملها إليه رجل من قومه، فقال: إنّي لأعلم أنّك لصدوق، وأنّ رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ أصدق منك، وأنّ الله تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه، قال: وهو المرويّ عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ.[١][٢]

قوله سبحانه: ﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾

تكذيب لما ادّعته اليهود: أنّ الذي حرّم عليهم من الطعام لم يحرّم لبغي أو ظلم

---

١. مجمع *البيان* ٢: ٣٣٨.

٢. والعلامة ـ رحمه الله ـ لم يتعرض لتفسير آية ٩٢ من هذه السوره، ولكن جاء في هامشه: «في *الكافي* وتفسير *العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ:(**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفَقُوا مَا تُحِبُونَ**). قال: هكذا فاقرأها.

أقول: والرواية ضعيفة بـ: يونس بن ضبيان [منه ـ رحمه الله ـ].

الموجود في *الكافي* المطبوع ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٩: «**حَتَّىٰ تُنْفَقُوا مِمَّا تُحِبُونَ**» ولكن علّق العلامة المجلسي على الحديث: بقوله: «وفي أكثر نسخ الكتاب «**مَا تُحِبُونَ**» إي جميع ما تحبّون» [*مرآة العقول* ٢٦: ٧٥]،وأمّا تفسير *العياشي* ١: ١٨٤، الحديث: ٨٤، ففيه: «**حَتَّىٰ تُنْفَقُوا مَا تُحِبُونَ**، هكذا قرأها».

منهم ـكما نطقت به القرآن في قوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ ،[١] وغير ذلك ـ بل المحرّم عليهم محرّم في جميع الشرائع السابقة، فكذّبهم تعالى بأنّ كلّ الطعام كان حلاًّ لهم.

قوله سبحانه: ﴿ إلَّا مَا حَرَّمَ إسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾

في *الكافي* و*تفسير العيّاشي*: عن الصادق ـعليه السلام ـ: «إنّ إسرائيل ـعليه السلام ـ كان إذا أكل من لحم[٢] الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك قبل أن تنزل التوراة، فلمّا نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكّله».[٣]

أقول: يعني: لم يحرّمه موسى ولم ياكله، فضمير الفاعل راجع إلى موسى بقرينة المقام، ويمكن أن يرجع إلى التوراة.

وقوله: «لم يأكّله» من التأكيل أو المؤاكلة بمعنى: التمكين، ففي الأساس: أكلتك فلاناً أمكنتك منه[٤] ويظهر من التاج: أنّ فعّلت وفاعلت فيه بمعنى واحد.[٥]

قوله سبحانه: ﴿ إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾

في *العلل* عن الصادق ـعليه السلام ـ: «موضع البيت بكّة، والقرية مكّة».[٦]

---

١. النساء (٤): ١٦٠.

٢. في تفسير *العياشي*: «لحوم» بدل «من لحم»

٣. *الكافي* ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ تفسير *العيّاشي* ١: ١٨٤، الحديث: ٨٦.

٤. *أساس اللغة*: (أساس البلاغة): ٨ في مادة «أكل».

٥. تاج *العروس* ١: ٣٩.

٦. *علل الشرائع* ٢: ٣٩٧، الحديث: ٣.

وفيه أيضاً، عنه عليه السلام: «إنّما سمّيت بكّة بكّة لأنّ الناس يبكّون فيها.[١]

أقول: أي يزدحمون.

وفيه عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إنّما سمّيت مكّة بكّة، لأنّه يبكّ بها الرجال والنساء، والمرأة تصلّي بين يديك وعن يمينك وعن شمالك وعن يسارك ومعك ولا بأس بذلك، إنّما يكره في سائر البلدان».[٢]

أقول: لعلّ الشمال بمعنى الخلف، بقرينة ذكر اليسار معه.

وفيه عن الباقر ـ [عليه السلام] ـ أيضاً قال: «لمّا أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح، فضربن متن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً [واحداً]، فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، وهو قول الله: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً** ﴾ فأوّل بقعة خلقت من الأرض الكعبة، ثمّ مدّت الأرض منها».[٣]

أقول: والأخبار في دحو الأرض من تحت الكعبة وخلق الأرض من زبد الماء كثيرة،[٤] ولا برهان يدفع ذلك سوى ما يبتنى على كون الأرض عنصراً قديماً، أحد العناصر الأربعة ذي مكان طبيعي، وهو مزيّف ومحلّه غير هذا المحلّ، وهذا تفسير مايلوح من الروايات: أنّ الكعبة هي أوّل بيت في الأرض،

---

١. *علل الشرائع* ٢: ٣٩٧، الحديث: ١.

٢. *علل الشرائع* ٢: ٣٩٧ ـ ٣٩٨، الحديث: ٤.

٣. لم نجده في *علل الشرائع*، ولكن روي في من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٢٤١، الحديث: ٢٢٩٦؛ *تفسير القمي* ٢: ٦٩، إلى الآية؛ وفي *تفسير العيّاشي* ١: ١٨٦، الحديث: ٩١، مع تفاوت.

٤. راجع: *الكافي* ٤: ١٩٧ الحديث: ١؛ *من لا يحضره الفقيه* ٢: ٢٤٩ الحديث: ٢٣٢٥؛ *الأمالي* للصدوق: ٦١٦، الحديث: ٤؛ *الاحتجاج* ٢: ٣٣٥؛ *الإرشاد* ٢: ١٩٩؛ *التوحيد*: ٢٥٣، الحديث: ٤ وغيرها.

وقد مرّ في ذيل قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[1] من سورة البقرة، وإن كان الظاهر من السياق أنّها أوّل بيت موضوع للعبادة، كما فيما رواه ابن شهرآشوب عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ في الآية، فقال له رجل: أهوَ أوّل بيت؟ قال: «لا، قد كان قبله بيوت، ولكنّه أوّل بيت وضع للناس مباركاً، فيه الهدى والرحمة والبركة، وأوّل من بناه إبراهيم، ثمّ بناه قوم من العرب من جرهم، ثمّ هدم فبنته العمالقة، ثمّ هدم فبناه قريش».[2]

أقول: وفي المعاني السابقة روايات أُخر.

قوله سبحانه: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾

في *الكافي* و*تفسير العيّاشي*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه سئل: ما هذه الآيات البيّنات؟ قال: «مقام إبراهيم؛ حيث قام على الحجر فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل».[3]

أقول: وفي هذا المعنى روايات أُخر، ولعلّ ذكره الثلاثة من قبيل العدّ من غير حصر، فلا ينفي غيره، كقهره أصحاب الفيل، ودفعه كلّ جبّار يقصده بسوء، ولذا قيل: إنّما سمّيت بكّة؛ لأنّها تبكّ وتدقّ أعناق الجبابرة والفراعنة إذا قصدوه بسوء.[4]

---

١. البقرة (٢): ١٢٧.

٢. *المناقب* ٢: ٤٣.

٣. *الكافي* ٤: ٢٢٣، الحديث: ١؛ تفسير *العياشي* ١: ١٨٧ ـ ١٨٨، الحديث: ٩٩.

٤. راجع: *الكافي* ٤: ٢١١؛ *القاموس المحيط* ٣: ٢٩٥؛ *وسائل الشيعة* ٩: ٣٥٠؛ تفسير *ابن كثير* ١: ٣٣٧؛ معجم *البلدان* ١: ٤٧٥؛ تاريخ *الطبري* ٢: ٣٧؛ *النهاية في غريب الحديث* ١: ١٤٨؛ *المصنف*، لعبد الرزاق الصنعاني ٥: ١٥٠؛ *الفائق في غريب الحديث* ١: ١١٢؛ *التبيان* ٢: ٥٣٥؛ مجمع *البيان* ٢: ٣٤٧؛ *الصافي* ١: ٣٥٧؛ *المفردات للراغب*: ٥٧.

قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾

في *الكافي*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «يعني به الحجّ والعمرة جميعاً لأنّهما مفروضان».[1]

أقول: ورواه العيّاشي في *تفسيره*،[2] وقد فسّر عليه السلام الحجّ في الرواية بمعناه اللغوي، وهو القصد.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «[وَ إن كان يقدر أن يمشي بعضا ويركب بعضا فليفعل] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال: ترك».[3]

أقول: ورواه الشيخ في *التهذيب*،[4] وقد عرفت أنّ الكفر كالإيمان ذو مراتب.

وفي *الكافي* عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى، في حديث، قال: قلت: فمن لم يحجّ منّا فقد كفر؟ فقال: «لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا، فقد كفر».[5]

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة.[6] وعلى أيّ حال فإطلاق الكفر على العصيان يفيد الإهتمام التامّ بهذه الفريضة العظيمة.

وفي الآية جهات تدلّ على هذا الإهتمام، كالبيان بالجملة الإسميّة والخبريّة

١. *الكافي* ٤: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، الحديث: ١.
٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩١، الحديث: ١١٠.
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩٢، الحديث: ١١٢.
٤. تهذيب *الأحكام* ٥: ١٨، الحديث: ٤.
٥. *الكافي* ٤: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الحديث: ٥.
٦. من لا يحضره *الفقيه* ٤: ٣٦٨، الحديث: ٥٧٦٢؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٠، الحديث: ١٠٨؛ *دعائم الاسلام* ١: ٢٨٨؛ شرح *نهج البلاغة* لابن أبي‌الحديد ٨: ١١٣؛ مستدرك الوسائل ٨: ١٢، الحديث: ٨٩٣٣، و ١٨، الحديث: ٨٩٥٦؛ *ثواب الأعمال*: ٢٣٦، باب: عقاب من ترك الحجّ.

الدالّتين على الثبوت، وتقديم لفظ الجلالة، وتلوه بالناس، والإتيان بـ(اللام وعلى)، والتعميم ثمّ التخصيص، وتسمية الترك كفراً، وذكر غنى الله وكونه عن جميع العالمين الدالّ على المقت.

*

[قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَٱللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ ٱللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِٱللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)]

قوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ ﴾

قيل[١]: أتت اليهودُ الأوسَ والخزرجَ فذكّروهم ما كان بينهم من العداوة والحروب ليعودوا لمثله، وذلك أنّ شاش بن قيس اليهودي مرّ بالأنصار وقد اجتمعوا يتحدّثون فغاظه ذلك، فدسّ شابّاً من اليهود إليهم يذكّرهم يوم بعاث ـ وكان يوماً للأوس على الخزرج ـ وينشدهم ما قيل فيه من الشعر، ففعل،

---

١. *المنار* ٤: ذيل الآية؛ ومثله في *أسباب نزول الآيات*، للواحدي النيسابوري: ٧٦؛ *الدر المنثور* ٢: ٥٧؛ فتح *القدير* ١: ٣٦٨؛ *أسد الغابة* ١: ١٤٩؛ سيرة *النبي* ـ صلّى الله عليه وآله ـ، لابن هشام ٢: ٣٩٧؛ عيون *الأثر* ١: ٢٨٤؛ *سبيل الهدى والرشاد* ٣: ٣٩٨.

فتنازع القوم وتفاخروا حتّى دعوا بالسلاح. فبلغ النبيّ فخرج إليهم فقال: «أتدعون الجاهليّة بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهليّة وألّف بينكم»، فعرف القوم أنّها نزغة من الشيطان وكيدٌ من عدوّهم، فألقوا السلاح وبكوا وتعانقوا وانصرفوا معه ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِٱللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

إذا أخذت بحبل أو ربط فمنعك عن السقوط أو ما يشبهه فقد عصمك، فأصل العصمة هو المنع الخاصّ، وإن ذكر في *التاج* أنّ: المنع هو الأصل في معناه،[١] ونقل عن بعض أهل اللغة أنّ أصله الربط.

وكيف كان، ففي معنى الاعتصام امتناع وأخذ، فالمعتصم بالله كأنّه ممتنع عمّا لا يرتضيه الله سبحانه بالأخذ به تعالى.

ومن هنا يظهر أنّ الآية التالية وهي قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٢] كالتفسير والبيان للإعتصام بالله.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ الإعتصام بالله كالإيمان وسائر المقامات الدينيّة، أمر ذو مراتب ومبادئ مراتبه اكتسابيّة، وينتهي إلى أن يكون العاصم للعبد من الذنب والمعصية هو الله عزّ اسمه من غير توسّط شيء من القوى المتعلّقة بالنفس؛ إذ ما دام للفعل تعلّق بشيء من القوى النفسانيّة البدنيّة من حيث ترجيح الفعل والترك، فالطرفان متساويان من غير تحقّق وجوب لأحد الطرفين وامتناع للآخر، فليس امتناع المعصية إلّا أنّه سبحانه هو المدبّر لحال الإنسان

١. *تاج العروس* ٨: ٣٩٩.
٢. آل عمران (٣): ١٠٢.

المعصوم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾،[١] وسيجيء زيادة شرح للآية في سورة الأنبياء.

وفي *المعاني* عن حسين الأشقر، قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟ قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن ذلك فقال: «المعصوم: هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.[٢]

أقول: معنى قوله عليه السلام: «الممتنع بالله» أن يكون الله سبحانه هو المانع له عنها من غير توسيط القوى الجسمانيّة، وتمسّكه بالآية لإطلاقها كما مرّ، وسيجيء حديث آخر عن السجّاد ـ عليه السلام ـ في العصمة والإعتصام.

وممّا مرّ يظهر أيضاً الوجه في تنكير قوله: ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، فأنت بعد الإحاطة بما مرّ عند قوله سبحانه: ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم ﴾ من سورة الفاتحة، من معنى الهداية ومعنى الصراط المستقيم، تعرف الوجه في ذلك فارجع.

*

١. الأنبياء (٢١): ٧٣.

٢. *معاني الأخبار*: ١٣٢: الحديث: ٢.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ (١١٠)]

قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾

اتّقاؤك نفسك من الشرّ أن تردّ عنها الشرّ، لا بأن تبطل الشرّ في نفسه، ولا بأن تبطل توجّهه إليك، بل بأن تحفظ نفسك من وصول الشرّ إليها، واتّقاء العبد من الله تعالى لو صحّ على حقيقته لكان ممّا يريد به ويفعله من الشرّ.

وفعله سبحانه خلقه، وليس في خلقه غير الحسن، وقد قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[1] فليس عنده تعالى غير الحسن والخير، وما يفيضه خير وحسن، فهذا الشرّ الذي أمرنا بالإتّقاء من الله لأجله إنّما صار شرّاً مكروهاً بنسبته إلينا سيّئاً بفساد أنفسنا، فهذا الإتّقاء إنّما هو اتّقاء ممّا عندنا من موجبات سخطه وغضبه ـ أعاذنا الله منه ـ وإلّا فلا شرّ عنده سبحانه يتّقى.

على أنّ ما يريده سبحانه لا دافع له ولا مانع، فالتقوى في الحقيقة هي التقوى من المعصية والذنب وإن كان بحسب جليل النظر، هو السيّء من الأعمال والأفعال لكنّه بحسب دقيق النظر ينحلّ إلى الغفلة عمّا يقتضيه أسماؤه وصفاته الجماليّة والجلاليّة ـ عزّت أسماؤه ـ وعدم الجري على ذلك وستره والكفر به، فذكره سبحانه من غير نسيان هو الموجب أن لا يرى الإنسان لغيره تعالى وقعاً ومكانة يميل به إليه ممّا تهواه النفس ويميل إليه الطبع الخسيس، والشكر له عند ذلك، أي وضع كلّ شيء في موضعه وحدّ وجوده من الفقر إلى الله، والذلّة لله والقيام بالله.

فحقّ تقوى الله أن لا ينسى العبد مقام ربّه ويضع كلّ شيء موضعه الذي وضعه فيه ربّه.

---

١ . السجدة (٣٢): ٧.

ومن فروعه: أن لا يعصيه في أمر ولا نهي.

ولعلّه لذلك أُضيفت «التقاة» إلى الضمير في قوله: ﴿ **حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾، ليفيد حقّ التقوى ويستوفي معناه.

ومن هناك يظهر أنّ المراد بالإسلام هو المرتبة العالية منه، وهو أن يكون الإنسان بذاته مسلّماً لله، فالإسلام جلّ فائدته عند الموت والقيامة، ولا يتثبّت إلّا بالتقوى حقّ التقوى ليخلص به الباطن إلى الله كالظاهر ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾[1]، ﴿ **يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾.[2]

وفي *المعاني* و*تفسير العيّاشي* عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾؟ قال: «يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر».[3]

أقول: وروى مثله البرقي،[4] ومعناه ظاهر ممّا مرّ.

وفي *تفسير العيّاشي* عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن قول الله: ﴿ **اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾؟ قال: «منسوخة»، قلت: وما نسختها؟ قال: قول الله: ﴿ **فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[5][6].

أقول: قد عرفت في ذيل قوله: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ** ﴾،[7] أنّ النسخ أعمّ ممّا هو

---

١. الطارق (٨٦): ٩.

٢. الشعراء (٢٦): ٨٨ ـ ٨٩.

٣. *معاني الأخبار*: ٢٤٠، الحديث: ١؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٠.

٤. *المحاسن* ١: ٢٠٤، الحديث: ٥٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٦٤، الحديث: ٤.

٥. التغابن (٦٤): ١٦.

٦. *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٤، الحديث: ١٢١؛ *تفسير الصافي* ٢: ٩١ وفيه: «ومانسخها»

٧. البقرة (٢): ١٠٦.

المصطلح عليه، فتسهيل الحكم وتنزيله في منزل الإستطاعة والطاقة لمن لا يطيقه بحقيقته من النسخ، حيث كان بيان المراتب لحكم ظهر ظهور ذي المرتبة الواحدة، ولكنّ صحّة الخطاب ـ مع ذلك ـ يوجب أن يكون في المخاطبين مَن مِن شأنه أن يقوم به ويطيقه، وإلّا لغى الخطاب.

وقد مرّ نظير الكلام في آخر سورة البقرة عند قوله: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ ﴾.(١)

ويشهد لما ذكرناه ما عن ابن شهرآشوب، عن تفسير وكيع، عن عبد خير، قال: سألت عليّ بن أبي‌طالب ـ عليه السلام ـ عن قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾؟ قال: والله ما عمل بها غير بيت رسول الله، نحن ذكرناه فلا ننساه، ونحن شكرناه فلن نكفره، ونحن أطعناه فلم نعصه، فلمّا نزلت هذه الآية، قال الصحابة: لا نطيق ذلك، فأنزل الله: ﴿ فَاتَّقُوا ٱللهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾.(٢)(٣)

وفي *المجمع*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية: «وأنتم مسلّمون» ـ بالتشديد ـ.(٤)

قوله سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾

في *المعاني*، عن السجّاد ـ عليه السلام ـ في حديث: «وحبل الله هو القرآن».(٥)

---

١. البقرة (٢): ٢٨٤.

٢. التغابن (٦٤): ١٦.

٣. *المناقب* ٢: ١٧٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٦٤، الحديث: ٢.

٤. مجمع *البيان* ٢: ٣٥٦؛ ومعناه مستسلمون لما أتى النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ منقادون له، [تفسير *الصافي* ٢: ٩١ ـ ٩٢].

٥. معاني *الأخبار*: ١٣٢، الحديث: ١.

وفي *المعاني* أيضاً، عن الصادق ـعليه السلام ـ: «نحن الحبل».[١]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـ: «آل محمّد هم حبل الله الذي أمر بالإعتصام به».[٢]

وفيه، عن الكاظم ـعليه السلام ـ: «عليّ بن أبي طالب حبل الله المتين».[٣]

أقول: والجميع من الجري وقيل: الإسلام.[٤]

قوله سبحانه: **﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾** لمّا دعاهم إلى الجماعة وعدم التفرّق ـوكان لا يتأتّى ذلك إلّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أتبعها بهما.

وفي *الكافي*، عن الصادق ـعليه السلام ـ أنّه سئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو على الأُمّة جميعاً؟ فقال: «لا»، فقيل: [له و] لِمَ؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الذين لا يهتدون[٥] سبيلاً إلى أيٍّ من أيّ يقول: من الحقّ إلى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله تعالى، قوله: **﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ﴾**، فهذا خاصّ غير عامّ، كما قال الله تعالى: **﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾**[٦] ولم يقل: على أُمّة موسى،

١. لم نجده في معاني الأخبار، ولكن روي في *المناقب* ٣: ٧٥؛ *الأمالي* للطوسي: ٢٧٢، الحديث: ٥١٠؛ *بحار الأنوار* ٢٤: ٥٢ و ٨٤؛ *تفسير الصافي* ٢: ٩٣.
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٣، وفي بعض النسخ «أمرنا» بدل «أمر»
٣. *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٧٠، الحديث: ٦.
٤. راجع: *الأمالي* للطوسي: ٦٥٤، الحديث: ١٣٥٤؛ *بحارالأنوار* ٢٤: ٨٣؛ ٣٦: ٢٠؛ *التبيان* ٢: ٥٤٥.
٥. في *الكافي*: «الضعيف الذي لا يهتدي»
٦. الأعراف (٧): ١٥٩.

ولا: على كلّ قومه ـ وهم يومئذٍ أُمم مختلفة ـ، والأُمّة واحد فصاعداً، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ ﴾،[١] يقول: مطيعاً لله، وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوّة له ولا عدد ولا طاقة.[٢]

أقول: قوله: «يقول من الحقّ إلى الباطل»، من كلام الراوي، يفسّر به قوله ـ عليه السلام ـ: «من أيّ إلى أيّ» انتهى.

ويستفاد من الرواية كونه واجباً كفائيّاً مع شرائطه.

وفي *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «فهذه الآية لآل محمّد ومن تابعهم، ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾».[٣]

أقول: وذلك لانحصار كمال الشرائط فيهم.

وفي *المجمع* يروي عن أبي‌عبدالله ـ عليه السلام ـ: «ولتكن منكم أئمّة، وكنتم خير أئمّة أُخرجت للناس».[٤]

أقول: ومن المحتمل أن تكون رواية هذه القراءة عنه عليه السلام اشتباهاً ناشئاً من النقل بالمعنى، و ربّما أيّد ذلك الروايتان السابقتان، وسيجيء تتمّة الكلام عند قوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.

وفي *التهذيب* عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت

---

١. النحل (١٦): ١٢٠.

٢. *الكافي* ٥: ٥٩ ـ ٦٠، الحديث: ١٦؛ تفسير *الصافي* ٢: ٩٤. والهُدنة: الصلح، والمراد منها زمان الصلح مع أهل البغي.

٣. تفسير *القمي* ١: ١٠٩.

٤. مجمع *البيان* ٢: ٣٥٨؛ تفسير *العياشي* ٢: ١٩٥، الحديث: ١٢٨؛ *بحارالانوار* ٢٤: ١٥٣، الحديث: ١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٧٤، الحديث: ٤.

منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».[١]

وفي *الكافي* عن محمّد بن عرفة، قال: سمعت أبا الحسن ـعليه السلامـ يقول: «لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر، أو ليستعملنّ عليكم شِراركم [على خياركم]،[٢] فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».[٣]

أقول: والأخبار في هذه المعاني كثيرة.[٤]

وبيان المقام أنّ كلّ هيئة اجتماعيّة لا تتمّ إلّا بوحدة ما بين أعضائها وأجزائها، حتّى يستحفظ بها منافعهم ويدفع بها مضارّهم والآفات المتوجّهة إليهم، ولا تتمّ هذه الوحدة إلّا بوحدة المجتمعين من حيث الغرض والهدف، بأن يذعن كلّ جزء من أجزاء الاجتماع ـوهي الأفرادـ [بأنّ] منافع غيره منافع لنفسه، وقد احتال كلّ اجتماع لحفظ هذه الوحدة بحِيَل مختلفة ناقصة أو تامّة، ربما عمّرت طويلاً أو قصيراً، ومع ذلك فحيث كان الغرض المؤلّف بينهم غرضاً دنيويّاً وهدفاً جسمانيّاً يقبل الاستكمال بمرور الدهور وتراكم التجارب

---

١. *تهذيب الأحكام* ٦: ٢٢، ١٨١.

٢. ليس في الاصل.

٣. *الكافي* ٥: ٥٦، الحديث: ٢.

٤. راجع: *الكافي* ٥: ٥٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *تهذيب الأحكام* ٦: ١٧٦، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *وسائل الشيعة* ١٦: ١١٥، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *مستدرك الوسائل* ١٢: ١٧٥، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *بحار الأنوار* ٩٧: ٦٨، أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *مصباح الشريعة*: ١٨، الباب السابع: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *غرر الحكم*: ٣٣١، الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *روضة الواعظين* ٢: ٣٦٤، مجلس في ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ *الجعفريات*: ٨٨، باب من له أن يأمر بالمعروف ... وغيرها.

وتكامل العلوم، كان كلّ اجتماع متكوّن بين الناس ـ حتّى الإجتماعات المحكمة البنيان ـ في معرض الانهدام، سائرة نحو الفناء والزوال، يشهد بذلك التاريخ وما اعتورته الأيّام من أحوال الأُمم.

لكنّ الإسلام حيث جعل الغاية في الاجتماع الديني هو الله سبحانه كما قال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ،[1] وهو سبحانه هدف ثابت، غير متغيّر ولا هالك، طاهر من شوب النقائص والعيوب، قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ،[2] وقال: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ،[3] والإنسان إذا اتّبع غرضاً له يريد أن يحصّله كان من الواجب في الطبيعة أن يكون عنده من العلم ما يميّز به غرضه عن غيره، وما يصلحه وما يفسده، ومن القوّة العاملة ما يحرّكه إليه وما يصرفه عن خلافه، والصناعة والاعتبار تتشبّه بالطبيعة، كان من الواجب أن يكون في الاجتماع علم بالغرض الاجتماعي مبثوث على جميع أجزائه، وقوّة عاملة تبعث الهيئة إلى الواجب من غرضه، وتصرفها عن ما يضرّه ويفسده.

وهذان في عرصة الاجتماع الديني، علم الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه: ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

ومن هنا يظهر أنّ هذين الأمرين أهمّ الواجبات النوعيّة من بين جميعها؛ إذ هما الركنان الحافظان لبنيان الاجتماع الديني، ومع اختلال أحدهما يختلّ

---

١. يوسف (١٢): ١٠٨.
٢. النحل (١٦): ٩٦.
٣. العنكبوت (٢٩): ٦٤.

باختلاله الآخر ـ أيضاً ـ ولا محالة تفسد الجماعة.

على أنّ الغاية هناك، أمر وراء الطبيعة مخالف لهوى النفوس وملاذّها، والنفوس في السجيّة الحيوانيّة بالفعل، وبالنسبة إلى السجايا الإنسانيّة الربّانيّة بالقوّة، فلولا الإمداد لما حصّلتها من الكمال من تقوية المعارف وسدّ باب الخلل، عادت إلى حيوانيّتها بأدنى غفلة، فضلاً عن تراكم الجهالة وظلمات المسامحة والمداهنة، وأقوى ما يصدّق ذلك ما آل إليه أمر الدين في هذه الأزمنة من خلوّ العرصة وتراكم الظلمة، ولا بيان كالعيان.

وفي *الكافي والتهذيب*، عن الباقر ـ عليه السلام، ـ قال: «يكون في آخر الزمان قوم ينبغ[1] فيهم قوم مراؤون، يتقرّؤون ويتنسّكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر، إلّا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون[2] زلّات العلماء وفساد علمهم، يُقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلّمهم[3] في نفس ولا مال، ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتمّ غضب الله عليهم فيعمّهم بعقابه فيهلك الأبرار في دار الفجّار، والصغار في دار الكبار، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين،[4] فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب

١. في المصدر: «يتبع» وفي الأصل: «ينبغ» اي يخرج ويظهر.

٢. في المصدر: « يبتغون » [منه ـ رحمه الله ـ].

٣. الكلم: الجرح، اي لا يضرّهم.

٤. في *الكافي*: «الصلحاء»

وتردّ المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم [١] الحديث.

قوله سبحانه: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾

خطابه تعالى في لحن الإصرار والتأكيد بعد الخصوصيّات يدلّ على أهميّة الكلمة ووقوع المحذور لا محالة، ونظائره في كلامه تعالى كثيرة، كقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾، [٢] وقوله: ﴿ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾، [٣] وقوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾، [٤] وغير ذلك.

وعن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فيما رواه الفريقان. [٥]

وعن *تفسير الثعلبي*، عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «والذي نفسي بيده، ليردنّ عليّ الحوض ممّن صحبني أقوام حتّى إذا رأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أُصيحابي أُصيحابي، فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أعقابهم القهقرى». [٦]

---

١. *الكافي* ٥: ٥٥ ـ ٥٦، الحديث: ١؛ تهذيب *الأحكام* ٦: ١٨٠ ـ ١٨١، الحديث: ٢١.
٢. البقرة (٢): ٢١٠.
٣. الشورى (٤٢): ٢٣.
٤. الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٥. في الأصل هنا بياض.
٦. تفسير *الثعلبي* ٣: ١٢٦؛ تفسير *الصافي* ١: ٣٦٩؛ مجمع *البيان* ٢: ٣٦٠؛ مسند أحمد ٥: ٤٨؛ سنن *الترمذي* ٤: ٣٩، الحديث: ٢٥٣٩؛ *الدر المنثور* ٢: ٣٤٩.

قوله سبحانه: ﴿ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

في *المجمع*، عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «هم أهل البدع والأهواء [والآراء الباطلة][1] من هذه الأُمّة».[2]

أقول: معناه واضح ممّا مرّ، فالكلام في هذه الأُمّة.

قوله سبحانه: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن أبي‌عمرو الزبيري، عن الصادق ـ عليه السلام ـ، قال: «يعني الأُمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فهم الأُمّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها، وهم الأُمّة الوسطى، وهم خير أُمّة أُخرجت للناس».[3]

أقول: وهو لا ينافي توجيه الخطاب إلى العموم، بل هو السبيل في الكلام كما مرّ في نظائره، والرواية تؤيّد أنّ المراد ممّا ورد في قراءتهم «خير أئمّة أُخرجت»[4] هو التنزيل، أعني: المراد دون قراءة اللفظ، وإن كانت بعض الروايات الواردة آبية عنه، لكنّها ضعيفة.

*

١. ساقط عن المصدر المطبوع ولكن رواه الفيض في *تفسير الصافي* ٢: ٩٨ عن *مجمع البيان*.

٢. *مجمع البيان* ٢: ٣٦٠.

٣. *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٥، الحديث: ١٣٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٧٦، الحديث: ٤.

٤. *تفسير العيّاشي* ١: ١٩٥، الحديث: ١٢٨.

[لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أمْوَالُهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ أصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴿١١٨﴾ هَا أنْتُمْ أوْلاءِ

تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۱۱۹) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۱۲۰)]

قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

على تقدير المتعلّق ـ أي: معتصمين بحبل، ـ وهو العهد والذمّة، وهو الجزية على ما فسّروه.[۱]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «الحبل من الله: كتاب الله، والحبل من الناس: عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ».[۲]

أقول: وروى القمّي في تفسيره وابن شهرآشوب، عن الباقر ـ عليه السلام ـ مثله[۳] وهو وإن كان بعيداً في الظاهر عن السياق غير أنّ الآيات في مقام دعوة المسلمين إلى الوحدة وعدم التفرّق وأن لايكونوا كأهل الكتاب في تفرّقهم واختلافهم، فيُبتَلوا بما ابتُلي به أهل الكتاب من العذاب العظيم وإسوداد الوجه يوم القيامة، وضرب الذلّة والمسكنة بكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، وعند ذلك يتمّ معنى الحديث: «فأوّل ما كفرت به الأمّة كتاب الله، وأوّل ما اختلفت

---

۱. راجع: تفسير *ابن كثير* ۱: ۴۰۵؛ تفسير *الجلالين*: ۸۱.

۲. تفسير *العيّاشي* ۱: ۱۹۶، الحديث: ۱۳۱.

۳) لم نجده في تفسير *القمي* المطبوع ولكن رواه السيد البحراني في *البرهان في تفسير القرآن* ۲: ۴۷۶ عن تفسير *القمي*؛ تفسير *الصافي* ۲: ۱۰۲؛ تفسير *العياشي* ۲: ۱۹۶، الحديث: ۱۳۱؛ *المناقب* ۳: ۷۵؛ تفسير *فرات*: ۹۳؛ الحديث: ۹۲ ـ ۷۶؛ *تأويل الآيات*: ۱۲۷.

فيه وتفرّقت هو الإمامة، فهم متقلّبون في ما تقلّبت فيه أهل الكتاب من بلايا الدنيا والآخرة حتّى يرجعوا إلى ما رفضوه كأهل الكتاب»، وحينئذٍ فهو من الجري، وليس بالتفسير ولا بالتأويل، وهو ظاهر.

قوله سبحانه: ﴿ **ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ في الآية: «والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنّهم سمعوا أحاديثهم[1] فأذاعوها فأُخذوا عليها فقُتلوا، فصار قتلاً واعتداءً ومعصية».[2]

أقول: وروى مثله في *الكافي* و*المحاسن*،[3] فقوله ﴿ **ذَلِكَ** ﴾، ثانياً تعليل وبيان لقوله: ﴿ **ذَلِكَ** ﴾، أوّلاً. فالمعنى أنّهم استوجبوا هذه السخطات بكفرهم وقتلهم الأنبياء، وإنّما لزمتهم الكفر والقتل بعصيانهم وإصرارهم في الاعتداء إذ لم يسمعوا من أنبيائهم فعصوا وأفشوا أسرارهم.

ومن هنا يظهر الوجه في تكرّر التعليل، ويظهر أيضاً وجه تقييد قتلهم الأنبياء بكونه بغير حقّ؛ إذ لو كان قتلاً بالمباشرة ـ ولا يكون إلّا بغير حقّ ـ كان التقييد لغواً زائداً.

قوله سبحانه: ﴿ **فَلَنْ يُكْفَرُوهُ** ﴾

في *العلل*، عن الصادق ـعليه السلام ـ: إنّ المؤمن مكفّر وذلك أنّ معروفه يصعد

١. في المصدر: «ماضربوهم بأيديهم و لاقتلوهم بأسيافهم ولكن سمعوا أحاديثهم و اسرارهم» و ما في المتن مطابق لرواية *الكافي*.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٢.

٣. *الكافي* ٢: ٣٧١، الحديث: ٦؛ *المحاسن* ١: ٢٥٦، الحديث: ٢٩١.

إلى الله فلا ينتشر في الناس، والكافر مشكور وذلك أنّ معروفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد إلى الله.[١]

قوله سبحانه: ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾
الصرّ: هو البرد الشديد، والبطانة: باطن الثوب، شبّه به الوليجة لاطّلاعه على السرّ المستور.

وقوله: ﴿ لا يَأْلُونَكُمْ ﴾
أي لا يقصّرون فيكم والخبال: الفساد.

وقوله: ﴿ مَا عَنِتُّمْ ﴾
أي عنتكم، وهو شدّة الضرر.

*

١. *علل الشرائع* ٢: ٥٦٠، الحديث: ١، و فيه: «إلى السماء»؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٠٤.

[وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْـلِكَ تُـبَوِّءُ الْـمُؤْمِنِينَ مَـقَاعِدَ لِـلْقِتَالِ وَاللهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ(١٢١) إِذْ هَـمَّتْ طَـائِفَتَانِ مِـنْكُمْ أَنْ تَـفْشَلا وَاللهُ وَلِـيُّهُمَا وَعَـلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِـبَدْرٍ وَأَنْـتُمْ أَذِلَّـةٌ فَـاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُـمْ بِثَلاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ(١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِـنَ الْـمَلائِكَةِ مُسَـوِّمِينَ(١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ(١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ(١٢٨) وَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الْأَرْضِ يَـغْفِرُ لِـمَنْ يَشَـاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٢٩)]

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

نزلت الآيات في غزوة أُحد ـ كما روي عن الصادق عليه السلام[1] ـ وهي نيّف

١. *تفسير القمي* ١: ١١٠؛ *جوامع الجامع* ١: ٣٢٢؛ *كنزالدقائق* ٢: ٢١٨؛ *جامع البيان* ٤: ٩٢؛ ←

وستّون آية، غير عدّة آيات معترضة فيها، وهي تبتدئ من قوله: ﴿ **وَإِذْ غَدَوْتَ** ﴾، أو هي تبتدئ من قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا** ﴾ قبل ثلاث آيات، أو من قوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾، قبل خمس آيات، وهذه الغزوة إحدى الغزوات الكبرى في الإسلام.

وفي *المجمع* عن القمّي عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «سبب غزوة أُحد أنّ قريشاً لمّا رجعت من بدر إلى مكّة ـ وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر؛ لأنّه قُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون ـ قال أبوسفيان: يا معشر قريش، لا تَدَعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإنّ الدمع إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمّد».

فلمّا غزوا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يوم أُحد أذنوا لنسائهم بالبكاء والنوح وخرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء.

فلمّا بلغ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ذلك، جمع أصحابه وحثّهم على الجهاد، فقال عبدالله بن أُبيّ [۱]: يا رسول الله لا تخرج [۲] من المدينة حتّى نقاتل في أزقّتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قطّ فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا على عدوّ لنا قطّ إلّا كان لهم الظفر علينا.

فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقال [۳]: يا رسول الله! ما طمع فينا أحد

← *أسباب نزول الآيات*: ۷۹.

۱. في المصدر: «أبي سلول»

۲. في المصدر: «نخرج»

۳. في المصدر: «فقالوا»

من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يظفرون بنا وأنت فينا؟ لا، حتّى نخرج إليهم ونقاتلهم، فمن قتل منّا كان شهيداً، ومن نجا منّا كان مجاهداً في سبيل الله.

فقَبِل رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ رأيه وخرج مع نفر من أصحابه يتبوّءون موضع القتال ـ كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ـ وقعد عنه عبد الله بن أُبيّ[1] وجماعة من الخزرج اتّبعوا رأيه.

ووافت قريش إلى أُحد وكان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عبّأ أصحابه ـ وكانوا سبعمائة رجل ـ فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشِعب، وأشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال ـ صلّى الله عليه وآله ـ لعبد الله بن جبير وأصحابه: «إن رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم».

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً وقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشِعب حتّى تكونوا وراءهم.

وعبّأ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في سوادهم.

وانحطّ خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام، فرجع.

---

١. في المصدر: «أبي سلول»

ونظر أصحاب عبدالله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ينتهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله بن جبير: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة، فقال لهم عبدالله: اتّقوا الله، فإنّ رسول الله قد تقدّم إلينا أن لا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم. وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً.

وكانت رأية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدي[1] من بني عبد الدار، فقتله عليّ ـ عليه السلام ـ، فأخذ الراية أبوسعيد بن أبي‌طلحة فقتله عليّ ـ عليه السلام ـ، فسقطت الراية، فأخذها مسافح[2] بن طلحة، فقتله، حتّى قتل تسعة [نفر] من بني عبد الدار حتّى صار لواءهم إلى عبدٍ لهم أسود يقال له: صواب، فانتهى إليه عليّ ـ عليه السلام ـ فقطع يده [اليمنى]، فأخذ الراية[3] باليسرى، فضرب يسراه فقطعها، فاعتنقها بالجذماوين[4] إلى صدره، ثمّ التفت إلى أبي‌سفيان، فقال: هل أعذرت في بني عبد الدار الراية[5]؟ فضربه عليّ ـ عليه السلام ـ على رأسه فقتله فسقط اللواء، فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانيّة فرفعتها.

وانحطّ خالد بن الوليد على عبدالله بن جبير وقد فرَّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلهم على باب الشِعب، ثمّ أتى المسلمين من أدبارهم.

---

١. في الأصل: «العبدري»، ولكن في تفسير *القمي*: «العدوي»، وفي المصدر و*الميزان* في تفسير *القرآن* وتفسير *الصافي*: «العبدي»، والصحيح: «العَبْدَري» كما صرّح به السمعاني في *الأنساب* ٨: ٣٤٨، حيث قال: «العَبْدَري» بفتح العين وسكون الباء وفتح الدال، هذه النسبة الى «عبد الدار» وقد صرّح في الرواية أنّ طلحة هذا من بني عبد الدار.

٢. في الأصل وبعض النسخ تفسير *القمي*: «مسافح»، وفي المصدر وتفسير *الصافي*: «مسافع»

٣. في المصدر: «اللواء»

٤. وهما اليدان المقطوعتان، [«منه ـ رحمه الله ـ].

٥. في المصدر: ـ «الراية»

ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رُفعت فلاذوا بها، وانهزم أصحاب رسول الله هزيمة عظيمة وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه.

فلمّا رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: إليّ أنا رسول الله، إلى أين تفرّون، عن الله وعن رسوله؟

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر، وكلّما انهزم رجل من قريش رفعت[1] إليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنّما أنت امرأة فاكتحل بهذا.

وكان حمزة بن عبد المطّلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند [قد] أعطت وحشيّاً عهداً: لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة، لأعطينّك كذا وكذا، وكان وحشيّ عبداً لجبير بن مطعم حبشيّاً، فقال وحشيّ: أمّا محمّد فلا أقدر عليه، وأمّا عليّ فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه، فكمن لحمزة، قال: فرأيته يهزّ الناس هزّاً، فمرّ بي فوطئ على جرف نهرٍ فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميته [بها] فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنّته[2]، فسقط فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده وجئت به إلى هند، فقلت: هذه كبد حمزة، فأخذتها في فمها فلاكتها فجعلها الله في فمها مثل الداعضة،[3] ـ وهي عظم رأس الركبة ـ فلفظتها ورمت بها. قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: فبعث الله ملكاً فحمله وردّه إلى موضعه. قال: فجاءت إليه فقطعت مذاكيره وقطعت أُذنيه وقطعت يده ورجله.

---

١. في المصدر: «دفعت»

٢. الثنّة بالضم: «العانة».

٣. في الاصل والمصدر: «الداعضة»، وفي تفسير *القمي والصافي*: «الداغصة»، وهو الصحيح، وهو عظم مدور يديص ويموج فوق رضف الركبة. [*لسان العرب* ٤: ٣٦٥].

ولم يبقَ مع رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـإلّا أبودجانة سماك بن خرشة وعليّ، فكلّما حملت طائفة على رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـاستقبلهم عليّ فدفعهم عنه حتّى انقطع سيفه، فدفع إليه رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـسيفه ذاالفقار، وانحاز رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـإلى ناحية أُحد، فوقف وكان القتال من وجه واحد، فلم يزل عليّ ـعليه السلام ـيقاتلهم حتّى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة. [كذا أورده عليّ بن إبراهيم في *تفسيره*] قال: فقال جبرئيل: إنّ هذه لهي المواساة يا محمّد! فقال له: إنّه منّي وأنا منه [و قال جبرائيل: و أنا منكما].

قال الصادق ـعليه السلام ـ: «نظر رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـإلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسيّ من ذهب وهو يقول: لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا عليّ».[1]

وفي رواية القمّي: «وبقيت مع رسول الله نسيبة بنت كعب المازنيّة، وكانت تخرج مع رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـفي غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه فقالت: يا بنيّ! إلى أين تفرّ عن الله وعن رسوله!؟ فردّته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل، فضربته على فخذه فقتلته، فقال رسول الله: بارك الله فيكِ[2] يا نسيبة! وكانت تقي رسول الله بصدرها وثدييها [ويديها] حتّى أصابتها جراحات

---

١. *مجمع البيان* ٢: ٣٧٦ ـ ٣٧٩؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٠٧ ـ ١١٠؛ وتفسير *القمي* ١: ١١١ ـ ١١٦، مع تقديم وتأخير وزيادة ونقصان؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٨٩؛ مناقب *ابن المغازلي*: ١٩٧؛ *ذخائر العقبى*: ٧٤؛ *الرياض النضرة* ٣: ١٥٥؛ ينابيع *المودة*: ٢٠٩.

٢. في المصدر: «عليك»

كثيرة، وحمل ابن قميّة[١] على رسول الله وقال: أروني محمّداً لا نجوت، إن نجى، فضربه على حبل عاتقه ونادى: قتلتُ محمّداً، واللات والعزّى».[٢]

وفي روايات أصحابنا و غيرهم: أنّ رسول الله أُصيب يومئذٍ بالشجّة في جبهته، وكُسرت رباعيّته، واشتكت ثنيّته، رماه مغيرة بن العاص.[٣]

وفي رواية القمّي وغيره[٤]: «وتراجعت الناس فصارت قريش على الجبل، فقال أبو سفيان ـ وهو على الجبل ـ: اعلُ هُبَل. فقال رسول الله لأميرالمؤمنين: قل له: الله أعلى وأجلّ. فقال: يا عليّ! إنّه أنعم علينا. فقال عليّ: بل الله أنعم علينا».

أقول: والروايات في هذه الغزوة فوق حدّ الإحصاء، والتواريخ مشحونة بأخبارها،[٥] وإنّما أوردنا هذا الأُنموذج لابتناء فهم الآيات النازلة على ذلك، فهي بين ما يؤنّب المنافقين ويغلظ عليهم، وما يوبّخ المكتشفين المنجلين عن رسول الله، وبين ما يشكر الشاكرين، وهم الثابتون، وبين ثناء للمستشهدين فيها، وما بمنزلة التسلية للمؤمنين.

قوله سبحانه: ﴿ إذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أنْ تَفْشَلا ﴾

الفشل: الضعف والجبن.

---

١. في *البرهان في تفسير القرآن*: «ابن قميئة».

٢. تفسير *القمي* ١: ١١٥ ـ ١١٦.

٣. راجع: مستدرك *الوسائل* ٢: ٦١١؛ *المناقب* ١: ٤٨٦؛ *التعجب*: ٤٠؛ بصائر *الدرجات*: ٢٢٨؛ مجمع *البيان* ٢: ٣٧٦؛ تفسير *الصافي* ٢: ١١٤؛ *انوار التنزيل* ١: ١٨١.

٤. تفسير *القمي* ١: ١١٧؛ تفسير *العيّاشي* ١: ٢٠١، الحديث: ١٥٥؛ *الخصال*: ١٠٥، ٣٩٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٨٧؛ مجمع *البيان* ٢: ٣٧٦.

٥. راجع: *المناقب* ١: ١٨٦، فصل في غزواته؛ بحار *الأنوار* ٢٠: ١٤. الباب ١٢، غزوة أحد وغزوة حمراء الأسد؛ *إعلام الورى*: ٧٢؛ شرح *نهج البلاغه* ١٥: ١؛ قصص *الانبياء*، للراوندي: ٣٣٩، فصل في مغازيه (١٠)؛ كشف *الغمة* ١: ١٨٧؛ *المغازي*، للواقدي ١: ١٩٩ ـ ٣٣٤.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾

حال، والمقام مقام تأنيب وتوبيخ.

وفي *المجمع* و عنهما ـ عليهما السلام ـ: «هما بنو سلمة وبنو حارثة، حيّان من الأنصار».[1]

أقول: وكانوا تردّدوا وفشلوا قبيل القتال بما ألقى فيهم عبدالله بن أُبيّ من الخلاف، ثمّ رجعوا، وفي الآية إشعار بذلك.

قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

بدر: اسم موضع بين مكّة والمدينة، وكان لرجل اسمه بدر.

وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «ما كانوا أذلّة وفيهم رسول الله، وإنّما نزلت: (ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم ضعفاء)».[2]

أقول: وروي مثله في *المجمع*[3] وغيره[4] عنه عليه السلام.

وفي *تفسير العيّاشي* عن أبي بصير قال: قرأت عند أبي‌عبدالله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾، فقال: «مَه، ليس هكذا أنزلها الله، إنّها نزلت[5]: (وأنتم قليل)[6]».

---

۱. مجمع *البيان* ۲: ۳۷۶.
۲. تفسير *القمي* ۱: ۱۲۳.
۳. مجمع *البيان* ۲: ۳۸۱.
٤. تفسير *العيّاشي* ۱: ۱۹۶، الحديث: ۱۳۵؛ بحار *الأنوار* ۱۹: ۲٤۳، الحديث: ٤؛ ۱۹: ۲۸٤، الحديث: ۲۳.
٥. في المصدر: «أنزلت»
٦. تفسير *العيّاشي* ۱: ۱۹۶، الحديث: ۱۳۳.

أقول: وروي مثله عن ابن سنان، عن أبيه، عنه عليه السلام،[١] وربما قضى نحو اختلاف الروايتين بأنّ مراده ـ عليه السلام ـ: التنزيل، أعني: المراد دون القراءة اللفظيّة.

قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ** ﴾

لفظ «عند» يفيد الحضور، و قرب مظروفه ممّا أُضيف إليه، وما عدا ذلك من الخصوصيّات المكانيّة والزمانيّة وغير ذلك خصوصيّات طارئة بحسب اختلاف المصاديق، كقولنا: فلان عند الأمير، وقولنا: سيعطيك عند مجيئه، وقول العالم: عندي أنّ المسألة الفلانيّة كذلك، إلى غير ذلك. ويجمع الجميع معنى الحضور. وإذ كان الله سبحانه يفيض عنه الوجود وهو خالق كلّ شيء، فلا يعقل أن يحتجب عنه شيء، أو أن يحتجب هو عن شيء إلّا بالغفلة مع انحفاظ أصل الحضور، فلازم الأوّل أن يكون كلّ شيء عنده، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ** ﴾،[٢] ولازم الثاني حضوره عند كلّ شيء، كما قال: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** ﴾،[٣] وبدّل «عند» بـ: «مع» بلحاظ المضاف إليه وظهور جسمانيّته.

نعم، اعتبار معنى الغفلة ينفي العنديّة الثانية وهو المصحّح لصدق «عند» في غيره تعالى من غير أن يصدق عليه عنديّته، ويجري عليه حكمه، كما قال تعالى: ﴿ **مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ بَاقٍ** ﴾[٤] مع أنّ كلّ ما عندنا فهو عنده سبحانه.

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٤.

٢. آل عمران (٣): ٥.

٣. الحديد (٥٧): ٤.

٤. النحل (١٦): ٩٦.

ويمتاز العنديّة المنسوبة إليه تعالى عن العنديّة المنسوبة إلى غيره بالأحكام، وإن كانت الحقيقة تدور مدار ما ذكرناه أوّلاً، قال سبحانه: ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾،[1] وقال: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾،[2] وقال: ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾،[3] وقال: ﴿ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾.[4] وقال تعالى: ﴿ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ ﴾،[5] وقال: ﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ ﴾،[6] وقال: ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ ﴾،[7] إلى غير ذلك.

وعلى هذا ـ أعني الإمتياز بالحكم ـ يؤول الأمر إلى اعتبار الإستقلال الظاهري في الأسباب والفقر الذاتي فيها المستند إلى الغنى الذاتي عنده تعالى، فكلّ حكم يرجع عند التحليل إلى الأعدام والنقائص، فهو عند غيره تعالى، وما يرجع إلى الكمال والبهاء فهو عنده تعالى بالذات، وعند غيره بالعرض فيما يصحّ فيه اعتبارهما معاً، فافهم ذلك.

و ممّا بالذات: قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِٱللهِ ٱلعَزِيزِ ٱلحَكِيمِ ﴾، ومنهما معاً: قوله: ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلمُؤْمِنِينَ ﴾.[8]

وظاهر أنّ ما بالعرض من المعنى يصحّ فيه الإيجاب والسلب معاً باعتبارين،

---

١. آل عمران (٣): ١٦٩.
٢. الزمر (٣٩): ٣٤.
٣. فصّلت (٤١): ٣٨.
٤. ق (٥٠): ٤.
٥. البقرة (٢): ١٤٠.
٦. النساء (٤): ٨١.
٧. الأنعام (٦): ١٤٨.
٨. التحريم (٦٦): ٤.

وبذلك يتمّ الحصر الذي هو في معناهما.

قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾

إذ كان كلّ شيء له سبحانه بحقيقة الملك، فلا يملك غيره تعالى، من نبيّ أو غيره شيئاً بحسب الذات إلّا ما ملّكه إيّاه، وقد قال: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ ،[١] وقال: ﴿ ألا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٢] فلا ينافي ذلك ما جعله سبحانه للنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أو لبعض عباده من الأمر.[٣]

*

١. آل عمران (٣): ١٥٤.

٢. الأعراف (٧): ٥٤.

٣. وفي *الاختصاص* المفيد عن الباقر ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال: إنّ رسول الله حرص أن يكون عليّ وليّ الامر من بعده فذاك الذي عني الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وكيف لا يكون له من الأمر شيىء وقد فوّض الله اليه، فقال: ما أحلّ النبيّ فهو حلال و ما حرّم النبيّ فهو حرامٌ، الحديث. [*الاختصاص*: ٣٢٢] و هو مبنيّ على تفسير «لك من الأمر» بما بالذات وما بالغير، على أنّ الرواية ضعيفة السند بابن سنان وغيره. و عن طرق العامة: أن عتبة بن أبي وقّاص شجّه صلى الله عليه وآله يوم أحد وكسر رباعيّته فجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدم فنزلت، وأعلمه أنّ كثيراً منهم ليؤمنون، [منه ـ رحمه الله ـ].

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأكُلُوا الرِّبَا أضْعَافاً مُضاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أجْرُ العَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨)]

قوله سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

في *المجمع*، عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «إلى أداء الفرائض».[1]

---

١. *مجمع البيان* ٢: ٣٩٠؛ *تفسير الصافي* ٢: ١١٦.

أقول: وجه ذلك أنّه تعالى إنّما فرّع المغفرة في كلامه على أداء الفرائض، بخلاف دخول الجنّة، فتتبّع.

قوله سبحانه: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾

في *المجمع* عن النبيّ -صلّى الله عليه وآله- أنّه سئل: إذا كانت الجنّة عرضها السماوات والأرض،[1] فأين تكون النار؟ [فجوابه: أنه روي أنّ النبي - صلّى الله عليه و آله - سئل عن ذلك،] فقال -صلّى الله عليه وآله-: «سبحان الله، إذا جاء النهار فأين الليل»؟[2]

أقول: الليل: هو الظلمة الحاصلة في الأرض -مثلاً- من فقدان مسامتة الشمس وهو ظلّ مخروطيّ قاعدته أقلّ من سطح نصف كرة الأرض على ما بيّن في المناظر، ويدور على الأرض دائماً بحسب الحسّ، وإن كان بحسب الحقيقة عدماً للضوء الشمسي، والنسبة بينهما نسبة العدم والملكة.

وقوله: «إذا جاء النهار فأين الليل؟» لا ينفي ذلك، كيف! والقرآن يثبته، وضرورة الحسّ تشهد به، وإنّما مصبّ كلامه -صلّى الله عليه وآله- ووجهه عدم المزاحمة بينهما مع الإستيعاب كما سيتّضح، والشبهة وإن لم يكن لها وقع بحسب الأُصول البرهانيّة، لكنّ الذي يمسّ المقام حلّها بحسب ما يستفاد من كلامه تعالى على ما يلائم الغرض من الكتاب.

بيان ذلك أنّ المبعوث المحشور في الآخرة وإن كان هو الإنسان نفسه الذي في الدنيا، لكنّ الذي يعطيه كلامه تعالى أنّ النشأتين مختلفتان بحسب النظام

---

١. في المصدر: «كعرض السماء والأرض»

٢. *مجمع البيان* ٢: ٣٩١؛ *تفسير الصافي* ٢: ١١٦.

فيختلفان بالضرورة بحسب السنخ والأحكام، فالأرض لها نظام مادّي ومبادئ أحكامها الجسمانيّات على ما أودع الله فيها من الأحكام، والحياة الدنيا وهي حياة الإنسان في الأرض ذو نظام مادّي يربطه بالإنسان الإرادة والمشيّة.

وأمّا الحياة الآخرة فنظامها نظام المشيّة، قال سبحانه: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ ﴾،[1] وقال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾،[2] هذا في السعداء.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾،[3] وقال: ﴿ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ﴾،[4] إلى غير ذلك.

فالنشأة الأُخرى يدور نظامها مدار الإرادة والمشيّة وحصول الإنسان على ما يشاؤه أو لا يشاؤه، والفارق بين السعادة والشقاء هناك أنّ للسعيد ما يشاؤه وللشقيّ ما يكرهه ولا يشاؤه، ولذلك لم يكن هناك تزاحم لا في حياة السعيد وسعادته، ولا بين حياته وحياة الشقيّ؛ إذ النسبة بينهما كنسبة العدم والملكة، كما قال سبحانه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾،[5] فالنسبة بينهما نسبة الليل والنهار، فلا تزاحم هناك فيما فيه التزاحم هاهنا في نظام السعادة ونظام الشقاء بعكسه.

ومن هنا يظهر معنى ما عن ابن شهر آشوب في *المناقب*، قال: في تفسير يوسف القطّان، عن وكيع، عن الثوري، عن السدّي قال: كنت عند عمر بن

---

١. النحل (١٦): ٣١.
٢. الزخرف (٤٣): ٧١.
٣. الزخرف (٤٣): ٧٥.
٤. العنكبوت (٢٩): ٢٣.
٥. الحديد (٥٧): ١٣.

الخطّاب، إذ أقبل عليه كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف[1] وحيّ بن أخطب، فقال: إنّ في كتابكم ﴿جَنَّةٌ عَرْضُهَا ٱلسَّموَاتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، إذا كانت سعة جنّة واحدة كسبع سماوات وسبع أرضين، فالجنان كلّها يوم القيامة أين تكون؟ فقال عمر: لا أدري[2] فبينما هم في ذلك إذ دخل عليّ ـ عليه السلام ـ فقال: «في أيّ شيءٍ أنتم»؟ فألقى[3] اليهوديّ المسألةَ عليه،[4] فقال لهم: خبّروني: أنّ النهار إذا أقبل الليل أين يكون؟ [و الليل إذا أقبل النهار أين يكون؟] فقالوا له: في علم الله تعالى [يكون]، فقال عليّ ـ عليه السلام ـ: «كذلك الجنان تكون في علم الله تعالى»، فجاء عليّ إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأخبره بذلك، فنزل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.[5][6]

أقول: معنى إحالتهم الأمر إلى علم الله دعوى عدم الدليل على انحصار وعاء الموجودات فيما يناله الحسّ من الوعاء ولا أحكامها فيما ندركه من الأحكام حتّى يقع التزاحم والتدافع، فإحالته ـ عليه السلام ـ عدم تزاحم الجنان من حيث الوعاء مرجعه إلى ذلك، ويرجع بالآخرة إلى ما قدّمناه، كما لا يخفى.

قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾

في *المجالس* عن عبدالرحمن بن غنم الدوسي: أنّ الآيات نزلت في بهلول

---

١. في المصدر: «الصيفي»
٢. في المصدر: «لا أعلم»
٣. في المصدر: «فألتفت»
٤. في المصدر: «وذكر المسألة»
٥. النحل (١٦): ٤٣.
٦. *المناقب* ٢: ٣٥٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٩٢.

النبّاش، وكان ينبش القبور، فنبش قبر واحدة من بنات الأنصار فأخرجها ونزع أكفانها، وكانت بيضاء جميلة، فسوّل له الشيطان حتّى زنى بها ثمّ ندم، فجاء إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فردّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثمّ اعتزل الناس وتعبّد في بعض جبال المدينة حتّى قبل الله توبته ونزلت الآيات.[1]

أقول: وهو مفصّل قد لخّصناه.

قوله سبحانه: ﴿ **فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ** ﴾

الفاحشة من الذنب: ما فيه فحش وقبح كالزنا، فالظلم المذكور غيره، والجميع ذنب، لقوله: ﴿ **فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** ﴾.

قوله سبحانه: ﴿ **وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا** ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «الإصرار: أن يذنب المذنب[2] فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار».[3]

وروي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «ما أصرّ من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرّة».[4]

---

١. *الأمالي* للصدوق: ٤٢ ـ ٤٦، المجلس الحادي عشر، الحديث: ٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٤٩٧ ـ ٥٠٠؛ تفسير *الصافي* ٢: ١١٩ ـ ١٢٢.

٢. في المصدر: «العبد»

٣. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٤.

٤. جامع *الأخبار*: ٥٧؛ مستدرك *الوسائل* ١٢: ١٢٢، الحديث: ١٣٦٨٥ نقلاً عن تفسير *أبي الفتوح* ١٢: ١٣٨، الحديث: ١٣٧١٧؛ نقلاً عن *لبّ اللباب* للقطب الراوندي؛ بحار *الأنوار* ٩٠: ٢٨٢؛ *الكشف والبيان* ٣: ١٦٩.

أقول: وهذا المعنى مستفاد من المقابلة في الآية، وقد مرّ ما يقرب عنهما في سورة البقرة عند قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.[١]

وفي *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الإستغفار».[٢]

وفي *تفسير العيّاشي*، عن الصادق ـعليه السلام ـ في حديث قال: «وفي كتاب الله نجاةٌ من الردى، وبصيرةٌ من العمى، [و دليل إلى الهدى] وشفاءٌ لما في الصدور فيما أمركم الله به من الإستغفار والتوبة، قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللهَ يَجِدِ ٱللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾،[٣] فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه التوبة والإقلاع عمّا حرّم الله، فإنّه يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾،[٤] وبهذه الآية يستدلّ [على][٥] أنّ الإستغفار لا يرفعه إلى الله إلّا العمل الصالح والتوبة.[٦]

أقول: وقد استفاد عدم العود والإقلاع بعد التوبة من نفي الإصرار وأنّ قبول التوبة يحتاج إلى صالح العمل بعدها.

---

١. البقرة (٢): ٢٢٢.

٢. *الكافي* ٢: ٢٨٨، الحديث: ١.

٣. النساء (٤): ١١٠.

٤. فاطر (٣٥): ١٠.

٥. في المصدر: «وهذه الآية تدل على»

٦. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٣.

قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾

في *المجالس* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: لمّا نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً [بمكة يقال له ثور] فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا، لماذا دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعِدهم وأُمنّيهم حتّىٰ يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوها[1] أنسيتهم الإستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة.[2]

*

١. في المصدر: «واقعوا الخطيئة»

٢. *الأمالي* للصدوق: ٤٦٥، المجلس الحادي والسبعون، الحديث: ٥؛ تفسير *الصافي* ٢: ١١٩.

[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ

ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

هذا هو العلم الفعلي الذي هو عين الفعل، وقد مرّ. وأمّا العلم السابق على الإيجاد فليس مناطاً لثواب أو عقاب، وما قيل: إنّ المراد بالعلم الرؤية، فكلامٌ خالٍ عن التحصيل.

قوله سبحانه: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾

ظاهره كون «من» تبعيضيّة، ويحتمل كونها نشويّة، والشهداء هي الأيّام.

قوله سبحانه: ﴿ وَاللهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ ﴾

وجه تذييل الآية به دون العلم والعزّة والحكمة ونحو ذلك، لتأكيد الغايات المذكورة في قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ﴾، وأنّ جعل اليوم للكافرين على المؤمنين ليس لحبّ منه لهم، بل لما ذكر من الغايات.

قوله سبحانه: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾

التمحيص: الإمتحان والإبتلاء من قولك: محّصت الذهب بالنار، إذا خلّصتها من ما يشوبه، ومحق الشيء: فناؤه شيئاً فشيئاً، ففيه مقابلة حسنة وإشارة إلى أنّ الإمتحانات الإلهيّة تسوق المؤمن إلى الخلوص والصفاء، والكافر إلى البوار والهلاك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾.[١]

---

١. الزمر (٣٩): ١٥.

قوله سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «إنّ الله هو أعلم بما هو مكوّنه قبل أن يكوّنه وهم ذرّ، وعلم من يجاهد ممّن لا يجاهد، كما علم أنّه يميت خلقه قبل أن يميتهم، ولم يُرِهِم موتهم وهم أحياء».[١]

أقول: إشارة إلى ما مرّ، وأنّه فرق بين العلم قبل الإيجاد والعلم الفعلي الذي هو الفعل، وأنّ المراد ليس هو العلم قبل الإيجاد.

قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾

في *تفسير القمّي*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية: «إنّ المؤمنين لمّا أخبرهم الله تعالى بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنّة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللهمّ أرِنا قتالاً[٢] نستشهد فيه، فأراهم الله يوم أُحد إيّاه، فلم يثبتوا إلّا من شاء الله منهم، فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾

إنكار لما وقع منهم من الإنهزام ولم يثبت له صلّى الله عليه وآله إلّا الرسالة ليتحقّقوا أن ليس له في أمر الله إلّا الوساطة المحضة، وقد قيّد ذلك بقوله: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ فهو رسول يجري عليه ما جرى على سائر رسل الله من الموت والقتل وغير ذلك، فلا يحقّ لمؤمن وهو يعلم هذا أن لا يدافع عن دين الله

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ١٩٩، الحديث: ١٤٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٠٤.

٢. في المصدر: «القتال»

٣. تفسير *القمي* ١: ١١٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٠٦.

في حال وينقلب على عقبيه، وفيه إشعار أنّ الله سبحانه لم يقبل ولم يرتضِ ما اعتذر به المنهزمون بعدما تراجعوا إلى رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ حين رجوعه إلى المدينة أنّهم إنّما انهزموا لمّا سمعوا قتل رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ، وأنّ ذلك كان منهم ارتداداً وانقلاباً على أعقابهم؛ إذ كان قيام الدين على ساقه يومئذٍ يدور مدار ثباتهم، فسمّى ذلك منهم انقلاباً على الأعقاب أوّلاً، وإرادة لثواب الدنيا ثانياً، وزلّة باستزلال الشيطان ثالثاً، وخبثاً رابعاً؛ إذ يقول: ﴿ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾.[١]

ثمّ سمّى سبحانه الثبات ممّن ثبت منهم كـ«عليّ» ـعليه السلام ـ وأبي دجانة شكراً، إذ قال في آخر الآية: ﴿ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾، ثمَّ في الآية التالية ﴿وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ و هو ظاهر بعدما كان انهزام المنهزمين كفراناً لما أنعم الله عليهم من الدين، كما يقول في ذيل الآيات: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾،[٢] ولقد سمّاه شكراً إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾،[٣] فهو الثبات.

في *تفسير القمّي* قال عليه السلام: إنّ رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ خرج يوم أُحد وعهد العاهد به على تلك الحال، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: إنّ رسول الله قد قتل النجاء،[٤] فلمّا رجعوا إلى المدينة أنزل الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ يقول:

---

١. آل عمران (٣): ١٧٩.
٢. آل عمران (٣): ١٦٤.
٣. آل عمران (٣): ١٢٣.
٤. النجاء، كعلاء: الخلاص، أي: أنجوا بأنفسكم.

إلى الكفر ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً ﴾.[١]

أقول: ومعناه ظاهر، وقد روى هذا المعنى في *الكافي* في حديث طويل.[٢]

وفي *الكافي*، عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إنّه أصاب عليّاً يوم أُحد ستّون جراحة وأنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمر أُمّ سليم وأُمّ عطيّة أن تداوياه فقالا[٣]: إنّا لانعالج منه مكاناً إلّا انفتق مكان، وقد خفنا عليه، ودخل رسول الله والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة وجعل يمسحه بيده ويقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر، فكان القرح الذي يمسحه رسول الله يلتئم، فقال عليّ ـ عليه السلام ـ: الحمدلله إذ لم أفرّ ولم أولّ الدبر، فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن، وهو قوله: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾، ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّاكِرِينَ ﴾.[٤]

أقول: ظاهره أنّ المشكور منه هو ما لقيه في جنب الله، فيكون شكره عليه السلام هو ثباته، كما مرّ آنفاً أنّ الشكر هاهنا هو الثبات.

ويمكن على بُعد أن يكون المشكور هو حمده عليه السلام لله تعالى، ومعنى الرواية مرويّ في عدّة روايات أُخر.

وفي *تفسير العيّاشي* عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أباجعفر ـ عليه السلام ـ عن الرجعة واستخفيت ذلك وقلت: لأسألنّ مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي،

---

١. *تفسير القمي* ١: ١١٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٠٦.
٢. *الكافي* ٨: ٢ ـ ١٤، الحديث: ١.
٣. كذا في المتن والصحيح: « فقالتا »
٤. لم نجده في *الكافي* ولكن وجدناه في *مجمع البيان* ٢: ٤٠٩؛ *المناقب* ٢: ١١٩ مع تفاوت؛ *بحار الأنوار* ٤١: ٣ نقلاً عن *مجمع البيان* و*تفسير القمي*، وما وجدناه في *تفسير القمي*، راجع: *شواهد التنزيل* ١: ١٧٦، الحديث: ١٨٧.

فقلت: أخبرني عمّن قتل، أمات؟ قال: «لا، الموت موت[1] والقتل قتل»، قلت: ما أحد يُقتل إلّا وقد مات؟ فقال: «قول الله أصدق من قولك، فرّق بينهما في القرآن فقال: ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾، وقال: ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللهِ تُحْشَرُونَ ﴾،[2] وليس كما قلت يا زرارة، الموت موت والقتل قتل». قلت: فإنّ الله يقول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾،[3] قال: «من قُتل لم يذق الموت، ثمّ قال: لا بدّ مِن أن يرجع حتّى يذوق الموت».[4]

أقول: وفي هذا المضمون روايات أُخر، وقد استفيد فيها المباينة بينهما من التفرقة الواقعة في كلامه: ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾، ولو كان بينهما العموم والخصوص مطلقاً، كان ذكر القتل بعد الموت مستهجناً، فالمراد بالموت ما كان حتف الأنف من غير وقوع القتل، فحينئذٍ يتضادّان، وقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، يقضي بعموم الموت لكلّ نفس حتّى المقتول فينتج أنّ المقتول سيرجع فيموت.

نعم، يبقى عليه ما يمكن أن يقال: إنّ الموت ضدّ الحياة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيٰوةً ﴾،[5] وقال: ﴿ وَيُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾،[6] والقتل قطع الحياة بسبب فجائي، فالموت إذا أُطلق وحده، كان أعمّ والمراد به ضدّ الحياة،

---

١. في الاصل «الموت» والصحيح ما أثبتناه في المتن.

٢. آل عمران (٣): ١٥٨.

٣. آل عمران (٣): ١٨٥.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ٢٠٢، الحديث: ١٦٠؛ مختصر *البصائر*: ٩٢، الحديث: ٦١؛ *الايقاظ من الهجعة*: ٢٥٧، الحديث: ٨٠.

٥. الفرقان (٢٥): ٣.

٦. الروم (٣٠): ١٩.

وإذا اقترنا كان ضدّاً له، فلا يستقيم النتيجة، فتأمّل.

قوله سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾
وقرئ «قُتِل» بضمّ القاف بالبناء للمجهول، والضمير إمّا للنبيّ أو الربّيّون، وإن ضعّف الأوّل بأنّا لم نسمع بنبيّ قتل في معركة القتال.

وفيه: أنّ قراءة «قُتل»، لا يستلزم القتال وإنّما يستلزم الإبتلاء والمصيبة، وبذلك يتمّ تنظير المقام بهذه القصّة أنّ الربّيّون من مؤمني الأنبياء السابقين على ما وقع عليهم وفيهم من القتل والمصائب، لم يهِنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا، بل ثبتوا وسألوا ربّهم المغفرة وثبات القدم والنصرة.

والربّيّون منسوب إلى الربّ، أي ربّانيّون، إلٰهيّون. وكسر الراء تغيير طارٍ من النسبة، كذا قيل.[1]

وفي *المجمع*[2] عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «الربّيّون عشرة آلاف».

وفي *تفسير العيّاشي*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ: أنّه قرأ: وكأيّن من نبيّ قتل معه ربّيون كثير، قال: «اُلوف واُلوف، ثمّ قال: إي والله، يقتلون».[3]

*

---

١. *مجمع البيان* ٢: ٧٨١.
٢. *مجمع البيان* ٢: ٨٥٤؛ وفي تفسير *القمّي* ١: ١٢٠، الربّيون: الجموع الكثيرة، الربوة الواحدة: عشرة آلاف.
٣. تفسير *العيّاشي* ١: ٢٠١، الحديث: ١٥٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥١٠.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ

مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾]

قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ ﴾

حيث وعدهم بالنصر إن صبروا واتّقوا، فإنّ دائرة القتال في أُحد كانت أوّلاً على المشركين، حتّى إذا فشل أصحاب عبدالله بن جبير وانسلّوا عن موقفهم ومركزهم.

وقوله: ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ ﴾

أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَـٰنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾

يشير إلى الرماة، وهم أصحاب عبدالله بن جبير.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾

وهو انهزام المشركين و الغنيمة.

وقوله: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾

وهم المتفرّقون المنسلّون من أصحاب ابن جبير.

وقوله: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾

وهو عبدالله بن جبير ومن ثبت معه في مركزه حتّى قُتلوا.

وقوله: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

أي: عن المشركين ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾.

قوله سبحانه: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ ﴾

الإصعاد: الإبعاد في الأرض والذهاب فيها، واللّي: هو الميل.

وقوله: ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾

أي: ساقتكم وجماعتكم الأُخرى.

وقوله: ﴿ غَمّاً بِغَمٍّ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: فأمّا الغمّ الأوّل: فالهزيمة والقتل والغمّ الآخر: فإشراف خالد بن الوليد عليهم.(١)

قوله سبحانه: ﴿ يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾

روي أنّه: غشيهم النعاس في المصافّ، حتّى كان السيف يسقط عن يد أحدهم فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه.(٢)

*

١. *تفسير القمي* ١: ١٢٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥١٣، الحديث: ٤.

٢. *أنوار التنزيل* ١: ١٨٧؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٣٨.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)]

قوله سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ ﴾

بدأ بالقتل لكون مساق الكلام هو الجهاد وكون القتل أقـرب إلى المـغفرة مـن الموت، ثمّ لمّا أمكن توهّم اختصاص المغفرة بالقتل ألحق به الموت أيضاً، على خلاف ما صنع في قوله: ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُـتِلَ ﴾،[1] وقـوله: ﴿ مَـا مَـاتُوا وَمَـا قُتِلُوا ﴾، وقوله: ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾، فبدأ فيها بالموت لكونه أسبق إلى الذهن وأعرف في الوقوع.

وفي *المـعاني*، عن الباقر ـعليه السلام ـ قال: «سبيل الله: عليّ وذرّيّته، من قتل في ولايته قتل في سبيل الله».[2]

أقول: وهو من الجري.

قوله سبحانه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

تأديب له في العزم والعمل.

وفي *النهج*: «من استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها».[3]

وفيه أيضاً: «الإستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استبدّ برأيه».[4]

وعن النبيّ ـصلّى الله عليه وآله ـ: «لا وحدة أوحش من العُجب، ولا مظاهرة

---

١. آل عمران (٣): ١٤٤.

٢. *معاني الأخبار*: ١٦٧، الحديث: ١؛ *تفسير العيّاشي* ١: ٢٠٢، الحديث: ١٥٩ و ١٦٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥١٦، الحديث: ١؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٤١.

٣. *نهج البلاغة*: ٥٠٠، الحكمة ١٦١.

٤. *نهج البلاغة*: ٥٠٦، الحكمة ٢١١؛ ولقد راجعنا ما بأيدينا من نسخ *نهج البلاغة* وشروحها، كشرح ابن ميثم، ابن أبي الحديد، عبده، صبحي صالح، مغنيّه، فيض الاسـلام، السـيد الشيرازي؛ وفي كلّها: «إستغنى» بدل: «استبدّ».

أوثق من المشاورة».[١]

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾

في *تفسير القمّي*: نزلت في حرب بدر، وكان سبب نزولها أنّه كان في الغنيمة التي أصابوها [يوم بدر] قطيفة حمراء ففُقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله: ما لنا لا نرى القطيفة؟ ما أظنّ إلّا رسول الله أخذها، فأنزل الله في ذلك هذه الآية، فجاء رجل إلى رسول الله، فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة حمراء فاحفرها[٢] هنالك، فأمر رسول الله بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة.[٣]

وفي *المجالس*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ رضى الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، و كيف تسلمون ممالم يسلم منه انبياء الله و رسله و حجج الله ـ عليهم السلام ـ؛ ألم ينسبوا يوسف ـ عليه السلام ـ إلى أنه همّ بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب عليه السلام، الى أنه ابتلى بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها و أنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل تزوج بها؟ الم ينسبوا موسى إلى أنه عنّين و آذوه حتى برأه الله مما قالوا و كان عند الله وجيهاً؟ ألم ينسبوا جميع انبياء الله إلى أنهم سحرة طلبة الدنيا؟ ألم ينسبوا مريم بنت عمران ـ عليها السلام ـ الى أنّها حملت بعيسى من رجل نجاّر اسمه يوسف؟ ألم ينسبوا نبينا ـ محمد صلى الله عليه و آله ـ إلى أنّه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى

---

١. *بحار الأنوار* ٧٧: ٦١، الحديث: ٤.

٢. في المصدر: «فَأَخبأها»

٣. *تفسير القمي* ١: ١٢٦؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٤٤.

استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر أنّه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتّى أظهره الله على القطيفة وبرّأ نبيّه من الخيانة وأنزل في كتابه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ ﴾.[1]

أقول: ولحن الآية يشعر بوقوع ظنّ من المسلمين بذلك، فلسانها لسان التبرئة، والغلّ: أخذ شيء من المغنم خفية.

قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأتِ بِمَا غَلَّ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «من غلّ شيئاً رآه يوم القيامة في النار، ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النار»[2].

أقول: وهي استفادة لطيفة من قوله: ﴿ يَأتِ ﴾.

قوله سبحانه: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ ﴾

العنديّة، ليست تشريفيّة بل عنديّة حكميّة، كما يقال: عندي أنّ كذا كذا، فيعمّ الفريقين جميعاً، وشاهد ذلك قوله: ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: الذين اتّبعوا رضوان الله هم الأئمّة، وهم والله درجات عندالله للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم الدرجات العُلى،[3] والذين باؤوا بسخط من الله هم الذين جحدوا حقّ عليّ وحقّ الأئمّة منّا أهل البيت، فباؤوا لذلك بسخط من الله».[4]

---

١. *الأمالي* للصدوق: ١٠٢، المجلس الثاني والعشرون، الحديث: ٣؛ سنن *أبي داود* ٤: ٣١، الحديث: ٣٩٧١؛ *سنن الترمذي* ٥: ٢٣٠، الحديث: ٣٠٠٩؛ تفسير *الطبري* ٤: ١٠٢.

٢. تفسير *القمي* ١: ١٢٢؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٤٤.

٣. إلى هنا روي في *الكافي* ١: ٤٣٠، الحديث: ٤٨؛ ومناقب *آل أبي‌طالب* ٤: ١٧٩.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ٢٠٥، الحديث: ١٤٩؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٤٥، باختلاف يسير في العبارة.

أقول: وهو من قبيل الجري.

وقوله: «وبولايتهم»، بيان لكونهم درجات، وهو ظاهر في كون كلّ واحد منهم عليهم السلام ذا مراتب بحسب المعرفة.[1]

وعن الرضا ـ عليه السلام ـ: «الدرجة ما بين السماء والأرض».[2]

*

١. أي بحسب معرفة الموالين.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٢٤، الحديث: ٣.

[أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾]

قوله سبحانه: ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «كان المسلمون قد أصابوا ببدر

مائة وأربعين رجلاً قتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أُحد أُصيب من المسلمين سبعون رجلاً فاغتمّوا بذلك فنزلت».[١]

قوله سبحانه: ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

عن *تفسير القمّي*: وكان الحكم في الأُسارى يوم بدر، القتل، فقامت الأنصار فقالوا: يا رسول الله! هبهم لنا ولا تقتلهم حتّى نفاديهم، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم ويطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منهم الفداء، فأخبرهم رسول الله بهذا الشرط فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء من هؤلاء القوم ونتقوّى به ويقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء وندخل الجنّة، فأخذوا منهم الفداء وأطلقوهم، فلمّا كان يوم أُحد قتل من أصحاب رسول الله سبعون، فقالوا: يا رسول الله! ما هذا الذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر؟ فأنزل الله: ﴿ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ ﴾، و﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾، أي بما اشترطتم يوم بدر.[٢]

أقول: وروي هذا المعنى في *المجمع*[٣] عن عليّ ـ عليه السلام ـ.

قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً ﴾

في *المجمع*، عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «نزلت في شهداء بدر وأُحد معاً».[٤]

---

١. تفسير *العيّاشي* ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥١؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٤٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٢٥، الحديث: ٦.

٢. تفسير *الصافي* ٢: ١٤٦؛ عن تفسير *القمي* ١: ١٢٦.

٣. مجمع *البيان* ٢: ٨٧٦.

٤. مجمع *البيان* ٢: ٨٨١.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ علموا واستيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ وعلى دين الله عزّ وجلّ فاستبشروا بمن لم يلحقوا بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين».[١]

أقول: وهو من الجري، بمعنى باطن التنزيل؛ إذ القتل في سبيل الله تعالى وهو مفارقة النفس للبدن ومشتهياتها لا يتفاوت فيه الحال بين أن يكون ذلك بتسبيب أعداء الدين بسيف أو نحوه، أو بتسبيب نفس الإنسان بمجاهدة نفسانيّة؛ ولذلك سمّى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ مخالفة النفس جهاداً في ما روي عنه: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ...» الحديث،[٢] وقد مرّت الرواية: «إنّ سبيل الله: عليّ وذرّيّته، والقتل في ولايتهم قتل في سبيل الله تعالى».[٣]

قوله سبحانه: ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

قد مرّ كلامٌ في نظير الآية من سورة البقرة، وهو قوله: ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾،[٤] فقد نفى سبحانه عنهم الموت وأثبت الحياة، وقوله: ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾، متعلّق بقوله: ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾، على ظاهر السياق؛ إذ لا وجه لتعلّقه بقوله: ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ إلّا مراعاة السجع، وحينئذٍ فمعنى كون حياتهم عند ربّهم على ما يفيده كلمة ﴿ عِنْد ﴾ من الحضور وكلمة: ﴿ الرَّبّ ﴾ من الملك والتدبير أنّها حياة

---

١. *الكافي* ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٦؛ *تفسير القمي* ١: ١٢٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٢٦، الحديث: ٢؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٥٠. ولم نجده في *تفسير العيّاشي*.

٢. *جامع الأخبار*: ١٠٠.

٣. *معاني الأخبار*: ١٦٧، الحديث: ١.

٤. البقرة (٣): ١٥٤.

لا تشغلهم عن ربّهم لا كالحياة الدنيا اللاهية الشاغلة، وقد أبهم سبحانه الرزق الذي يرزقونه كما أبهم النعمة والفضل الذين يستبشرون بهما.

وكيف كان، فهذه الحياة إذ كانت لا بحذاء العمل؛ إذ الأجر الذي بحذاء العمل أن يعمل الإنسان عملاً يريد به ما عند الله سبحانه، وأمّا القتل في سبيل الله فهو رفض للحياة وليس بفعل وجوديّ يستتبع غاية وجوديّة، ولذلك كان ما هيّأه الله من الحياة للشهداء حياة أُخرى عنده لا غائباً عنه وفضلاً منه، لا أجـراً لعـمل عملوه، وعليه يمكن أن ينزّل ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾.

وقد أثبت سبحانه الحياة والبقاء لكلّ ميّت على خلاف ما كان يقوله الكافرون من الموت والفوت بقولهم فيما حكى الله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾،[١] بل الإنسان باقٍ وإن فنى البدن، قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾،[٢] فهذا الخطاب والبيان منه سبحانه أعني قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾، بتخصيص الكلام بالمقتولين في سبيل الله، مع أنّ الحكم عامّ للشهداء وغيرهم، والمؤمن والكافر ليس مسوقاً إلّا لبيان أنّ الحياة التي كانت تعتقده النفوس فيهم، ثمّ افتقدوها بزعمهم وزالت عنهم وزهقت لم يبطل عنهم، وهذا دليل على أنّ تعلّقهم بالدنيا وإشرافهم على هذه الدار باقية بعدُ وإن حلّ بهم القتل وأُخمدت إحساساتهم في الظاهر، ويشير إلى ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ إذ الإستبشار: تلقّي البشارة

---

١. الأنعام (٦): ٢٩.

٢. السجدة (٣٢): ١٠ ـ ١١.

بالسرور، والبشارة: هي الإخبار بخير مقبل قريب: فاستبشارهم بالذين لم يلحقوا بهم من الذين انسلكوا في سلكهم من المؤمنين كما يفيده قوله: ﴿ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾، لما يرون ويشاهدون ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فهم يشاهدون أحوال الذين من خلفهم أن لا شرّ يستقبلهم حتّى يخافوا منه ولا خير يفوتهم حتّى يحزنوا عليه، فهم مشرفون عليهم يشاهدون أعمالهم. ويؤيّده البيان الثاني، وهو قوله: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، على قراءة فتح أنّ، فافهم. وهذا هو الإشراف الذي ورد في الأخبار بلسان أنّ الميّت ربما يزور أهله فيشاهد أعمالهم.

ففي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ المؤمن ليزور أهله، فيرى ما يحبّ، ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره، ويستر عنه ما يحبّ».[١]

وفيه أيضاً، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي‌الحسن الأوّل، قال: سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: «نعم». فقلت: في كم يزور؟ قال: «في الجمعة، وفي الشهر، وفي السنة على قدر منزلته...» الحديث.[٢]

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة،[٣] ويلحق بها الروايات الواردة في زيارة أهل القبور،[٤] فارجع، ومع ذلك فهذه الإشرافات مختلفة سعةً وضيقاً،

---

١. *الكافي* ٣: ٢٣٠، الحديث: ١.

٢. *الكافي* ٣: ٢٣٠، الحديث: ٣.

٣. راجع: بحار *الأنوار* ٦: ٢٠٢، باب ٨، احوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلق بذلك.

٤. راجع: *الكافي* ٣: ٢٢٩، باب زيارة القبور؛ من لا يحضره *الفقيه* ١: ١٧٣ باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور ...؛ *وسائل* الشيعة ٣: ٢٢٢ باب استحباب زيارة القبور وغيرها.

كما في الرواية، غير أنّ الشهداء خاصّة دائموا الإشراف والاطّلاع، وقريب من الآيــة مـضموناً، قـوله تـعالى: ﴿ وَقُـلِ ٱعْـمَلُوا فَسَـيَرَى ٱللَّهُ عَـمَلَكُمْ وَرَسُـولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾،[1] وسيجيء الكلام فيه.

ويتبيّن من الآيات:

أوّلاً: أنّ الحياة متّصلة واحدة ذات مراتب، و أنّ أنزلها الحياةُ الدنيا.

وثانياً: أنّ بين الأحياء والأموات رابطة مّا، ربما اتّصلت فاتّصل الحياتان، فافهم ذلك.

*

---

١. التوبة (٩): ١٠٥.

[الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾]

قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ ﴾

في *تفسير القمّي*: إنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ لمّا دخل المدينة من وقعة أُحد نزل عليه جبرئيل فقال: إنّ الله يأمرك أن تخرج في إثر القوم ولا يخرج معك إلّا من به جراحة، فأمر رسول الله منادياً ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار! مَن كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها [فأنزل الله على نبيه: ﴿ وَ لَاتَهِنُوا فِى ابْتِغَاءِ الْقَومِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُم يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[1] و هذه الآية في

---

١. النساء (٤): ١٠٤.

سورة النساء،و يجب أن تكون في هذه السورة قال عزوجل: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾(١)]،(٢) فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلمّا بلغ رسول الله، حمراء الأسد وقريش قد نزلت الروحا، قال عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد: نرجع ونُغير(٣) على المدينة، قد قتلنا سراتهم وكبشهم(٤) ـيعنون حمزة ـ فوافاهم رجل خرج من المدينة، فسألوه الخبر فقال: تركت محمّداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جدّ الطلب، فقال أبوسفيان: هذا النكد والبغي، فقد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قطّ بغوا.

فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبوسفيان: أين تريد؟ قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً. قال: هل لك أن تمرّ بحمراء الأسد وتلقى أصحاب محمّد وتعلمهم أنّ حلفاءنا وموالينا قد وافونا من الأحابيش(٥) حتّى يرجعوا عنّا ولك عندي عشرة قلائص أملؤها تمراً وزبيباً؟ قال: نعم، فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الأسد فقال لأصحاب رسول الله: أين تريدون؟ قالوا: قريشاً، قال: ارجعوا، إنّ قريشاً قد اجتمعت إليهم حلفاؤهم ومن كان تخلّف عنهم، وما أظنّ إلّا أوائل خيلهم يطّلعون عليكم الساعة، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلَ ﴾، ما نبالي، فنزل جبرئيل [على رسول الله] فقال: ارجع يا رسول الله! فإنّ الله قد

---

١. *آل عمران* (٣): ١٤٠.

٢. مابين المعقوفتين ساقط عن الأصل وعن تفسير *الصافي* ٢: ١٥١، أضفناه من المصدر.

٣. من الإغارة بمعنى: الغارة.

٤. السراة: أعلى كلّ شيء والكبش: سيّد القوم.

٥. الأحابيش: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وجبل بأسفل مكّة.

أرعب قريشاً ومرّوا لا يلوون على شيء، فرجع رسول الله إلى المدينة، وأنزل الله: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ... ﴾.[١]

أقول: وفي معناه روايات، وهي مختلفة في خروج رسول الله بين مثبتٍ ونافٍ.[٢]

قوله سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا ﴾

فيه دلالة ظاهرة على أنّ فيهم من لم يتّصف بذلك، كما في قوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾

في *المجمع* عنهما ـ عليهما السلام ـ: «يعني نعيم بن مسعود الأشجعي».[٤]

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾

في *المجمع* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «أنّها نزلت في غزوة بدر الصغرى، وذلك أنّ أباسفيان قال يوم أُحد حين أراد أن ينصرف: يا محمّد! موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت، فقال رسول الله: ذلك بيننا وبينك و فلمّا كان العام المقبل خرج أبوسفيان في أهل مكّة حتّى نزل مجنّة من ناحية الظهران، ثمّ

---

١. تفسير *القمي* ١: ١٢٤ ـ ١٢٦؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٥١؛ والمتن مطابق *لتفسير الصافي*، وإن نسبه المؤلف الى القمي.

٢. *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٠١ و ٥٢٧، الحديث: ١ ـ ٥.

٣. الفتح (٤٨): ٢٩.

٤. مجمع *البيان* ٢: ٥٢٨.

ألقى الله عليه الرعب فبدا له في الرجوع،[١] فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي ـ وقد قدم معتمراً ـ فقال له أبوسفيان: إنّي واعدت محمّداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وإنّ هذه عام جدب ولا يصلحنا إلّا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها وأكره أن يخرج محمّد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة، فالحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو، فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهّزون لميعاد أبي‌سفيان، فقال لهم: بئس الرأي رأيكم، أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلّا شريد، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله [الخروج، فقال رسول الله][٢]: والذي نفسي بيده، لأخرجنّ ولو وحدي، فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشجاع فإنّه تأهّب للقتال وقال: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، فخرج رسول الله في أصحابه حتّى وافى بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة، وكانت موضع سوق لهم في الجاهليّة يجتمعون إليها في كلّ عام ثمانية أيّام، فأقام ببدر ينتظر أباسفيان وقد انصرف أبوسفيان من مجنّة إلى مكّة فسمّاهم أهل مكّة: جيش السويق، ويقولون إنّما خرجتم تشربون السويق، ولم يلقَ رسول الله وأصحابه أحداً من المشركين ببدر، ووافوا[٣] السوق وكانت لهم تجارات فباعوا وأصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.[٤]

---

١. ساقط عن المصدر.
٢. ساقط عن المصدر.
٣. في المصدر: «وافق»
٤. مجمع *البيان* ٢: ٨٨٨؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٥٣.

قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾

المراد به: نعيم بن مسعود، وهذا أحد المواضع الدالّة من القرآن على أنّ الإنسان ربما يصير شيطاناً، وسيجيء بيانه إن شاء الله تعالى.

وفي قوله: ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾، وظاهر الفعل المضارع الحال ما يؤيّد ما مرّ في ذيل قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ﴾.

*

[وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾

الإملاء هو الإمهال، وقد مرّ بيان معنى الآية مراراً.

وفي *تفسير العيّاشي*[1] عن الباقر ـ عليه السلام ـ: أنّه سئل عن الكافر، الموت

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ٢٠٦، الحديث: ١٥٥.

خيرٌ له أم الحياة؟ فقال: «الموت خير للمؤمن والكافر[١] لأنّ الله يقول: ﴿ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾،[٢] ويقول: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ ﴾.[٣]

أقول: وما ذكره ـ عليه السلام ـ بيان ببعض الجهات، وإن كان هناك جهات أُخرى توجب غير ذلك، ككون الحياة خيراً للمؤمن ليزداد في ثوابه بصالح عمله، وكونها خيراً للكافر رجاء أن يتوب ويؤمن، وككون ما أحبّه الله واختاره من الموت والحياة لعبده خيراً له، كما يدلّ عليه رواية جابر بن عبد الله عن الباقر ـ عليه السلام ـ.

قوله سبحانه: ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾

هذا هو العلاج لتصفية الباطن من الخبث وفيه دليل على أنّ السعادة والشقاوة الذاتيّتين تطابقان المكتسبتين، كما مرّ بيانه.

قوله سبحانه: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا ﴾

في *الكافي*، عن أيّوب بن راشد، قال: سمعت أباعبدالله ـ عليه السلام ـ يقول: «مانع الزكاة يطوّق بحيّة قرعاء[٤] تأكل من دماغه، وذلك قوله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾.[٥]

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة، رواها الأصحاب.[٦]

---

١. في المصدر +: «قلت: و لِمَ؟ قال:»

٢. آل عمران (٣): ١٩٨.

٣. تفسير *الصافي* ٢: ١٥٦.

٤. القرعاء من الحيّات: ما سقط شعر رأسه من كثرة سمّه.

٥. *الكافي* ٣: ٥٠٥، الحديث: ١٦.

٦) من لا يحضره *الفقيه* ٢: ٩، باب ما جاءَ في مانع الزكاة؛ *الأمالي* للطوسي: ٦٩٤، الحديث: ١٤٧٦؛ مجموعة ورام ٢: ٨٥.

[لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا
وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ
إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ
مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣)
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ
زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْغُرُورِ (١٨٥) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً
فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ
يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴿١٨٨﴾ وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿١٨٩﴾]

قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: «والله ما رأوا الله [تعالى] فيعلموا أنّه فقير، ولكنّهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان [الله] غنيّاً لأغنى أولياءه، ففخروا على الله بالغنى».[١]

أقول: وربما قيل: إنّ اليهود قالته لمّا سمعت قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾،[٢] والرواية المنقولة لا تنافيه.

وفي *المناقب* عن الباقر ـعليه السلام ـ: «هم الذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه».[٣]

أقول: وهو كالرواية السابقة من الجري، والكلام في قوله: ﴿ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾، نظير الكلام في نظيره، وقد مرّ.

قوله سبحانه: ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

في *الكافي*، عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: «كان بين القائلين والقاتلين خمسمائة عام، فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا».[٤]

---

١. لم نجده في تفسير *العيّاشي* ولكنه موجود في تفسير *القمي* ١: ١٢٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٣٢؛ تفسير *الصافي* ٢: ١٥٨، وجملة «ففخروا على الله بالغنى» ساقط عن تفسير *القمّي* المطبوع، ولكنّه موجود في النسخ الخطيّة.

٢. البقرة (٢): ٢٤٥.

٣. *المناقب* ٤: ٤٨.

٤. *الكافي* ٢: ٤٠٩ الحديث: ١.

قوله سبحانه: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾

في *العلل* عن الرضا ـ عليه السلام ـ: «في أموالكم بإخراج الزكاة، وفي أنفسكم بالتوطين على الصبر[١].

أقول: هو بيان لبعض المصاديق، والآية عامّة.

قوله سبحانه: ﴿ أَذىً كَثِيراً ﴾

وضع الأذى موضع الكلام الذي يوجب الأذى من وضع اللازم موضع الملزوم.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «يعني في محمّد ـ صلّى الله عليه وآله»[٢] ـ.

قوله سبحانه: ﴿ بِمَفَازَةٍ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «يعني ببعيد».[٣]

أقول: وكأنّه لازم المعنى.

*

---

١. *علل الشرائع* ٢: ٣٦٩.

٢. *تفسير القمي* ١: ١٢٨.

٣. *تفسير القمي* ١: ١١٢.

[إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِى سَبِيلِى وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)]

قوله: سبحانه: ﴿ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

في *الأمالي* و*تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً أو جالساً أو مضطجعاً، فإنّ الله يقول: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾».[١]

أقول: بناء البيان على اتّحاد الصلاة والذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ ﴾[٢] ولو أُخذت من مصاديقه على ما يفيده قوله: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ﴾،[٣] تمّ البيان أيضاً بوجه آخر؛ فإنّه سبحانه جعلها ذكراً، وهو ظاهر، وقد مرّ الكلام في الذكر، ومرّت عدّة من أخباره في سورة البقرة عند قوله: ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

هو من الدليل على أنّ الفكر غير الذكر في لسان القرآن، وليس الممدوح كلّ فكر

---

١. *الأمالي* للمفيد: ٣١٠، المجلس السابع والثلاثون، الحديث: ١؛ *الأمالي للطوسي*: ٧٩، المجلس الثالث، الحديث: ٢٥؛ *تفسير العيّاشي* ١: ٢١١، الحديث: ١٧٢.

٢. العنكبوت (٢٩): ٤٥.

٣. النور (٢٤): ٣٧.

٤. البقرة (٢): ١٥٢.

لكلّ غاية، بل الفكر في أمر الله المنتج للإعتبار، ويدلّ عليه بيانه بقوله: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾.

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «كان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يقول: «نبّه بالتفكّر قلبك، وجافِ عن الليل جنبك، واتّق الله ربّك».[١]

وعن الرضا ـ عليه السلام ـ: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمر الله».[٢]

وعن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «تفكّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة»،[٣] وفي رواية: «من عبادة سنة»،[٤] وفي رواية: «ستّين سنة».[٥]

أقول: والاختلاف بحسب مراتب التفكّر والمتفكِّر والمتفكَّر فيه.

وفي *المجمع* عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: لمّا نزلت هذه الآيات، قال: «ويلٌ لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّل ما فيها».[٦]

وفي بعض الروايات: «من حزنه أمرٌ، فقال خمس مرّات: «ربّنا»! أنجاه الله ممّا يخاف.[٧]

أقول: وهو مستفاد من الآيات، حيث وقعت فيها كلمة «ربّنا» خمس مرّات، وختمها الله تعالى بقوله: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾.

---

١. *الكافي* ٢: ٥٤، الحديث: ١.
٢. *الكافي* ٢: ٥٥، الحديث: ٤.
٣. *الكافي* ٢: ٥٤، الحديث: ٢.
٤. تفسير *العيّاشي* ٢: ٢٠٨، الحديث: ٢٦.
٥. بحار *الأنوار* ٦٦: ٢٩٢.
٦. مجمع *البيان* ٢: ٩٠٨.
٧. تفسير *الصافي* ٢: ١٦٧؛ تفسير *أبي السعود* ٢: ١٣٣.

قوله سبحانه: ﴿ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾

روي أنّ أُمّ سلمة قالت: يا رسول الله، ما بال الرجال يذكرون في الهجر دون النساء، فأنزل الله قوله سبحانه: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾، آية خاصّة بالمهاجرين.[١]

وفي بعض الروايات: «نزلت في عليّ لمّا هاجر ومعه الفواطم ـ فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت الزبير ـ ثمّ لحق بهم في ضجنان[٢] أُمّ أيمن ونفر من ضعفاء المؤمنين فساروا إلى المدينة وهم يذكرون الله في جميع أحوالهم وساروا حتّى لحقوا بالنبيّ، وقد نزلت الآيات».[٣]

قوله سبحانه: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ﴾

رجوع إلى ما في أوّل السورة من أمر القدر، كما مرّ.

وروي أنّ بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء و لين عيش فيقولون: أعداء الله في ما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع، فنزلت قوله سبحانه: ﴿ آصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾، حيث كانت الكلمات الثلاث مطلقة شملت كلّ ما أمكن تعلّقها به.

فمن الصبر: الصبر على مشاقّ العبادة وعلى المصائب وعن المعاصي، ومن المصابرة: الثبات في حروب أعداء الدين، والمصابرة على أذاياهم، والمصابرة أمسّ بالجماعة. ومن المرابطة: حفظ الربط مع اولياء الأمر ومن يقتدي به المسلمون، ومرابطة العبادات، ك: انتظار الصلاة بعد الصلاة.

---

١. تفسير *الصافي* ٢: ١٦٨.
٢. ضجنان: جبل قرب مكّة.
٣. تفسير *الصافي* ٢: ١٦٩.

ولما مرّ اختلفت الروايات الواردة في تفسير الآية.

ففي *المعاني* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إصبروا على المصائب، وصابروهم على الفتنة و رابطوا على من تقتدون به».[1]

وفي *تفسير العيّاشي* عنه ـ عليه السلام ـ: إصبروا على دينكم وصابروا عدوّكم ممّن يخالفكم ورابطوا إمامكم».[2]

وفي *الكافي*، عنه ـ عليه السلام ـ: «إصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمّة».[3]

وفي *المجمع* عن عليّ ـ عليه السلام ـ: «رابطوا الصلوات، قال: أي انتظروها واحداً بعد واحد، لأنّ المرابطة لم تكن حينئذٍ».[4]

أقول: وفي هذه المعاني أخبار أُخر،[5] وقد اتّضح معناها ممّا مرّ، والحمدلله.

*

١. *معاني الاخبار*: ٣٦٩، الحديث: ١؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٧١.
٢. *تفسير العيّاشي* ١: ٢١٢، الحديث: ١٨١.
٣. *الكافي* ٢: ٨١، الحديث: ٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٥٢، الحديث: ٦.
٤. *مجمع البيان* ٢: ٩١٨؛ *تفسير الصافي* ٢: ١٧٢.
٥. *الكافي* ٢: ٨١، باب اداء الفرائض ؛ *وسائل الشيعة* ١٥: ٢٥٩، باب وجوب اداء الفرائض ؛ *غيبة النعماني*: ٢٦.



فهرس مصادر التحقيق

١. *الاحتجاج*، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢. *الاختصاص*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣. *أسباب نزول الآيات*، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٨ هجري قمري)، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤. *الاستبصار*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٩٠ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٥. *أسد الغابة*، ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هجري قمري)، الناشر اسماعيليان، طهران ـ إيران، المجلدات: ١٠.

٦. *الأربعين*، الشيخ الماحوزي (المتوفى سنة ١١٢١ هجري قمري)، تحقيق السيد مهدي رجائي، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هجري قمري، الناشر: المحقق، المجلدات: ١.

٧. *الإرشاد*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٨. *إرشاد القلوب*، حسن بن أبي الحسن الديلمي، منشورات الشريف الرضـي، ١٤١٢ هجري قمري، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

٩. *الأصفى في تفسير القرآن*، محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سـنة ١٠٩١ هـجري قمري)، تحقيق مركز الابحاث والدراسات الإسلامية، الناشر مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٨.

١٠. *الإعلام*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيـران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١. *أعلام الدين*، حسن بن ابي الحسن الديلمي، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيـران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢. *إعلام الورى*، أمين الاسلام الفضل بن حسن الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١٣. *الإفصاح في الإمامة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمرى، المجلدات: ١.

١٤. *إقبال الاعمال*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الكتب الإسلامية، طـهران ـ إيران، ١٣٦٧ هجري شمسي،المجلدات: ١.

١٥. *الألفين*، العلامة الحلي حسن بن يوسف، انتشارات دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦. *الأمالي*، الشيخ الصدوق، مكتبة الاسلامية، ١٣٦٢ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٧. *الأمالي*، الشيخ الطوسي، دارالثقافة، قم ـ إيران، ١٤١٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٨. *الأمالي*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيـران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٩. *الأمان*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٠. *الايضاح*، الفضل بن شاذان الازدي النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٦٠ هجري قمري)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الارموي المحدث، المجلدات: ١.

٢١. *بحار الأنوار*، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١١٠.

٢٢. *البرهان في تفسير القرآن*، السيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى سنة ١١٠٧ هجري قمري)، الناشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، طهران ـ إيران، المجلدات: ٢.

٢٣. *البرهان في علوم القرآن*، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (المتوفى سنة ٧٩٤ هجري قمري)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الأُولى، ١٣٧٦ هجري قمري، الناشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر،المجلدات: ٤.

٢٤. *بشارة المصطفى*، عماد الدين الطبري، مكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق، ١٣٨٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٥. *بشارة المصطفى*، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (المتوفى سنة ٥٢٥ هجري قمري)، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٢٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٦. *بصائر الدرجات*، محمد بن حسن بن فروخ الصفار، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٧. *البلد الأمين*، ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي، الطبع الحجري، المجلدات: ١.

٢٨. *تاج العروس من جواهر القاموس*، الزبيدي.

٢٩. *تاريخ المدينة المنورة*، عمر بن شبّة النميري (المتوفى سنة ٢٦٢ هجري قمري)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ٤.

٣٠. *تأويل الآيات الظاهرة*، السيد شرف الدين الحسيني الاسترابادي، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣١. *التبيان في تفسير القرآن*، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي، الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١٠.

٣٢. *التحصين*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٣. *التحصين*، ابن فهد الحلي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٤. *تحف العقول*، حسن بن شعبة الحرّاني، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٥. *تذكرة الفقهاء*، العلّامة الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هجري قمري)، الناشر مكتبة الرضوية لاحياء الآثار الجعفرية، طهران ـ إيران، المجلدات: ٢.

٣٦. *تصحيح الاعتقاد*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٧. *تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي* ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠ هجري قمري.

٣٨. *تفسير الامام العسكري (ع)*، منسوب الى الامام الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ، مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٩. *تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن*، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي (المتوفى سنة ٨٧٥ هـجري قـمري)، تـحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة و غيره، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٠. *تـفسير الرازي*، فخر الدين بن محمد بن ضياء الدين الرازي، دار الفكر، بـيروت ـ لبنان، ١٤١٠ هجري قمري.

٤١. *تفسير الصـافي*، محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١ هـجري قـمري)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، الناشر مكتبة الصدر، طهران ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٢. *تفسير العياشي*، محمد بن مسعود العياشي، المطبعة العلمية، طهران ـ إيران، ١٣٨٠ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٤٣. *تفسير فرات الكوفي*، أبو القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي (المتوفى سنة ٣٥٢ هجري قمري)، تحقيق محمد الكاظم، الناشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤٤. *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤ هجري قمري)، دارالمعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٤٥. *تفسير القمّي*، علي بن ابراهيم بن هاشم القمّي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيـران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٤٦. *تفسير الكاشف*، محمد جواد مغنية (المتوفى سنة ١٤٠٠ هجري قمري)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ ميلادي، المجلدات: ٧.

٤٧. *تفسير نورالثقلين*، الشيخ عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي (المـتوفى سـنة

١١١٢ هجري قمري)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٨. *تقريب المعارف*، ابو الصلاح الحلبي، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤٩. *التمحيص*، محمد بن همام الاسكافي (المتوفى سنة ٣٣٦ هجري قمري)، تحقيق مدرسة الامام المهدي (عج)، الناشر مدرسة الامام المهدي(عج)، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٥٠. *تنزيه الانبياء (ع)*، السيد المرتضى علم الهدى، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٥١. *التوحيد*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٣٩٨ هجري قمري ـ ١٣٥٧ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٢. *توحيد المفضل*، مفضل بن عمر الجعفي الكوفي، مكتبة الداوري، قم ـ إيران، ١٩٦٩ ميلادي، المجلدات: ١.

٥٣. *تهذيب الاحكام*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ايران، ١٣٦٥ هجري شمسي، المجلدات: ١٠.

٥٤. *ثواب الأعمال*، الشيخ الصدوق، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٤ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٥. *جامع الأخبار*، تاج الدين الشعيري، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٣ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٦. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بـ: تفسير الطبري*، الطبري، (المتوفى سنة ٣١٠ هجري قمري)، تحقيق صدقي جميل العطار، الناشر دار الفكر، بيروت ـ

لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ٣٠.

٥٧. *جامع الجوامع*، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (المتوفى سنة ٥٦٠ هجري قمري)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم ـ إيران، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٥٨. *الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ: تفسير القرطبي*، أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١ هجري قمري)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٢٠.

٥٩. *الجعفريات (الاشعثيات)*، محمد بن محمد بن الاشعث الكوفي، مكتبة نينوى الحديثة، طهران ـ ايران، المجلدات: ١.

٦٠. *جمال الاسبوع*، السيد علي بن موسى بن طاوس، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٦١. *الجمل*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٢. *الخرائج والجرائح*، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ٣.

٦٣. *خصائص الأئمة (ع)*، السيد الرضي، مجمع البحوث التابعة لآستانة القدس الرضوي، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٤. *الخصال*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري،المجلدات: ٢.

٦٥. *خلاصة الإيجاز*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٦. *خلاصة عبقات الأنوار*، السيد حامد الحسيني النقوي، تلخيص الميلاني، (المتوفى سنة ١٣٠٦ هجري قمري)، الناشر مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ٩.

٦٧. *الخلاف*، شيخ الطائفة الامام ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق السيد علي الخراساني وغيره، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٦٨. *دعائم الإسلام*، النعمان بن محمد التميمي المغربي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٥ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٦٩. *الدر المنثور* (وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس)، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري قمري)، دار المعرفة، الطبعة الأُولى، ١٣٦٥ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٧٠. *الدرة الباهرة من الاصداف الطاهرة*، الشهيد الأول، دار الاعراف للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤ هجري قمري.

٧١. *الدعوات*، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٧٢. *دلائل الإمامة*، محمد بن جرير الطبري، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٣. *ربيع الابرار ونصوص الاخبار*، محمود بن عمر الزمخشري، دار الذخائر، ١٤١٠ هجري قمري، قم ـ إيران، مجلدات: ١.

٧٤. *روضة الواعظين*، محمد بن حسن الفتال النيسابوري، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٥. *سبل السلام* ، محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بشرح *بلوغ المرام، من جمع أدلة الاحكام*، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر الكنابي العسقلاني القاهري (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هجري قمري)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة المصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ـ مصر ـ الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٧٦. *السرائر*، ابن ادريس الحلّي (المتوفى سنة ٥٩٨ هجري قمري)، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ٣.

٧٧. *سعد السعود*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٨. *سنن أبي داود*، سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى سنة ٢٧٥ هجري قمري)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هجري قمري ـ ١٩٩٠ ميلادي، المجلدات: ٢.

٧٩. *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى سنة ٢٧٩ هجري قمري)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٨٠. *السنن الكبرى*، احمد بن الحسين بن علي البيهقي (المتوفي سنة ٤٥٨ هجري قمري)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١٠.

٨١. *السنن الكبرى*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣ هجري قمري)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١١ هجري قمري، ١٩٩١ ميلادي، المجلدات: ٦.

٨٢. شرح *نهج البلاغة*، ابن ابي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ٢٠.

٨٣. *شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت(ع)*، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق شيخ محمد باقر المحمودي، الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأُولى ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٨٤. *الصحاح*، اسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى سنة ٣٩٣ هجري قمري)، تحقيق أحمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٨٥. صحيح *البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦ هجري قمري)، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ٨.

٨٦. صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١ هجري قمري)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ٨.

٨٧. صحيح مسلم بشرح *النووي*، النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هجري قمري)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١٧.

٨٨. *الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)*، العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي، دارالهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١١.

٨٩. صحيفة *الرضا*، الامام علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ من منشورات المؤتمر العالمي للامام الرضا (ع)، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٠. *الصحيفة السجادية*، الامام السجاد ـ عليه السلام ـ نشر الهادي، قم ـ إيران، ١٣٧٦ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٩١. *الصراط المستقيم*، علي بن يونس النباطي البياضي، مكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق ١٣٨٤ هجري قمري، الأجزاء: ٣ ـ في مجلد واحد ـ.

٩٢. *صفات الشيعة*، الشيخ الصدوق، مطبعة الأعلمي، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

٩٣. *الصوارم المهرقة*، القاضي نور الله الشوشتري، مطبعة النهضة، طهران ـ إيران، ١٣٦٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٤. *الطرائف*، السيد علي بن موسى بن طاوس، طباعة خيام، قم ـ إيران، ١٤٠٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٥. *عدة الداعي*، ابن فهد الحلّي، دار الكتاب الاسلامي، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٦. *علل الشرائع*، الشيخ الصدوق، مكتبة الداوري، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٩٧. *العمدة*، ابن البطريق الأسدي الحلّي (المتوفى ٦٠٠ سنة هجري قمري)، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٨. *عوالي اللآلي*، ابن ابي جمهور الإحسائي، الناشر سيد شهداء (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٩٩. *عيون أخبار الرضا(ع)*، الشيخ الصدوق، الناشر جهان، طهران ـ إيران، ١٣٧٨ هجري قمري، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٠٠. *الغارات*، إبراهيم بن محمد الثقفي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠١. *الغدير*، الشيخ عبد الحسين الأميني، (المتوفى سنة ١٣٩٢ هجري قمري)، دار الكتب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ١٢.

١٠٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، الناشر دفتر تبليغات اسلامي، قم ـ إيران، ١٣٦٦ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٠٣. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٤. *الغيبة*، محمد بن ابراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران ـ ايران، ١٣٩٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٥. *غنية النزوع إلى علمي الأصول و الفروع*، ابن زهرة الحلبي (المتوفى سنة ٥٨٥ هجري قمري)، تحقيق الشيخ ابراهيم البهادري، مؤسسة الامام الصادق، الطبعة الأُولى، محرم الحرام ١٤١٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٦. *فتح الأبواب*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري،المجلدات: ١.

١٠٧. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هجري قمري)، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، المجلدات: ١٣.

١٠٨. *الفصول العشرة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٩. *الفصول المختارة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٠. *الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة*، الحرّ العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤ هجري قمري)، تحقيق محمد بن محمد حسين القائيني، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامية للامام الرضا(ع)، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٣.

١١١. *الفضائل*، شاذان بن جبرئيل القمي، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٣ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١١٢ . *فضائل الشيعة*، الشيخ الصدوق، من منشورات الأعلمي، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٣ . *فقه الرضا*، علي بن بابويه (المتوفى سنة ٣٢٩ هجري قمري)، تحقيق مؤسسة آل البيت، قم ـ إيران، الناشر المؤتمر العالمي للامام الرضا(ع)، مشهد ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٤ . *فقه القرآن*، قطب الدين الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١١٥ . *فلاح السائل*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دفتر تبليغات إسلامي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٦ . *قرب الإسناد*، عبد الله بن جعفر الحِمْيري القمّي، مكتبة النينوى، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٧ . *قصص الانبياء (ع)*، السيد نعمة الله الجزائري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٨ . *قصص الأنبياء (ع)*، قطب الدين الراوندي، الناشر آستانة القدس الرضوي، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٩ . *الكافي*، ثقة الاسلام الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٦٥ هجري شمسي، المجلدات: ٨.

١٢٠ . *كتاب سليم بن قيس*، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، الهادي، قم ـ إيران، ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢١ . *كتاب المزار*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٢ . *الكشاف*، جار الله الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

١٢٣. *كشف الريبة*، الشهيد الثاني، الناشر مرتضوي، ١٣٩٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٤. *كشف الغمّة*، علي بن عيسى الإربلي، مكتبة بني الهاشمي، تبريز ـ إيران، ١٣٨١ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١٢٥. *كشف اليقين*، العلّامة الحلّي حسن بن يوسف، مؤسسة الطبع والنشر، طهران ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٦. *كفاية الأثر*، علي بن محمّد الخزّاز القمّي، الناشر بيدار، قم ـ إيران، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٧. *كمال الدين*، الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، قم ـ إيران، ١٣٩٥ هجري قمري، الاجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٢٨. *كنز العمّال*، المتّقي الهندي(المتوفى ٩٧٥ هجري قمري)، تحقيق الشيخ بكري حيائي، الشيخ صفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، المجلدات:١٦.

١٢٩. *كنز الفوائد*، أبو الفتح الكراجكي، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١٣٠. *لباب النقول في أسباب النزول*، أبو الفضل جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري قمري)، تحقيق أحمد عبد الشافي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١.

١٣١. *المبسوط في فقه الامامية*، الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق محمد تقي الكشفي، الناشر المكتبة المرتضوية، ١٣٨٧ هجري قمري، طهران ـ إيران، المجلدات: ٨.

١٣٢. *متشابه القرآن*، ابن شهراشوب المازندراني، الناشر بيدار، قم ـ إيران، ١٣٢٨ هجري شمسي، الأجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٣٣. *المتعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٤ . *مثير الأحزان*، ابن نما الحلّي، تحيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٥ . *مجمع البحرين*، الشيخ فخر الدين الطريحي (المتوفى سنة ١٠٨٥ هجري قمري)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الناشر مكتب نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٣٦ . *مجمع البيان في تفسير القرآن*، امين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (المتوفى سنة ٥٦٠ هجري قمري)، الناشر مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١٠.

١٣٧ . *مجموعة ورام*، ورام بن ابي فراس، مكتبة الفقيه، قم ـ إيران، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٣٨ . *المحاسن*، احمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، قم ـ إيران، ١٣٧١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٩ . *مسار الشيعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ ايران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٠ . *المستجاد من كتاب الإرشاد* (المجموعة)، العلّامة حسن بن المطهر الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هجري قمري)، الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤١ . *مستدرك الوسائل*، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١٨.

١٤٢ . *مستطرفات السرائر*، محمد بن ادريس الحلّي، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٣ . مستند *الشيعة*،المحقق النراقي (المتوفى سنة ١٢٤٥ هجري قمري)، تحقيق والنشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مشهد ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٥

هجري قمري، المجلدات: ١٥.

١٤٤. مسكن *الفؤاد*، الشهيد الثاني، مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١٤٥. مشرق *الشمسين*، الشيخ بهاء الدين العاملي، (المتوفى سنة ١٠٣١ هجري قمري)، الناشر مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران، ١٣٩٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٦. مشكاة *الأنوار*، أبو الفضل علي بن حسن الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ـ العراق، ١٣٨٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٧. *مصادقة الإخوان*، الشيخ الصدوق، الطبع الكرماني، قم ـ إيران، ١٤٠٢ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٨. *المصباح*، ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٩. مصباح *الشريعة*، الامام الصادق ـ عليه السلام ـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٠. مصباح *المتهجد*، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥١. *معاني الأخبار*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٣٦١ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٥٢. معدن *الجواهر*، أبو الفتح الكراجكي، المكتبة المرتضوية، طهران ـ إيران، ١٣٩٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٣. مفتاح *الفلاح*، الشيخ البهائي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٤. *المفردات في غريب القرآن*، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١.

١٥٥. *المقنعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران،

١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٦. *مكارم الأخلاق*، رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي، الناشر الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٧. *المناقب*، الموفق بن احمد بن محمد المكّي الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨ هجري قمري)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٨. *مناقب آل أبي طالب (ع)*، ابن شهراشوب المازندراني، مؤسسة انتشارات العلّامة، قم ـ إيران، ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٥٩. منتخب *الأنوار المضيئة*، علي بن عبد الكريم النيلي النجفي، طباعة خيام، قم ـ إيران، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٠. من لا يحضره *الفقيه*، الشيخ الصدوق، الناشر جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٦١. *منية المريد في أدب المفيد والمستفيد*، الشهيد الثاني (الشهادة سنة ٩٦٦ هجري قمري)، تحقيق رضا المختاري، الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هجري قمري، ١٣٦٨ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٦٢. *مهج الدعوات*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٣. *الميزان في تفسير القرآن*، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى سنة ١٤٠٢ هجري قمري)، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، المجلدات: ٢٠.

١٦٤. نزهة *الناظر*، يحيي بن سعيد الحلّي، الناشر الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٩٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٥. نظم درر *السبطين*، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي، (المتوفى سنة ٧٥٠ هجري قمري)، المطبعة من مخطوطات مكتبة الامام

أمير المؤمنين(ع) العامة، الطبعة الأُولى ١٣٧٧ هجري قمري، ١٩٥٨ ميلادي، المجلدات: ١.

١٦٦. *النكت الاعتقادية*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٧. *النوادر*، احمد بن محمد بن عيسى الأشعري، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٨. *النوادر*، السيد فضل الله الراوندي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١٦٩. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران.

١٧٠. *نهج البلاغة*، الامام علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ، دار الهجرة، قم ـ إيران.

١٧١. *نهج الحق وكشف الصدق*، العلامة الحلّي حسن بن يوسف، مؤسسة دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٢. *وسائل الشيعة*، الشيخ حرّ العاملي، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ٢٩.

١٧٣. *الوسيلة*، ابن حمزه الطوسي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٤. *وقعة صفّين*، نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٥. *اليقين*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٦. *ينابيع المودة لذوي القربى*، الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، (المتوفى السنة ١٢٩٤ هجري قمري)، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأُولى ١٤١٦ هجري قمري، الناشر دار الأُسوة، المجلدات: ٣.